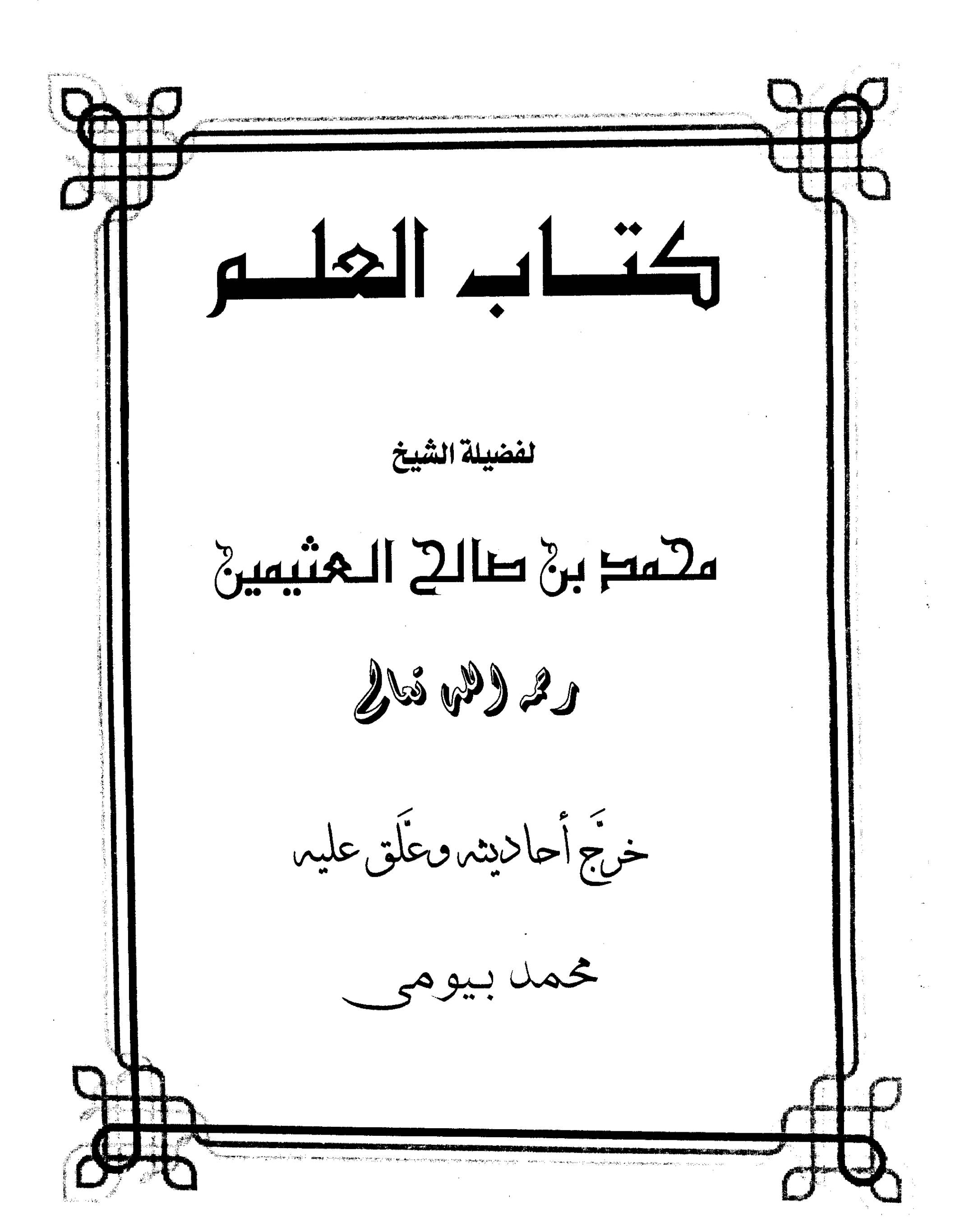


كتاب العلم

لفضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

خرَّج أحاديثه وعلّق عليه

محمد بيومي

نبـذة
عن حياة الشيخ ابن عثيمين

اسمه ونسبه :

محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبى التميمى .

مولده :

ولد فى مدينة عنيزة ، إحدى مدن القصيم فى ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧هـ .

نشأته وطلبه للعلم :

كان الشيخ قد رزق ذكاء ، وهمة عالية وحرصاً على التحصيل العلمى ، وقد بدأ الشيخ بقراءة القرآن الكريم على جده لأمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ ، محفظة ، ثم اتجه إلى طلب العلم على أيدى كبار العلماء وفى مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله - والذى يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف .

ثم قرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - حيث يعتبر شيخه الثانى ، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخارى وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .

وقد التحق الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بالمعهد العلمى فى الرياض ، بعد عام ١٣٧٢ هـ ، وبعد خروجه عُيِّن مدرساً فى معهد عنيزة العلمى مع مواصلة الدراسة انتساباً فى كلية الشريعة مع مواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدى - رحمه الله .

ولما توفى الشيخ السعدى تولى الشيخ ابن عثيمين إمامة الجامع الكبير بعنيزة ، بالإضافة إلى التدريس فى المعهد العلمى ثم انتقل إلى التدريس فى كليتى الشريعة

وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ، وما زال بها حتى توفاه الله ، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

نشاطه فى الدعوة إلى الله :

كان للشيخ - رحمه الله - نشاط كبير فى الدعوة إلى الله ﷻ وتبصير المسلمين ، فقد عرفه الناس من خلال دروسه النافعة وخطبه الرائعة فى المسجد الكبير بعنيزة بالقصيم ، وفى دروسه بالمسجد الحرام أيام الاعتكاف فى شهر رمضان من كل عام ، ومن خلال فتاويه الرصينة لجماهير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى موسم الحج ، وفى الصحف والمجلات ، وفى برنامج: "نور على الدرب" بالإذاعة السعودية . وقد حصل الشيخ - رحمه الله - على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

مؤلفاته :

للشيخ - رحمه الله - مؤلفات عديدة فى شتى أنواع علوم الدين ، منها على سبيل المثال: ٦٠ سؤالاً عن أحكام الحيض ، فى الصلاة والصيام والحج والاعتمار . وأثر المعاصى على الفرد والمجتمع . وأصول فى التفسير . والأصول فى علم الأصول . والخلاف بين العلماء: أسبابه وموقفنا منه . والدماء الطبيعية للنساء . والشرح الممتع على زاد المستنقع . والصحوة الإسلامية : ضوابط وتوجيهات . والعلم . والقواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى ، والقول المفيد على كتاب التوحيد ، وشرح العقيدة الواسطية ، وشرح أصول الإيمان ، وتفسير آية الكرسى ، وتقريب التدمرية ، وشرح كشف الشبهات . وتسهيل الفرائض . وحقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة . ورسائل فى العقيدة . ورسالة إلى الدعاة . وشرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد . ومصطلح الحديث ، وشرح المنظومة البيقونية فى علم مصطلح الحديث . وعقيدة أهل السنة والجماعة . وفتح رب البرية بتخليص الحموية "وهو أول كتاب طبع لسماحته" .

أولاده:

عبد الله ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، وعبد العزيز ، وعبد الرحيم ، والشيخ رحمه الله تزوج زوجة واحدة .

مرضه ووفاته:

توفى الشيخ - رحمه الله - يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال ١٤٢١هـ بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد والألم المرير ، حتى نزل وزنه إلى ٣٨ كيلو ، وصارت درجة المناعة عنده صفراً ، وقد أصر الشيخ - رحمه الله - على إلقاء دروسه المعتادة فى الحرم المكى هذا العام بالرغم من معاناته الشديدة للمرض .

فنسأل الله ﷻ أن يتغمده برحمته ، وأن يعلى قدره ومنزلته ، ويحشره مع الصالحين والشهداء .

* * * * * * * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

وبعد ،

فإن الله تعالى قد رفع من قدر العلم والعلماء فى آيات كثيرة من كتابه ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الأعراف : ١٨] .

قال ابن القيم: استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده . . **وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:**

أحدها : استشهادهم دون غيرهم من البشر .

الثانى : اقتران شهادتهم بشهادته .

الثالث : اقترانها بشهادة ملائكته .

الرابع : أن فى ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول . .

الخامس : أنه وصفهم بكونهم أولى العلم وهذا يدل على اختصاصهم به وأنهم أهله وأصحابه . .

السادس : أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد ثم يختار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً .

السابع : أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم .

الثامن : أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده [١] .

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ٧٤ - ٧٥) .

هذا وقد ذكر العلامة ابن القيم وجوهاً أخرى كثيرة فى فضل العلم وأهله فى كتابه الرائع "مفتاح دار السعادة " ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يبتغى فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم وإن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وأن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» [1] .

وهذا الكتاب الذى بين يديك . أخى الحبيب هو من درر شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - فقد بين فيه كيفية دراسة العلم وطلبه وآداب طالب العلم . إلى غير ذلك من الأمور المهمة التى يحتاج إليها طلاب العلم .

وقد قمت بتخريج أحاديث الكتاب والتعليق عليه والله تعالى أسأل أن يرحم شيخنا ابن عثيمين رحمة واسعة وأن يسكنه فسيح جناته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

****

---

(١) سيأتى تخريجه فى فصل تعريف العلم .

في تعريف العلم وفضله وحكم طلبه

الفصل الأول

تعريف العلم

لغة: نقيض الجهل ، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً .

اصطلاحاً: فقد قال بعض أهل العلم: هو المعرفة وهو ضد الجهل ، وقال آخرون من أهل العلم: إن العلم أوضح من أن يعرف .

والذي يعنينا هو العلم الشرعي ، والمراد به: «**علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى**» ، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحى ، علم ما أنزله الله فقط ، قال النبى ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» [1] . وقال النبي ﷺ: «**إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» [2] .

ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم شريعة الله - عز وجل - وليس غيره ، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ما ورثوا للناس علم الصناعات وما يتعلق بها ، بل إن الرسول ﷺ حين قدم المدينة وجد الناس يؤبرون النخل - أي يلقحونها - قال لهم لما رأى من تعبهم كلاماً يعني أنه لا حاجة إلى هذا ففعلوا ، وتركوا التلقيح ، ولكن النخل فسد ، ثم قال لهم النبي ﷺ: «**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**» [3] .

ولو كان هذا هو العلم الذي عليه الثناء لكان الرسول ﷺ أعلم الناس به ، لأن أكثر من يثني عليه بالعلم والعمل هو النبي ﷺ .

إذن فالعلم الشرعي هو الذي يكون فيه الثناء ويكون الحمد لفاعله ، ولكني مع

---

(١) رواه البخارى فى "العلم" (٧١) باب من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين . ومسلم فى "الزكاة" (٢٣٥١ ، ٢٣٥٤) باب لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم .من حديث معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

(٢) حسن . رواه أبو داود فى "العلم" (٣٦٤١) باب فضل العلم . والترمذى فى "العلم" (٢٦٨٢) باب ماجاء فى فضل الفقه على العبادة . وابن ماجة فى "المقدمة" (٢٢٣) باب فضل العلماء والحث على طلب العلم . عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

(٣) رواه مسلم فى "الفضائل" (٦٠١٣) باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره رسول الله ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأى . وابن ماجة فى "الأحكام" (٢٤٧١) باب تلقيح النخل .

ذلك لا أنكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة ، ولكنها فائدة ذات حدين: إن أعانت على طاعة الله وعلى نصر دين الله وانتفع بها عباد الله ، فيكون ذلك خيراً ومصلحة ، وقد يكون تعلمها واجباً في بعض الأحيان إذا كان ذلك داخلاً في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ (الأنفال: ٦٠) .

وقد ذكر كثير من أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية [1] ، وذلك لأن الناس لابد لهم من أن يطبخون بها ، ويشربون بها ، وغير ذلك من الأمور التي ينتفعون بها ، فإذا لم يوجد من يقوم بهذه المصانع صار تعلمها فرض كفاية . وهذا محل جدل بين أهل العلم ، وعلى كل حال أود أن أقول إن العلم الذى هو محل الثناء هو العلم الشرعي الذي هو فقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما عدا ذلك فإما أن يكون وسيلة إلى خير أو وسيلة إلى شر ، فيكون حكمه بحسب ما يكون وسيلة إليه .

* * * * * * * * * * *

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ١٤) .

الفصل الثاني

فضائل العلم

لقد مدح الله - سبحانه وتعالى العلم وأهله ، وحثَ عباده على العلم والتزود منه وكذلك السنة المطهرة .

فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة ، وهو من أفضل وأجلَ العبادات ، عبادات التطوع ، لأنه نوع من الجهاد في سبيل الله ، فإن دين الله - عز وجل - إنما قام بأمرين :

أحدهما : العلم والبرهان .

والثاني : القتال والسنان ، فلا بد من هذين الأمرين ، ولا يمكن أن يقوم دين الله ويظهر إلا بهما جميعاً ، والأول منهما مقدَّم على الثاني ، ولهذا كان النبي ﷺ لا يغير على قوم حتى تبلغهم الدعوة إلى الله - عز وجل - فيكون العلم قد سبق القتال .

قال تعالى : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ** ﴾ (الزمر ، الآية : ٩) فالاستفهام هنا لابد فيه من مقابل أمن هو قائم قانت آناء الليل والنهار أي كمن ليس كذلك ، والطرف الثاني المفضل عليه محذوف للعلم به ، فهل يستوي من هو قانت آناء الليل ساجداً أو قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، هل يستوي هو ومن هو مستكبر عن طاعة الله ؟

الجواب : لا يستوي فهذا الذي هو قانت يرجو ثواب الله ويحذر الآخرة هل فعلُهُ ذلك عن علم أو عن جهل ؟

الجواب : عن علم ، ولذلك قال : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر الآية : ٩) . لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم ، كما لا يستوي الحي والميت ، والسميع والأصم ، والبصير والأعمى ، العلم نور يهتدي به الإنسان ، ويخرج به من الظلمات إلى النور ، العلم يرفع الله به من يشاء من خلقه ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ (المجادلة : الآية ١١) . ولهذا نجد أن أهل العلم محل

الثناء ، كلما ذُكروا أثنى عليهم ، وهذا **رفع** لهم في الدنيا ، **أما في** الآخرة فإنهم يرتفعون درجات بحسب ما قاموا به من **الدعوة إلى** الله والعمل بما **عملوا** .

إن العابد حقًا هو الذي يعبد ربه على **بصيرة** ويتبين له الحق ، **وهذه** سبيل النبي ﷺ ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (يوسف الآية : ١٠٨) .

فالإنسان الذي يتطهر وهو يعلم **أنه على** طريق **شرعي** ، **هل** هو كالذي يتطهر من أجل أنه رأى أباه أو أمه يتطهرا؟ .

أيهما أبلغ في تحقيق العبادة ؟ رجل **يتطهر** لأنه علم أن الله **أمر** بالطهارة وأنها هي طهارة النبي ﷺ فيتطهَّر امتثالاً لأمر الله **واتباعاً لسنة رسول الله** ﷺ ؟ **أم** رجل آخر يتطهر لأن هذا هو المعتاد عنده ؟ .

فالجواب: بلا شك أن الأول **هو الذي يعبد الله على بصيرة** . **فهل** يستوي هذا وذاك؟ وإن كان فعل كل منهما واحداً ، **لكن هذا عن علم وبصيرة يرجو الله** - **عز** وجل ويحذر الآخرة ويشعر بأنه متبع للرسول ﷺ وأقف عند **هذه** النقطة وأسأل هل نستشعر عند الوضوء بأننا نمتثل لأمر الله - سبحانه وتعالى - في قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾ (المائدة : الآية ٦) .

هل الإنسان عند وضوئه يستحضر هذه الآية وأنه يتوضأ **امتثالاً لأمر الله**؟ .

هل يستشعر أن هذا وضوء رسول الله ﷺ وأنه يتوضأ **اتباعاً لرسول الله** ﷺ ؟

الجواب: نعم ، الحقيقة أن منا من يستحضر ذلك ، **ولهذا يجب عند فعل** العبادات أن نكون ممتثلين لأمر الله بها حتى يتحقق لنا بذلك **الإخلاص** وأن نكون متبعين لرسول الله ﷺ. نحن نعلم أن من شروط الوضوء النية ، **لكن النية قد تكون بها** نية العمل وهو الذى يُبحث فى الفقه وقد يراد بها نية المعمول له وحينئذ علينا أن نتنبه لهذا الأمر العظيم ، وهي أن نستحضر ونحن نقوم بالعبادة أن نمتثل أمر الله بها لتحقيق الإخلاص ، وأن نستحضر أن الرسول ﷺ فعلها ونحن له متبعون فيها لتحقيق المتابعة ؛

لأن من شروط صحة العمل:

الإخلاص والمتابعة :

اللذين بهما تتحقق شهادة أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

نعود إلى ما ذكرنا أولاً من فضائل العلم ، إذ بالعلم يعبد الإنسان ربه على بصيرة ، فيتعلق قلبه بالعبادة ويتنور قلبه بها ، ويكون فاعلاً لها على أنها عبادة لا على أنها عادة ، ولهذا إذا صلي الإنسان على هذا النحو فإنه مضمون له ما أخبر الله به من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

ومن أهم فضائل العلم ما يلي:

١- أنه إرث الأنبياء ، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم ، فمنْ أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء ، فأنت الآن في القرن الخامس عشر إذا كنت من أهل العلم ترث محمداً ﷺ وهذا من أكثر الفضائل .

٢- أنه يبقى والمال يفني ، فهذا أبو هريرة - رضي الله عنه - من فقراء الصحابة حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمي عليه وأسألكم بالله هل يجري لأبي هريرة ذكر بين الناس في عصرنا أم لا ؟ نعم يجري كثيراً فيكون لأبي هريرة أجر من انتفع بأحاديثه ، إذ العلم يبقى والمال يفنى ، فعليك يا طالب العلم أن تستمسك بالعلم فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان ، انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**»[1] .

٣- أنه لا يتعب صاحبه في الحراسة ؛ لأنه إذا رزقك الله علماً فمحله في القلب لا يحتاج إلى صناديق أو مفاتيح أو غيرها ، هو في القلب محروس ، وفي النفس محـروس ، وفي الوقت نفسه هو حارس لك ؛ لأنه يحميك من الخطر بإذن الله

(١) رواه مسلم فى "الوصية" (٤١٤٥) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته . والترمذى فى "الأحكام" (١٣٧) باب فى الوقف . والنسائى فى "الوصايا" (٦ / ٢٥١) باب فضل الصدقة عن الميت .

- عز وجل - فالعلم يحرسك ، ولكن المال أنت تحرسه تجعله في صناديق وراء الأغلاق ، ومع ذلك تكون غير مطمئن عليه .

٤- أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق ، والدليل قوله تعالي : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ** ﴾ (آل عمران: الآية ١٨) . فهل قال: «**أولو المال**» ؟ لا ، بل قال: ﴿ **وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ** ﴾ فيكفيك فخراً يا طالب العلم أن تكون ممن شهد لله أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله - عز وجل - .

٥- أن أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالي : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ (النساء من الآية : ٥٩) . فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام ، والعلماء وطلبة العلم ؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها .

٦- أن أهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالي حتى تقوم الساعة ، ويستدل لذلك بحديث معاوية - رضى الله عنه - يقول : سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**» . رواه البخاري .

وقد قال الإمام أحمد عن هذه الطائفة : «**إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم**» .

وقال القاضي عياض - رحمه الله - : «**أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث**» .

٧- أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرغب أحداً أن يغبط أحداً على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين هما :

أ- طلب العلم والعمل به .

ب- التاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام . فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله

عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في إثنتين: رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلّمها**»[١] .

٨- ما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺقال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة ، قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعهُ ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلتُ به**» [٢] .

٩- أنه طريق الجنة كما دل على ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺقال: «**ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**» رواه مسلم .

١٠- ما جاء في حديث معاوية - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين**» [٣] . أي يجعله فقيهاً في دين الله - عز وجل - ، والفقه في الدين ليس المقصود به فقه الأحكام العملية المخصوصة عند أهل العلم بعلم الفقه فقط ، ولكن المقصود به هو: علم التوحيد ، وأصول الدين ، وما يتعلق بشريعة الله - عز وجل - ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم لكان كاملاً في الحث على طلب علم الشريعة والفقه فيها .

١١- أن العلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه ، وكيف يعامل عباده ،

---

(١) رواه البخارى فى "العلم " (٧٣) باب الاغتباط فى العلم والحكمة . ومسلم فى "الصلاة " (١٨٦٥) باب من يقوم بالقرآن ويعلمه .

(٢) رواه البخارى فى "العلم" (٧٩) باب فضل من علم وعلم . ومسلم فى "الفضائل" (٥٨٤٣) باب مثل ما يبعث به النبى من الهدى والعلم .

(٣) رواه البخارى فى "العلم" (٧١) باب من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين . ومسلم فى "الزكاة" (٢٣٥١ ، ٢٣٥٤) باب النهى عن المسألة . وفى "الجهاد" (٤٨٧٣) باب لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم .

فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة .

١٢- أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم ، ولا يخفي على كثير منّا قصة الرجل الذي من بني إسرائيل قتل تسعاً وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عابد فسأله هل له من توبة ؟ فكأن العابد استعظم الأمر فقال : لا . فقتله فأتم به المئة ، ثم ذهب إلى عالم فسأله فأخبره أن له توبة وأنه لاشيء يحول بينه وبين التوبة ، ثم دله على بلد أهله صالحون ليخرج إليها ، فخرج فأتاه الموت في أثناء الطريق . والقصة مشهورة . فانظر الفرق بين العالم والجاهل .

١٣- أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا ، أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله - عز وجل - والعمل بما علموا ، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به . قال الله تعالي : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة : الآية ١١) .

* * * * * * * * * * *

الفصل الثالث

حكم طلب العلم

طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة ، وقد يكون طلب العلم واجباً على الإنسان عيناً أي فرض عين ، وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها ، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة وكيف يقوم بهذه المعاملة ، وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي :

ولا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال ، بل هو من الجهاد في سبيل الله ، ولاسيما في وقتنا هذا حين بدأت البدع تظهر في المجتمع الإسلامي وتنتشر وتكثر ، وبدأ الجهل الكثير ممن يتطلع إلى الإفتاء بغير علم ، وبدأ الجدل من كثير من الناس ، فهذه ثلاثة أمور كلها تحتم على الشباب أن يحرص على طلب العلم:

أولا : بدع بدأت تظهر شرورها .

ثانيًا : أناس يتطلعون إلى الإفتاء بغير علم .

ثالثاً : جدل كثير في مسائل قد تكون واضحة لأهل العلم لكن يأتي من يجادل فيها بغير علم .

فمن أجل ذلك فنحن في ضرورة إلى أهل علم عندهم رسوخ وسعة اطلاع ، وعندهم فقه في دين الله ، وعندهم حكمة في توجيه عباد الله لأن كثيراً من الناس الآن يحصلون على علم نظري في مسألة من المسائل ولا يهمهم النظر إلى إصلاح الخلق وإلى تربيتهم ، وأنهم إذا أفتوا بكذا وكذا صار وسيلة إلى شر أكبر لا يعلم مداه إلا الله .

* * * * * * * * * * * *

الباب الثاني

في آداب طالب العلم والأسباب المعينة على تحصيله

الفصل الأول

آداب طالب العلم

طالب العلم لابد له من التأدب بآداب ، نذكر منها :

الأمر الأول: إخلاص النية لله - عز وجل - :

بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة ؛ لأن الله حث عليه ورغب فيه ، فقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ (محمد:الآية ١٩) والثناء على العلماء في القرآن معروف ، وإذا أثنى الله على شيء أو أمر به صار عبادة .

إذن فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله - عز وجل - وإذا نوى الإنسان بطلب العلم الشرعي أن ينال شهادة ليتوصل بها إلى مرتبة أو رتبة ، فقد قال رسول الله ﷺ «**من تعلم علماً يبتغي به وجه الله - عز وجل - لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» - يعني ريحها [1] - وهذا وعيد شديد .

لكن لو قال طالب العلم: أنا أريد أن أنال الشهادة لا من أجل حظ من الدنيا ، ولكن لأن النظم أصبح مقياس العالم فيها شهادته فنقول: إذا كانت نية الإنسان نيل الشهادة من أجل نفع الخلق تعليمًا أو إدارة أو نحوها ، فهذه نية سليمة لا تضره شيئاً ؛ لأنها نية حق .

وإنما ذكر الإخلاص في أول آداب طالب العلم ؛ لأن الإخلاص أساس ، فعلى طالب العلم أن ينوي بطلب العلم امتثال أمر الله - عز وجل - لأن الله - عز وجل - أمر بالعلم فقال تعالي: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ (محمد: الآية ١٩)

---

(١) صحيح . رواه أحمد (٢/ ٣٣٨) وأبو داود فى " العلم " (٣٦٦٤) باب فى طلب العلم لغير الله . وابن ماجه فى "المقدمة" (٢٥٢) .

فأمر بالعلم ، فإذا تعلمت فإنك ممتثل لأمر الله - عز وجل - .

الأمر الثاني: رفع الجهل عن نفسه وعن غيره:

أن ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه وعن غيره؛ لأن الأصل في الإنسان الجهل ، ودليل ذلك قوله تعالي: **﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون ﴾** (النحل: ٧٨) . والواقع يشهد بذلك فتنوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسك وبذلك تنال خشية الله **﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾** (فاطر: الآية ٢٨) فتنوي رفع الجهل عن نفسك لأن الأصل فيك الجهل ، فإذا تعلمت وصرت من العلماء انتفي عنك الجهل ، وكذلك تنوي رفع الجهل عن الأمة ويكون ذلك بالتعليم بشتى الوسائل لتنفع الناس بعلمك .

وهل من شرط نفع العلم أن تجلس في المسجد في حلقة ؟ أو يمكن أن تنفع الناس بعلمك في كل حال ؟

الجواب: بالثاني ؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**بلغوا عني ولو آية**» [1] ، لأنك إذا علمت رجلاً علماً وعلّمه رجلاً آخر صار لك أجر رجلين ، ولو علم ثالثا صار لك أجر ثلاثة وهكذا ، ومن ثم صار من البدع أن الإنسان إذا فعل عبادة قال: «**اللهم اجعل ثوابها لرسول الله**» ؛ لأن الرسول ﷺ هو الذي علَّمك بها وهو الذي دلك عليها فله مثل أجرك .

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالي -: «**العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته**» . قالوا: كيف ذلك ؟ «**ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره**» ؛ لأن الأصل فيهم الجهل كما هو الأصل فيك ، فإذا تعلمت من أجل أن ترفع الجهل عن هذه الأمة كنت من المجاهدين في سبيل الله الذين ينشرون دين الله .

الأمر الثالث: الدفاع عن الشريعة:

أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة ؛ لأن الكتب لا يمكن أن تدافع عن

---

(١) رواه البخاري في " أحاديث الأنبياء " (٣٤٦١) باب ما ذكر عن بني إسرئيل . من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

الشريعة ، ولا يدافع عن الشريعة إلا حامل الشريعة ، فلو أن رجلاً من أهل البدع جاء إلى مكتبة حافلة بالكتب الشرعية فيها ما لا يحصي من الكتب ، وقام يتكلم ببدعة ويقررها فلا أظن أن كتاباً واحداً يرد عليه ، لكن إذا تكلم عند شخص من أهل العلم ببدعته ليقررها فإن طالب العلم يرد عليه ويدحض كلامه بالقرآن والسنة .

فعلى طالب العلم أن ينوى بطلب العلم الدفاع عن الشريعة ؛ لأن الدفاع عن الشريعة لا يكون إلا برجالها كالسلاح تماماً ، لو كان عندنا أسلحة ملأت خزائنها فهل هذه الأسلحة تستطيع أن تقوم من أجل أن تلقي قذائفها على العدو؟ أو لا يكون ذلك إلا بالرجال ؟

فالجواب: لا يكون ذلك إلا بالرجال ، وكذلك العلم .

ثم إن البدع تتجدد ، فقد توجد بدع ما حدثت في الزمن الأول ولا توجد في الكتب فلا يمكن أن يدافع عنها إلا طالب العلم ، ولهذا أقول :

إن ما تجب مراعاته لطالب العلم الدفاع عن الشريعة ، إذن فالناس في حاجة ماسة إلى العلماء ؛ لأجل أن يردوا على كيد المبتدعين وسائر أعداء الله - عز وجل - ولا يكون ذلك إلا بالعلم الشرعي المتلقي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الأمر الرابع: رحابة الصدر في مسائل الخلاف :

أن يكون صدره رحباً في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد ؛ لأن مسائل الخلاف بين العلماء ، إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه ويكون الأمر فيها واضحاً فهذه لا يعذر أحد بمخالفتها ، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال فهذه يعذر فيها من خالفها ، ولا يكون قولك حجة على من خالفك فيها ؛ لأننا لو قبلنا ذلك لقلنا بالعكس قوله حجة عليك .

وأنا أريد بهذا ما للرأي فيه مجال ، ويسع الإنسان فيه الخلاف ، أما من خالف طريق السلف كمسائل العقيدة فهذه لا يقبل من أحد مخالفة ما كان عليه السلف الصالح ، لكن في المسائل الأخرى التي للرأي فيها مجال فلا ينبغي أن يُتخذ من هذا الخلاف مطعنٌ في الآخرين ، أو يُتخذ منها سببٌ للعداوة والبغضاء .

فالصحابة - رضي الله عنهم - يختلفون في أمور كثيرة ، ومن أراد أن يطلع على اختلافهم فليرجع إلى الآثار الواردة عنهم يجد الخلاف في مسائل كثيرة ، وهي أعظم من المسائل التي اتخذها الناس هذه الأيام ديدناً للاختلاف حتى اتخذ الناس من ذلك تحزباً بأن يقولوا : أنا مع فلان كأن المسألة مسألة أحزاب فهذا خطأ .

من ذلك مثلاً كأن يقول أحد إذا رفعت من الركوع فلا تضع يدك اليمنى على اليسرى ، بل أرسلها إلى جنب فخذيك فإن لم تفعل فأنت مبتدع .

كلمة مبتدع ليست هينة على النفس ، إذا قال لي هذا سيحدث في صدري شيء من الكراهية ؛ لأن الإنسان بشر ، ونحن نقول هذه المسألة فيها سعة إما أن يضعها أو يرسلها ، ولهذا نص الإمام أحمد - رحمه الله - على أنه يخيّر بين أن يضع يده اليمنى على اليسرى وبين الإرسال ؛ لأن الأمر في ذلك واسع ، ولكن ما هي السنة عند تحرير هذه المسألة؟

فالجواب: السنة أن تضع يدك اليمنى على اليسرى إذا رفعت من الركوع كما تضعها إذا كنت قائماً ، والدليل فيما رواه البخاري عن سهل بن سعد قال «**كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة**» فلتنظر هل يريد بذلك في حال السجود؟ أو يريد بذلك في حال القعود ؟ لا بل يريد بذلك في حالة القيام وذلك يشمل القيام قبل الركوع والقيام بعد الركوع ، فيجب أن لا نأخذ من هذا الخلاف بين العلماء سبباً للشقاق والنزاع ؛ لأننا كلنا نريد الحق وكلنا فعل ما أدّاه اجتهاده إليه ، فما دام هكذا فإنه لا يجوز أن نتخذ من ذلك سبباً للعداوة والتفرق بين أهل العلم ؛ لأن العلماء لم يزالوا يختلفون حتى في عهد النبي ﷺ .

إذن فالواجب على طلبة العلم أن يكونوا يداً واحدة ، ولا يجعلوا مثل هذا الخلاف سبباً للتباعد والتباغض ، بل الواجب إذا خالفت صاحبك بمقتضى الدليل عندك ، وخالفك هو بمقتضى الدليل عنده أن تجعلوا أنفسكم على طريق واحد ، وأن تزداد المحبة بينكما .

ولهذا فنحن نحب ونهنىء شبابنا الذين عندهم الآن اتجاهاً قوياً إلى أن يقرنوا

المسائل بالدلائل وأن يبنوا علمهم على كتاب الله وسنة رسوله ، نرى أن هذا من الخير وأنه يبشر بفتح أبواب العلم من مناهجه الصحيحة ، ولا نريد منهم أن يجعلوا ذلك سببا للتحزب والبغضاء ، وقد قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ (الأنعام الآية: ١٥٩) فالذين يجعلون أنفسهم أحزاباً يتحزبون إليها لا نوافقهم على ذلك لأن حزب الله واحد ، ونرى أن اختلاف الفهم لا يوجب أن يتباغض الناس وأن يقع أحدهم في عرض أخيه .

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة ، حتى وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية ، وعلى كل واحد أن يدعو الآخر بالهدوء والمناقشة التي يُراد بها وجه الله والوصول إلى العلم ، وبهذا تحصل الألفة ، ويزول هذا العنت والشدة التي تكون في بعض الناس ، حتى قد يصل بهم الأمر إلى النزاع والخصام ، وهذا لا شك يفرح أعداء المسلمين والنزاع بين الأمة من أشد ما يكون في الضرر قال الله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الأنفال الآية: ٤٦) .

وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يختلفون في مثل هذه المسائل ، ولكنهم على قلب واحد ، على محبة وائتلاف ، بل إني أقول بصراحة إن الرجل إذا خالفك بمقتضى الدليل عنده فإنه موافق لك في الحقيقة ؛ لأن كلاً منكما طالب للحقيقة وبالتالي فالهدف واحد وهو الوصول إلى الحق عن دليل ، فهو إذن لم يخالفك ما دمت تقرّ أنه إنما خالفك بمقتضى الدليل عنده ، فأين الخلاف؟ وبهذه الطريقة تبقي الأمة واحدة وإن اختلفت في بعض المسائل لقيام الدليل عندها ، أما مَنْ عاند وكابر بعد ظهور الحق فلا شك أنه يجب أن يعامل بما يستحقه بعد العناد والمخالفة ، ولكل مقام مقال .

الأمر الخامس: العمل بالعلم:

أن يعمل طالب العلم بعلمه عقيدة وعبادة ، وأخلاقاً وآداباً ومعاملةً ؛ لأن هذا هو ثمرة العلم وهو نتيجة العلم ، وحامل العلم كالحامل لسلاحه ، إما له وإما عليه ،

ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**القرآن حجة لك أو عليك**»[1]. لك إن عملت به، وعليك إن لم تعمل به، وكذلك يكون العمل بما صح عن النبي ﷺ بتصديق الأخبار وامتثال الأحكام، إذا جاء الخبر من الله ورسوله فصدقه وخذه بالقبول والتسليم ولا تقل: لم؟ وكيف؟ فإن هذا طريقة غير المؤمنين فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً** ﴾ (الأحزاب الآية: ٣٦).

والصحابة كان النبي ﷺ يحدثهم بأشياء قد تكون غريبة وبعيدة عن أفهامهم، ولكنهم يتلقون ذلك بالقبول لا يقولون: لم؟ وكيف؟ بخلاف ما عليه المتأخرون من هذه الأمة، نجد الواحد منهم إذا حُدِّث بحديث عن الرسول ﷺ وحار عقله فيه نجده يورد على كلام الرسول ﷺ الإيرادات التي تستشف منها أنه يريد الاعتراض لا الاسترشاد، ولهذا يحال بينه وبين التوفيق، حتى يرد هذا الذي جاء عن الرسول ﷺ لأنه لم يتلقه بالقبول والتسليم.

وأضرب لذلك مثلاً ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[2].

هذا الحديث حدّث به النبي ﷺ وهو حديث مشهور بل متواتر، ولم يرفع أحد من الصحابة لسانه ليقول: يا رسول الله كيف ينزل؟ وهل يخلو منه العرش أم لا؟ وما أشبه ذلك، لكن نجد بعض الناس يتكلم في مثل هذا ويقول كيف يكون على العرش وهو ينزل إلى السماء الدنيا؟ وما أشبه ذلك من الإيرادات التي يوردونها، ولو أنهم

---

(١) رواه مسلم فى "الطهارة" (٥٢٣) باب فضل الوضوء. والترمذى فى "الدعوات" (٣٥١٧).

(٢) رواه البخارى فى "التهجد" (١١٤٥) باب الدعاء والصلاة من آخر الليل. ومسلم فى "الصلاة" (١٧١٤) باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه. ومالك فى "الموطأ" (١ / ٢١٤ / ٣٠) وأحمد فى "المسند" (٢ / ٢٦٤، ٥٠٤) وأبو داود فى "الصلاة" (١٣١٤) باب أى الليل أفضل وأعاده فى "السنة" (٤٧٣٣) باب فى الرد على الجهمية والترمذى فى "الدعوات" (٣٤٩٨) باب حديث ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا. والنسائى فى "عمل اليوم والليلة" (٤٧٩) وابن ماجه فى "الصلاة" (١٣٦٦) باب ما جاء فى أى الساعات أفضل عن أبى هريرة رضى الله عنه.

تلقوا هذا الحديث بالقبول وقالوا إن الله - عز وجل - مستو على عرشه والعلو من لوازم ذاته ، وينزل كما يشاء - سبحانه وتعالي - لاندفعت عنهم هذه الشبهة ولم يتحيروا فيما أخبرهم النبيﷺ عن ربه .

إذن الواجب علينا أن نتلقى ما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب بالقبول والتسليم ، وأن لا نعارضها بما يكون في أذهاننا من المحسوس والمشاهد ؛ لأن الغيب أمر فوق ذلك ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا أحب أن أطيل بذكرها ، إنما موقف المؤمن من مثل هذه الأحاديث هو القبول والتسليم بأن يقول صدق الله ورسوله كما أخبر الله عن ذلك في قوله : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ ﴾ (البقرة:الآية ٢٨٥) .

فالعقيدة يجب أن تكون مبنية على كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يعلم الإنسان أنه لا مجال للعقل فيها لا أقول مدخل للعقل فيها ، وإنما أقول لا مجال للعقل فيها ، إلا لأن ما جاءت به من نصوص في كمال الله شاهدة به العقول ، وإن كان العقل لا يدرك تفاصيل ما يجب لله من كمال لكنه يدرك أن الله قد ثبت له كل صفة الكمال لابد أن يعمل بهذا العلم الذي منّ الله به عليه من ناحية العقيدة .

كذلك من ناحية العبادة ، التعبد لله - عز وجل - وكما يعلم كثير منا أن العبادة مبنية على أمرين أساسين :

أحدهما : الإخلاص لله - عز وجل - .

والثاني : المتابعة للرسول ، فيبني الإنسان عبادته على ما جاء عن الله ورسوله ، لا يبتدع في دين الله ما ليس منه لا في أصل العبادة ، ولا في وصفها ، ولهذا نقول : لا بد في العبادة أن تكون ثابتة بالشرع في هيئتها ، وفي مكانها ، وفي زمانها ، وفي سببها ، لابد أن تكون ثابتة بالشرع في هذه الأمور كلها .

فلو أن أحداً أثبت شيئاً من الأسباب لعبادة تعبَّدَ الله بها دون دليل رددنا عليه ذلك ، وقلنا : إن هذا غير مقبول ؛ لأنه لابد أن يثبت بأن هذا سبب لتلك العبادة وإلا فليس غير مقبول لأنه لابد أن يثبت بأن هذا سبب لتلك العبادة وإلا فليس بمقبول منه ، ولو أن أحداً شرَّع شيئاً من العبادات لم يأت به الشرع أو أتي بشيء ورد به الشرع لكن

على هيئة ابتدعها أو في زمان ابتدعه ، قلنا إنها مردودة عليك ؛ لأنه لابد أن تكون العبادة مبنية على ما جاء به الشرع ؛ لأن هذا هو مقتضى ما علّمك الله تعالى من العلم ألا تتعبد لله تعالى إلا بما شرع .

ولهذا قال العلماء إن الأصل في العبادات الحظر حتى يقوم دليل على المشروعية واستدلوا على ذلك بقوله: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ (الشورى: الآية٢١) . وبقول النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها -: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» [١] ، حتى لو كنت مخلصا وتريد الوصول إلى الله ، وتريد الوصول إلى كرامته ، ولكنه على غير الوجه المشروع فإن ذلك مردود عليك ، ولو أنك أردت الوصول إلى الله من طريق لم يجعله الله تعالى طريقاً للوصول إليه فإن ذلك مردود عليه .

إذاً فواجب طالب العلم أن يكون متعبداً لله تعالى بما علمه من الشرع لا يزيد ولا ينقص ، لا يقول إن هذا الأمر الذي أريد أن أتعبد لله به أمر تسكن إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي وينشرح به صدري ، لا يقول هكذا حتى لو حصل هذا فليزنها بميزان الشرع فإن شهد الكتاب والسنة لها بالقبول فعلى العين والرأس وإلا فإنه قد يزين له سوء عمله: ﴿ **أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ (فاطر: الآية ٨) .

كذلك لابد أن يكون عاملا بعمله في الأخلاق والمعاملة ، والعلم الشرعي يدعو إلى كل خلق فاضل من الصدق ، والوفاء ومحبة الخير للمؤمنين حتى قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [٢] ، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**» [٣] ، وكثير من الناس عندهم غيرة وحب للخير ،

---

(١) رواه مسلم فى "الأقضية" (٤٤١٣) باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور .

(٢) رواه البخارى فى "الإيمان" (١٣) باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه . ومسلم فى "الإيمان" (١٦٨) باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه . عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٣) رواه مسلم فى "المغازى" (٤٦٩٤) باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول . وأبو داود فى "الفتن" (٤٢٤٨) باب

ولكن لا يسعون الناس بأخلاقهم ، نجده عنده شدة وعنف حتى في مقام الدعوة إلى الله - عز وجل- نجده يستعمل العنف والشدة ، وهـذا خـلاف الأخلاق التى أمـر بها الله - عز وجل - .

واعلم أن حسن الخلق هو ما يقرب إلى الله - عز وجل - وأولى الناس برسول الله ﷺ وأدناهم منه منزلة أحاسنهم أخلاقاً كما قال ﷺ **«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقــون»** . قالــوا : يــا رســول الله ، قــد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال : **«المتكبرون»** [1] .

الأمرالسادس : الدعوة إلى الله :

أن يكون داعياً بعلمه إلى الله - عز وجل - يدعو في كل مناسبة في المساجد ، وفي المجالس ، وفي الأسواق وفي كل مناسبة ، هذا النبي ﷺ بعد أن آتاه الله النبوة والرسالة ما جلس في بيته بل كان يدعو الناس ويتحرك ، وأنا لا أريد من طلبة العلم أن يكونوا نسخاً من كتب ، ولكني أريد منهم أن يكونوا علماء عاملين .

الأمر السابع : الحكمة :

أن يكون متحلياً بالحكمة ، حيث يقول الله تعالي : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (البقرة:الآية ٢٦٩) والحكمة أن يكون طالب العلم مربياً لغيره بما يتخلق به من الأخلاق ، وبما يدعو إليه من دين الله - عز وجل - بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله ، وإذا سلكنا هذا الطريق حصل لنا خير كثير كما قال ربنا - عز وجل- : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (البقرة الآية : ٢٦٩) .

ذكر الفتن ودلائلها ، والنسائى فى "البيعة" (٧ / ١٥٢)باب ذكر ما على من بايع الإمام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه . وابن ماجه فى "الفتن" (٣٩٥٦) باب ما يكون من الفتن .من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

(١) حسن . رواه الترمذى فى "البر والصلة" (٢٠١٨) باب ما جاء فى معالى الأخلاق . عن جابر رضى الله عنه . والثرثار: هو الكثير الكلام تكلفاً . والمتشدق :هو المتكلم بملء شدقه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه . والمتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء ، وهو بمعنى المتشدق لأنه الذى يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه إظهاراً لفصاحته وفضله ، استعلاء على غيره ، لهذا فسَّره النبى ﷺ بالمتكبر .

والحكيم هو: الذي ينزل الأشياء منازلها ؛ لأن الحكيم مأخوذ من الإحكام وهو الإتقان ، وإتقان الشيء أن ينزله منزلته ، فينبغي بل يجب على طالب العلم أن يكون حكيماً في دعوته .

وقد ذكر الله مراتب الدعوة في قوله تعالي: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (النحل: الآية١٢٥) وذكر الله تعالى مرتبة رابعة في جدال أهل الكتاب فقال تعالي: ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ (العنكبوت: الآية٤٦) . فيختار طالب العلم من أساليب الدعوة ما يكون أقرب إلى القبول ، ومثال ذلك في دعوة الرسول ﷺ، جاء أعرابي فبال في جهة من المسجد ، فقام إليه الصحابة يزجرونه ، فنهاهم النبي ﷺولما قضى بوله دعاه النبي وقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن**» [1] أو كما قال النبي ﷺ، أرأيتم أحن من هذه الحكمة؟ فهذا الأعرابي انشرح صدره واقتنع حتى إنه قال «**اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحداً**» .

وقصة أخرى عن معاوية بن الحكم السُلميّ ، قال: بيْنا أنا أصلي مع رسول الله ﷺإذ عطس رجل من القوم ، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت: واثُكل أُمياه! ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يصمتونني ، لكنّي سكت . فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ! ما رأيت معلماً بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني . قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**» [2] ومن هنا نجد أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة كما أمر الله - عز وجل - .

ومثال آخر أن النبي ﷺرأى رجلاً وفي يدة خاتم ذهب وخاتم الذهب حرام على

(١) رواه مسلم في "الطهارة " (٦٤٨)باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد .
(٢) رواه مسلم في "الصلاة " (١١٧٩) باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته . وأبو داود في "الصلاة" (٣/ ١٤) باب الكلام في الصلاة .

الرجال ، فنزعه النبي ﷺ من يده ورمى به ، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده**» ولما انصرف النبي ﷺ قيل للرجل: خذ خاتمك انتفع به ، فقال: والله لا آخذ خاتماً طرحه رسول الله ﷺ [(١)] ، فأسلوب التوجيه هنا أشد ؛ لأن لكل مقام مقالاً ، وهكذا ينبغي لكل من يدعو إلى الله أن ينزل الأمور منازلها وألا يجعل الناس على حد سواء ، والمقصود حصول المنفعة .

وإذا تأملنا ما عليه كثير من الدعاة اليوم وجدنا أن بعضهم تأخذه الغيرة حتى ينفر الناس من دعوته ، لو وجد أحداً يفعل شيئاً محرماً لوجدته يشهر به بقوة وبشدة يقول: ما تخاف الله ، ما تخشى الله ، وما أشبه ذلك حتى ينفر منه ، وهذا ليس بطيب ؛ لأن هذا يقابل بالضد ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لما نقل عن الشافعي - رحمه الله - ما يراه في أهل الكلام ، حينما قال: «**حكمي في أهل الكلام أن ، يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام**» .

قال شيخ الإسلام: إن الإنسان إذا نظر إلى هؤلاء وجدهم مستحقين لما قاله الشافعي من وجه ، ولكنه إذا نظر إليهم بعين القدر والحيرة قد استولت عليهم والشيطان قد استحوذ عليهم ، فإنه يرق لهم ويرحمهم ، ويحمد الله أن عافاه مما ابتلاهم به ، أوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاء ، أو أوتوا فهوماً وما أوتوا علوماً ، أو أوتوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء .

هكذا ينبغي لنا أيها الأخوة أن ننظر إلى أهل المعاصي بعينين: عين الشرع ، وعـ القدر ، عين الشرع أي لا تأخذنا في الله لومة لائم كما قال تعالى عن ا والزاني: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ (النور: الآية ٢) .

ونظر إليهم بعين القدر فنرحمهم ونرق لهم

---

(١) رواه مسلم في "اللباس" (٥٣٧١) باب تحريم خاتم الذهب على الرجال

المقصود وزوال المكروه ، وهذا من آثار طالب العلم بخلاف الجاهل الذي عنده غيرة ، لكن ليس عنده علم ، فطالب العلم الداعية إلى الله يجب أن يستعمل الحكمة .

الأمر الثامن : أن يكون الطالب صابراً على العلم :

أي مثابراً عليه لا يقطعه ولا يمل بل يكون مستمراً في تعلمه بقدر المستطاع ، وليصبر على العلم ، ولا يمل فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك ، ولكن إذا كان مثابراً على العلم فإنه ينال أجر الصابرين من وجه ، وتكون له العاقبة من وجه آخر ، واستمع إلى قول الله - عز وجل - مخاطباً نبيه : ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (هود الآية : ٤٩) .

الأمر التاسع : احترام العلماء وتقديرهم :

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم ، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم ، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأ في اعتقادهم ، وهذه نقطة مهمة جداً ؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين ، ليتخذ منها ما ليس لائقا في حقهم ، ويشوش على الناس سمعتهم ، وهذا أكبر الأخطاء ، كان اغتياب العامي من الناس من كبائر الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر ؛ ، العالم لا يقتصر ضرره على العالم بل عليه وعلى ما يحمله من العلم

في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضاً . وإذا كان
ة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين
الم .

ا ما يجري بين العلماء من الاختلاف على
هم فيما اخطأوا فيه ، ولا مانع أن يتكلموا
لهم الخطأ منهم أومن الذين قالوا إنهم
ور أن قول العالم ...أ ، ثم بعد المناقشة يتبين له

صوابه . والإنسان بشر «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**» [١] .

أما أن يفرح بزلة العالم وخطئه ، ليشيعها بين الناس فتحصل الفرقة ، فإن هذا ليس من طريق السلف .

وكذلك أيضاً ما يحصل من الأخطاء من الأمراء ، لا يجوز لنا أن نتخذ ما يخطئون فيه سلّماً للقدح فيهم في كل شيء ونتغاضى عما لهم من الحسنات ؛ لأن الله يقول في كتابه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا** ﴾ (المائدة:الآية ٨) . يعني لا يحملكم بغض قوم على عدم العدل ، فالعدل واجب ، ولا يحل للإنسان أن يأخذ زلات أحد من الأمراء أو العلماء أو غيرهم فيشيعها بين الناس ، ثم يسكت عن حسناتهم ، فإن هذا ليس بالعدل . وقس هذا الشيء على نفسك لو أن أحداً سلط عليك وصار ينشر زلاتك وسيئاتك ، ويخفي حسناتك وإصاباتك ، لعددت ذلك جناية منه عليك ، فإذا كنت ترى ذلك في نفسك ؛ فإنه يجب عليك أن ترى ذلك في غيرك ، وكما أشرت آنفاً إلى أن علاج ما تظنه خطأ أن تتصل بمن رأيت أنه أخطأ ، وأن تناقشه ، ويتبين الموقف بعد المناقشة .

فكم من إنسان بعد المناقشة يرجع عن قوله إلى ما يكون هو الصواب ، وكم من إنسان بعد المناقشة يكون قوله هو الصواب ، وظننا هو الخطأ . «**فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» [٢] . وقد قال النبي ﷺ : «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**» [٣] ، وهذا هو العدل والاستقامة .

الأمر العاشر : التمسك بالكتاب والسنة :

يجب على طالب العلم الحرص التام على تلقي العلم والأخذ من أصوله التي لا

---

(١) حسن . رواه أحمد (٣ / ١٩٨) والترمذى فى "صفة القيامة " (٢٤٩٩) . وابن ماجه فى "الزهد" (٤٢٥١) باب ذكر التوبة . والحاكم (٤ / ٢٤٤) .

(٢) رواه البخارى فى "الأدب" (٦٠٢٦) باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً . ومسلم فى " البر والصلة" (٦٤٦٢) باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

(٣) سبق تخريجه .

فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها ، وهي :

١ ـ **القرآن الكريم**: فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءةً وحفظاً وفهماً وعملاً به ، فإن القرآن هو حبل الله المتين ، وهو أساس العلوم ، وقد كان السلف يحرصون عليه غاية الحرص فيذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن ، فتجد أحدهم حفظ القرآن وعمره سبع سنوات ، وبعضهم حفظ القرآن في أقل من شهر ، وفي هذا دلالة على حرص السلف - رضوان الله عليهم - على القرآن ، فيجب على طالب العلم الحرص عليه وحفظه على يد أحد المعلمين ؛ لأن القرآن يؤخذ عن طريق التلقي .

وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن ، بل بعضهم لا يحسن القراءة ، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم . لذلك أكرر أنه يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن والعمل به والدعوة إليه وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح .

٢ - **السنة الصحيحة**: فهي ثاني المصدرين للشريعة الإسلامية ، وهي الموضحة للقرآن الكريم ، فيجب على طالب العلم حفظ السنة ، إما بحفظ نصوص الأحاديث أو بدراسة أسانيدها ومتونها وتمييز الصحيح من الضعيف ، وكذلك يكون حفظ السنة بالدفاع عنها والرد على شبهات أهل البدع في السنة .

فيجب على طالب العلم أن يلتزم بالقرآن والسنة الصحيحة ، وهما له - أي طالب العلم - كالجناحين للطائر إذا انكسر أحدهما لم يطر .

لذلك لا تراعي السنة وتغفل عن القرآن ، أو تراعي القرآن وتغفل عن السنة ، فكثير من طلبة العلم يعتني بالسنة وشروحها ورجالها ، ومصطلحاتها اعتناءً كاملاً ؛ لكن لو سألته عن آية من كتاب الله لرأيته جاهلا بها ، وهذا غلط كبير ، فلابد أن يكون الكتاب والسنة جناحين لك يا طالب العلم ، وهناك شيء ثالث مهم وهو كلام العلماء ، فلا تهمل كلام العلماء ولا تغفل عنه ؛ لأن العلماء أشد رسوخاً منك في العلم ، وعندهم من قواعد الشريعة وأسرارها وضوابطها ما ليس عندك ولهذا كان العلماء الأجلاء المحققون إذا ترجح عندهم قول ، يقولون : إن كان أحد قال به وإلا فلا

نقول به ، فمثلا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالي - على علمه وسعة اطلاعه إذا قال قولاً لا يعلم به قائلاً قال: أنا أقول به إن كان قد قيل به ، ولا يأخذ برأيه .

لذا يجب على طالب العلم الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يستعين بكلام العلماء .

والرجوع إلى كتاب الله يكون بحفظه وتدبره والعمل على ما جاء به ؛ لأن الله يقول: ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (ص:الآية ٢٩) ﴿ **لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ** ﴾ وتدبر الآيات يوصل إلى فهم المعنى ، ﴿ **وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ .والتذكر هو العمل بهذا القرآن .

نزل هذا القرآن لهذه الحكمة ، وإذا كان نزل لذلك ؛ فلنرجع إلى الكتاب لنتدبره ولنعلم معانيه ، ثم نطبق ما جاء به ووالله إن فيه سعادة الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالي: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ (طه الآيتان: ١٢٣ ، ١٢٤) .

ولهذا لا تجد أحداً أنعم بالاً ، ولا أشرح صدراً ، ولا أشد طمأنينة في قلبه من المؤمن أبداً ، حتى وإن كان فقيراً ، فالمؤمن أشد الناس انشراحاً ، وأشد الناس اطمئناناً ، وأوسع الناس صدراً واقرؤوا إن شئتم قول الله تعالي: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (النحل:الآية ٩٧) .

ما هي الحياة الطيبة ؟

الجواب: الحياة الطيبة هي انشراح الصدر وطمأنينة القلب ، حتى ولو كان الإنسان في أشد بؤس ، فإنه مطمئن القلب منشرح الصدر ، قال النبي ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له**» [1] .

---

(١) رواه مسلم في "الزهد والرقائق" (٧٣٥٦) باب المؤمن أمره كله خير . عن صهيب رضي الله عنه .

الكافر إذا أصابته الضراء هل يصبر ؟ فالجواب : لا . بل يحزن وتضيق عليه الدنيا ، وربما انتحر وقتل نفسه ، ولكن المؤمن يصبر ويجد لذة الصبر انشراحاً وطمأنينة ؛ ولذلك تكون حياته طيبة ، وبذلك يكون قوله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ .حياة طيبة في قلبه ونفسه .

بعض المؤرخين الذين تكلموا عن حياة الحافظ ابن حجر - رحمه الله - وكان قاضي قضاة مصر في عهده ، وكان إذا جاء إلى مكان عمله يأتي بعربة تجرها الخيول أو البغال في موكب . فمر ذات يوم برجل يهودي في مصر زيات - أي يبيع الزيت - وعادة يكون الزيات وسخ الثياب - فجاء اليهودي فأوقف الموكب . وقال للحافظ ابن حجر - رحمه الله -: إن نبيكم يقول : «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[1] . وأنت قاضي قضاة مصر ، وأنت في هذا الموكب ، وفي هذا النعيم ، وأنا - يعني نفسه اليهودي - في هذا العذاب وهذا الشقاء .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «**أنا فيما أنا فيه من الترف والنعيم يعتبر بالنسبة إلى نعيم الجنة سجناً ، وأما أنت بالنسبة للشقاء الذي أنت فيه يعتبر بالنسبة لعذاب النار جنة**» . فقال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . وأسلم .

- فالمؤمن في خير مهما كان ، وهو الذي ربح الدنيا والآخرة .
- والكافر في شر وهو الذي خسر الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ * وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر) .

فالكفار والذين أضاعوا دين الله وتاهوا في لذاتهم وترفهم ، فهم وإن بنوا القصور وشيدوها وازدهرت لهم الدنيا ؛ فإنهم في الحقيقة في جحيم ، حتى قال بعض السلف : «**لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف**» .

---

(١) رواه مسلم في " الزهد والرقائق " (٧٢٧٤) باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . والترمذي في "الزهد" (٢٣٢٤) باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أما المؤمنون فقد نعموا بمناجاة الله وذكره ، وكانوا مع قضاء الله وقدره ، فإن أصابتهم الضراء صبروا ، وإن أصابتهم السراء شكروا ، فكانوا في أنعم ما يكون ، بخلاف أصحاب الدنيا فإنهم كما وصفهم الله بقوله : ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (التوبة : الآية ٥٨) .

وأما الرجوع إلي السنة النبوية : فسنة الرسول ﷺ ثابتة بين أيدينا ، ولله الحمد ، ومحفوظة ، حتى ما كان مكذوباً علي الرسول ﷺ ، فإن أهل العلم بينوا سنته ، وبينوا ما هو مكذوب عليه ، وبقيت السنة - ولله الحمد - ظاهرة محفوظة ، يستطيع أى إنسان أن يصل إليها إما بمراجعة الكتب - إن تمكن - وإلا ففي سؤال أهل العلم .

ولكن إذا قال قائل: كيف توفق بين ما قلت من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟ مع أننا نجد أن أناساً يتبعون الكتب المؤلفة في المذاهب ويقول: أنا مذهبي كذا ؛ وأنا مذهبي كذا ؛ وأنا مذهبي كذا!! حتى إنك لتفتي الرجل وتقول له: قال النبي ﷺ كذا ، فيقول: أنا مذهبي حنفي ، أنا مذهبي مالكي ، أنا مذهبي شافعي ، أنا مذهبي حنبلي . . . وما أشبه ذلك .

فالجواب: أن نقول لهم إننا جميعا نقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فما معني شهادة أن محمداً رسول الله ؟

قال العلماء: معناها: «**طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهي وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع**» .

فإذا قال إنسان أنا مذهبي كذا أو مذهبي كذا أو مذهبي كذا فنقول له: هذا قول الرسول - عليه الصلاة والسلام - فلا تعارضه بقول أحد .

حتى أئمة المذاهب ينهون عن تقليدهم تقليدا محضاً ويقولون: «**متى تبين الحق فإن الواجب الرجوع إليه**» .

فنقول لمن عارضنا بمذهب فلان أو فلان: نحن وأنت نشهد أن محمداً رسول الله ، وتقتضي هذه الشهادة ألا نتبع إلا رسول الله ﷺ .

وهذه السنة بين أيدينا واضحة جلية ، ولكن لست أعني بهذا القول أن نقلل من أهمية الرجوع لكتب الفقهاء وأهل العلم ، بل إن الرجوع إلى كتبهم للانتفاع بها ومعرفة الطرق التي بها تستنبط الأحكام من أدلتها من الأمور التي لا يمكن أن تحقق طلب العلم إلا بالرجوع إليها .

ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء نجد أن عندهم من الزلات شيئاً كثيراً ؛ لأنهم صاروا ينظرون بنظر أقل مما ينبغي أن ينظروا فيه ، يأخذون مثلا صحيح البخاري فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث ، مع أن في الأحاديث ما هو عام ، ومخصص ، ومطلق ، ومقيد ، وشيء منسوخ ، لكنهم لا يهتدون إلى ذلك ، فيحصل بهذا ضلال كبير .

الأمر الحادي عشر : التثبت والثبات:

ومن أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت فيما ينقل من الأخبار والتثبت فيما يصدر من الأحكام ، فالأخبار إذا نقلت فلابد أن تتثبت أولاً هل صحت عمن نقلت إليه أو لا ، ثم إذا صحت فتثبت في الحكم ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنياً على أصل تجهله أنت ، فتحكم أنه خطأ ، والواقع أنه ليس بخطأ .

ولكن كيف العلاج في هذه الحال ؟

العلاج: أن تتصل بمن نُسب إليه الخبر وتقول نقل عنك كذا وكذا فهل هذا صحيح؟ ثم تناقشه فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته لأنك لاتدري ما سبب هذا المنقول ، ويقال إذا علم السبب بطل العجب ، فلابد أولاً من التثبت في الخبر والحكم ، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل عنه وتسأله هل صح ذلك أم لا؟ ثم تناقشه: إما أن يكون هو على حق وصواب فترجع إليه أو يكون الصواب معك فيرجع إليه .

وهناك فرق بين الثبات والتثبت فهما شيئان متشابهان لفظاً مختلفان معني .

فالثبات معناه: الصبر والمثابرة وألا يمل ولا يضجر وألا يأخذ من كل كتاب نتفة ، أو من كل فن قطعة ثم يترك ؛ لأن هذا الذي يضر الطالب ، ويقطع عليه الأيام بلا فائدة ، فمثلاً بعض الطلاب يقرأ في النحو: في الأجرومية ومرة في متن قطر الندي ،

ومرة في الألفية . وكذلك الحال في: المصطلح ، مرة في النخبة ، ومرة في ألفية العراقي ، وكذلك في الفقه: مرة في زاد المستقنع ، ومرة في عمدة الفقه ، ومرة في المغني ، ومرة في شرح المهذب ، وهكذا في كل كتاب ، وهلم جرا ، هذا في الغالب لا يحصلُ علماً ، ولو حصل علماً فإنه يحصل مسائل لا أصولاً ، وتحصيل المسائل كالذي يتلقط الجراد واحدة بعد الأخرى ، لكن التأصيل والرسوخ والثبات هو المهم ، فكن ثابتاً بالنسبة للكتب التي تقرأ أو تراجع وثابتاً بالنسبة للشيوخ الذين تتلقى عنهم ، لا تكون ذواقاً كل أسبوع عند شيخ ، كل شهر عن شيخ ، قرر أولاً من ستتلقى العلم عنده ، ثم إذا قررت ذلك فاثبت ولا تجعل كل شهر أو كل أسبوع لك شيخاً ، ولا فرق بين أن تجعل لك شيخاً في الفقه وتستمر معه في الفقه ، وشيخا آخر في النحو وتستمر معه في النحو ، وشيخاً آخر في العقيدة والتوحيد وتستمر معه ، المهم أن تستمر لا أن تتذوق ، وتكون كالرجل المطلاق كلما تزوج امرأة وجلس عندها أياماً طلقها وذهب يطلب أخرى .

أيضاً التثبت أمر مهم ؛ لأن الناقلين تارة تكون لهم نوايا سيئة ، ينقلون ما يشوه سمعة المنقول عنه قصداً وعمداً ، وتارة لا يكون عندهم نوايا سيئة ولكنهم يفهمون الشيء على خلاف معناه الذي أريد به ، ولهذا يجب التثبت ، فإذا ثبت بالسند ما نُقل أتى دور المناقشة مع صاحبه الذي نقل عنه قبل أن تحكم على القول بأنه خطأ أو غير خطأ ، وذلك لأنه ربما يظهر لك بالمناقشة أن الصواب مع هذا الذي نُقل عنه الكلام .

والخلاصة أنه إذا نقل عن شخص ما ، ترى أنه خطأ فاسلك طرقاً ثلاثة على الترتيب:

الأول: التثبت في صحة الخبر .

الثاني: النظر في صواب الحكم ، فإن كان صواباً فأيده ودافع عنه ، وإن رأيته خطأ فاسلك الطريق الثالث وهو: الاتصال بمن نسب إليه لمناقشته فيه وليكن ذلك بهدوء واحترام .

الأمر الثاني عشر: *الحرص على فهم مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ:*

من الأمور المهمة في طلب العلم قضية الفهم ، أي فهم مراد الله - عز وجل - ومراد رسوله ﷺ ؛ لأن كثيراً من الناس أوتوا علماً ولكن لم يؤتوا فهماً . لا يكفي أن

تحفظ كتاب الله وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ بدون فهم . لابد أن تفهم عن الله ورسوله ما أراده الله ورسوله ، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله فحصل بذلك الضلال .

وهنا أنبّه على نقطة مهمة ألا وهي : أن الخطأ في الفهم قد يكون أشد خطراً من الخطأ بالجهل ؛ لأن الجاهل الذي يخطئ بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم ، لكن الذي فهم خطأ يعتقد في نفسه أنه عالم مصيب ، ويعتقد أن هذا هو مراد الله ورسوله ، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة ليتبين لنا أهمية الفهم :

المثال الأول : قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الأنبياء الآيتان : ٧٨ ، ٧٩) .

فضَّل الله - عز وجل - سليمان على داود في هذه القضية بالفهم ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ ولكن ليس هناك نقص في علم داود ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وانظر إلى هذه الآية الكريمة لما ذكر الله - عز وجل - ما امتاز به سليمان من الفهم ، فإنه ذكر أيضاً ميزة داود عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ . وذلك حتى يتعادل كل منهما ، فذكر الله تعالى ما اشتركا فيه من الحكم والعلم ثم ذكر ما امتاز به كل واحد منهما عن الآخر .

وهذا يدلنا على أهمية الفهم ، وأن العلم ليس كل شيء .

المثال الثاني : إذا كان عندك وعاءان أحدهما فيه ماء ساخن دافئ ، والآخر فيه ماء بارد قارس ، والفصل فصل الشتاء ، فجاء رجل يريد الاغتسال من الجنابة ، فقال بعض الناس : الأفضل أن تستخدم الماء البارد ، وذلك لأن الماء البارد فيه مشقة ؛ لأن النبي ﷺ قال : «**ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ، قالوا بلي يا رسول الله . قال : إسباغ الوضوء على المكاره**» الحديث [1] .

---

(١) رواه مسلم في "الطهارة" (٥٧٦) باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

يعني إسباغ الوضوء في أيام البرد فإذا أسبغت الوضوء بالماء البارد كان أفضل من أن تسبغ الوضوء بالماء المناسب لطبيعة الجو .

فالرجل أفتى بأن استخدام الماء البارد أفضل واستدل بالحديث السابق .

فهل الخطأ في العلم أم في الفهم ؟

الجواب: أن الخطأ في الفهم ؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**إسباغ الوضوء على المكاره**» ولم يقل: أن تختار الماء البارد للوضوء ، وفرق بين التعبيرين . لو كان الوارد في الحديث التعبير الثاني لقلنا نعم اختر الماء البارد . ولكن قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره**» . أي أن الإنسان لا يمنعه برودة الماء من إسباغ الوضوء .

ثم نقول: هل يريد الله بعباده اليسر أم يريد بهم العسر ؟.

الجواب: في قوله تعالي: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: الآية ١٨٥) وفي قول النبي ﷺ: «**إن الدين يسر**»[١] .

فأقول لطلبة العلم: إن قضية الفهم قضية مهمة ، فعلينا أن نفهم ماذا أراد الله من عباده ؟ هل أراد أن يشق عليهم في أداء العبادات أم أراد بهم اليسر ؟!

ولا شك أن الله - عز وجل - يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر .

فهذه بعض آداب مما ينبغي لطالب العلم أن يكون متأثراً بها في علمه حتي يكون قدوة صالحاً وحتى يكون داعياً إلى الخير وإماماً في دين الله - عز وجل - فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ، كما قال الله تعالي: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة الآية: ٢٤) .

* * * * * * * * * * *

(١) رواه البخارى فى "الإيمان" (٣٩) باب الدين يسر . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

الفصل الثاني

الأسباب المعينة على طلب العلم

الأسباب المعينة على طلب العلم كثيرة، نذكر منها:

أولاً: التقوى:

وهي وصية الله للأولين والآخرين من عباده ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيدا ﴾ (النساء من الآية : ١٣١) .

وهي أيضاً وصية الرسول ﷺ لأمته ، فعن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «**اتقوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم**» [1] . وكان ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ويمن معه من المسلمين خيراً . ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها في خطبهم ومكاتباتهم ووصاياهم عند الوفاة ؛ كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى ابنه عبد الله: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله - عز وجل - فإنه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ؛ ومن شكره زاده - وأوصى علي - رضي الله عنه - رجلاً فقال: (أوصيك بتقوي الله عز وجل الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة) ، وكتب أحد الصالحين إلى أخ له في الله تعالى: أما بعد . . . أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك ، ورقيبك في علانيتك ، فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك . وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك ، واعلم أنك بعينه لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ، ولا من ملكه إلى ملك غيره ، فليعظم منه حذرك وليكثر وجلك والسلام) .

---

(١) صحيح . رواه أحمد (٥/ ٢٥١) والترمذى فى "الطهارة " (٦١٦) كتاب الجمعة . والطبرانى فى "الكبير " (٨ / ١٥٤ / ٧٦٦٤) والحاكم (١ / ٩) وصححه ووافقه الذهبى .

ومعنى التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه . وتقوى العبد ربه : أن يجعل بينه وبين من يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك ، بفعل طاعته واجتناب معاصيه .

واعلم أن التقوى أحياناً تقترن بالبر ، فيقال : بر وتقوى كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (المائدة:الآية ٢) .

وتارة تذكر وحدها فإن قرنت بالبر صار البر فعل الأمر ، والتقوى ترك النواهي .

وإذا أفردت صارت شاملة تعم فعل الأمر واجتناب النواهي ، وقد ذكر الله في كتابه أن الجنة أعدت للمتقين ، فأهل التقوى هم أهل الجنة - جعلنا الله وإياكم منهم - ولذلك يجب على الإنسان أن يتقي الله - عز وجل - امتثالاً لأمره ، وطلباً لثوابه ، والنجاة من عقابه . قال الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الأنفال:الآية ٢٩) .

وهذه الآية فيها ثلاث فوائد مهمة:

الفائدة الأولى: ﴿ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانا ﴾ أي يجعل لكم ما تُفرقون به بين الحق والباطل ، وبين الضار والنافع ، وهذا يدخل فيه العلم بحيث يفتح الله على الإنسان من العلوم ما لا يفتح لغيره ، فإن التقوى يحصل بها زيادة الهدى ، وزيادة العلم ، وزيادة الحفظ ، ولهذا يذكر عن الشافعي - رحمه الله - أنه قال :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ::: فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ::: ونور الله لا يؤتاه عاصي

ولا شك أن الإنسان كلما ازداد علماً ازداد معرفة وفرقاناً بين الحق والباطل ، والضار والنافع ، وكذلك يدخل فيه ما يفتح الله على الإنسان من الفهم ؛ لأن التقوى سبب لقوة الفهم ، وقوة الفهم يحصل بها زيادة العلم ، فإنك ترى الرجلين يحفظان آية من كتاب الله يستطيع أحدهما أن يستخرج منها ثلاثة أحكام ، ويستطيع الآخر أن يستخرج أكثر من هذا بحسب ما أتاه الله من الفهم .

فالتقوى سبب لزيادة الفهم ، ويدخل في ذلك أيضاً الفراسة أن الله يعطي المتقي

فراسة يميز بها حتى بَيْن الناس .

فبمجرد ما يرى الإنسان يعرف أنه كاذب أو صادق ، أو بر أو فاجر حتى أنه ربما يحكم على الشخص وهو لم يعاشره ، ولم يعرف عنه شيئاً بسبب ما أعطاه الله من الفراسة .

الفائدة الثانية: ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ . (الأنفال الآية: ٢٩) وتكفير السيئات يكون بالأعمال الصالحة ، فإن الأعمال الصالحة تكفر الأعمال السيئة كما قال النبي ﷺ : «**الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر**» [١] .

وقال الرسول ﷺ : «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**» [٢] . فالكفارة تكون بالأعمال الصالحة ، وهذا يعني أن الإنسان إذا اتقي الله سهل له الأعمال الصالحة التي يكفّر الله بها عنه .

الفائدة الثالثة: ﴿ ويغفر لكم ﴾ بأن ييسركم للاستغفار والتوبة ، فإن هذا من نعمة الله على العبد أن ييسر للاستغفار والتوبة .

ثانياً: المثابرة والاستمرار على طلب العلم:

يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه وأن يحتفظ به بعد تحصيله ، فإن العلم لا ينال براحة الجسم ، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم وهو مثاب على ذلك ؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقا إلى الجنة**» [٣] . فليثابر طالب العلم ويجتهد ويسهر الليالي ويدع عنه كل ما يصرفه أو يشغله عن طلب العلم .

---

(١) رواه مسلم فى "الطهارة " (٥٤١) باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى فى "العمرة " (١٧٧٣) باب العمرة . ومسلم فى "الحج " (٣٢٣١) باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) رواه مسلم فى "الدعوات" (٩٧٢٦) باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وللسلف الصالح قضايا مشهورة في المثابرة على طلب العلم حتى أنه يروى عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه سئل بما أدركت العلم؟ قال: بلسان سؤول ، وقلب عقول ، وبدن غير مئول وعنه أيضا - رضي الله عنه - قال: « ... **إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه - وهو قائل - فأتوسد ردائي على بابه ، تسفي الريح على من التراب ، فيخرج فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث**» . فابن عباس - رضي الله عنه - تواضع للعلم فرفعه الله به .

وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يثابر المثابرة الكبيرة ، ويروى أيضاً عن الشافعي - رحمه الله - أنه استضافه الإمام أحمد ذات ليلة فقدم له العشاء ، فأكل الشافعي ثم تفرق الرجلان إلى منامهما ، فبقي الشافعي - رحمه الله - يفكر في استنباط أحكام من حديث ، وهو قول النبي ﷺ: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**» [1] . أبو عمير كان معه طائر صغير يسمي النغير ، فمات هذا الطائر فحزن عليه الصبي ، وكان النبي ﷺ يداعب الصبيان ويكلم كل إنسان بما يليق به ، فظل طول الليل يستنبط من هذا الحديث ويقال إنه استنبط منه أكثر من ألف فائدة ، ولعله إذا استنبط فائدة جر إليها حديثاً آخر ، وهكذا حتى تتم فلما أذّن الفجر قام الشافعي - رحمه الله - ولم يتوضأ ثم انصرف إلى بيته ، وكان الإمام أحمد يثني عليه عند أهله فقالوا له: يا أبا عبد الله كيف تثني على هذا الرجل الذي أكل فشرب ونام ولم يقم ، وصلى الفجر بدون وضوء؟ فسأل الإمام الشافعي فقال: (أما كوني أكلت حتى أفرغت الإناء فذلك لأني ما وجدت طعاماً أطيب من طعام الإمام أحمد فأردت أن أملأ بطني منه ، وأما كوني لم أقم لصلاة الليل فإن العلم أفضل من قيام الليل ، وقد كنت أفكر في هذا الحديث ، وأما كوني لم أتوضأ لصلاة الفجر فكنت على وضوء من صلاة العشاء) ولا يحب أن يكلفهم بماء الوضوء .

أقول على كل حال ، إن المثابرة في طلب العلم أمر مهم ، فلننظر في حاضرنا الآن هل نحن على هذه المثابرة؟ لا . أما الذين يدرسون دراسة نظامية إذا انصرفوا من

---

(١) رواه البخاري في "الأدب " (٦١٢٩) باب الانبساط إلى الناس . عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

الدراسة ربما يتلهون بأشياء لا تعين على الدرس ، وإني أضرب مثلا وأحب ألا يكون وألا يوجد له نظير ، أحد الطلبة في بعض المواد أجاب إجابة سيئة ، فقال المدرس: لماذا؟ فقال: لأني قد أيست من فهم هذه المادة ، فأنا لا أدرسها ولكن أريد أن أكون حاملاً لها ، كيف اليأس؟ وهذا خطأ عظيم ، يجب أن نثابر حتى نصل إلى الغاية .

وقد حدثني شيخنا المثابر عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - أنه ذُكر عن الكسائي إمام أهل الكوفة في النحو أنه طلب النحو فلم يتمكن ، وفي يوم من الأيام وجد نملة تحمل طعاماً لها وتصعد به إلى الجدار وكلما صعدت سقطت ، ولكنها ثابرت حتى تخلصت من هذه العقبة وصعدت الجدار ، فقال الكسائي: هذه النملة ثابرت حتى وصلت الغاية ، فثابر حتى صار إماماً في النحو .

ولهذا ينبغي لنا أيها الطلبة أن نثابر ولا نيأس فإن اليأس معناه سد باب الخير ، وينبغي لنا ألا نتشاءم بل نتفاءل وأن نعد أنفسنا خيراً .

ثالثاً: الحفظ:

فيجب على طالب العلم الحرص على المذاكرة وضبط ما تعلمه إما بحفظه في صدره ، أو كتابته ، فإن الإنسان عرضة للنسيان ، فإذا لم يحرص على المراجعة وتكرر ما تعلمه فإن ذلك يضيع منه وينساه وقد قيل:

العلم صيد والكتابة قيده ::: قيد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة ::: وتتركها بين الخلائق طالقة

ومن الطرق التي تعين على حفظ العلم وضبطه أن يهتدي الإنسان بعلمه ، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُم ﴾ (محمد ، الآية: ١٧) .

وقال ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً ﴾ (مريم الآية: ٧٦)

فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله حفظاً وفهماً ، لعموم قوله: ﴿ **زادهم هدى** ﴾ .

رابعاً: ملازمة العلماء:

يجب على طالب العلم أن يستعين بالله - عز وجل - ثم بأهل العلم ، ويستعين

بما كتبوا في كتبهم ؛ لأن الاقتصار على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل بخلاف من جلس إلى عالم يبين له ويشرح له وينير له الطريق ، وأنا لا أقول إنه لا يدرك العلم إلا بالتلقي من المشائخ ، فقد يدرك الإنسان بالقراءة والمطالعة لكن الغالب أنه إذا ما أكب إكباباً تاماً ليلاً ورزق الفهم فإنه قد يخطء كثيراً ولهذا يقال : (من كان دليله كتابه فخطئه أكثر من صوابه) ، ولكن هذا ليس على الإطلاق في الحقيقة .

ولكن الطريقة المثلى أن يتلقى العلم على المشائخ ، وأنا أنصح طالب العلم أيضاً ألا يتلقف من كل شيخ في فن واحد ، مثل أن يتعلم الفقه من أكثر من شيخ ؛ لأن العلماء يختلفون في طريقة استدلالهم من الكتاب والسنة ، ويختلفون في آرائهم أيضاً ، فأنت تجعل لك عالماً تتلقى علمه في الفقه أو البلاغة وهكذا ، أي تتلقى العلم في فن واحد من شيخ واحد ، وإذا كان الشيخ عنده أكثر من فن فتلتزم معه ، لأنك إذا تلقيت علم الفقه مثلاً من هذا وهذا واختلفوا في رأيهم فماذا يكون موقفك وأنت طالب؟ يكون موقفك الحيرة والشك ، لكن التزامك بعالم في فن معين فهذا يؤدي إلى راحتك .

* * * * * * * * * * *

الباب الثالث

في طرق تحصيل العلم وأخطاء يجب الحذر منها

الفصل الأول

طريق تحصيل العلم

من المعلوم أن الإنسان إذا أراد مكاناً فلا بد أن يعرف الطريق الموصل إليه ، وإذا تعددت الطرق فإنه يبحث عن أقربها وأيسرها ؛ لذلك كان من المهم لطالب العلم أن يبني طلبه للعلم على أصول ، ولا يتخبط عشواء ، فمن لم يتقن الأصول حرم الوصول ، قال الناظم [1]:

وبعد فالعلم بحور زاخرة ::: لن يبلغ الكادح فيه آخره

لكن في أصوله تسهيلاً ::: لنيله فاحرص تجد سبيلاً

اغتنم القواعد الأصولا ::: فمن تفته يحرم الوصولا

فالأصول هي: العلم والمسائل فروع ، كأصل الشجرة وأغصانها إذا لم تكن الأغصان على أصل جيد فإنها تذبل وتهلك .

لكن ما هي الأصول؟

هل هى الأدلة الصحيحة؟

أو هي القواعد والضوابط ؟

أو كلاهما ؟

الجواب: الأصول هي أدلة الكتاب والسنة ، والقواعد والضوابط المأخوذة بالتتبع والاستقراء من الكتاب والسنة ، وهذه من أهم ما يكون لطالب العلم ، مثلاً المشقة تجلب التيسير هذا من الأصول مأخوذ من الكتاب والسنة . من الكتاب من قوله

---

(١) الناظم: هو الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - وهذا الأبيات من منظومته فى "القواعد الفقهية " وقد قمت بالتعليق على هذه المنظومة .وطبعت بمكتبة الإيمان بالمنصورة .

تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: الآية ٧٨) ومن السنة: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمران بن حصين: «**صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع على جنب**»[١]. وقوله ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[٢]. هذا أصل لو جاءتك ألف مسألة بصور متنوعة لأمكنك أن تحكم على هذه المسائل بناء على هذا الأصل، ولكن لو لم يكن عندك هذا الأصل وتأتيك مسألتان أشكل عليك الأمر.

ولنيل العلم طريقان:

أحدهما: أن يتلقى ذلك من الكتب الموثوق بها، والتي ألفها علماء معروفون بعلمهم، وأمانتهم، وسلامة عقيدتهم من البدع والخرافات.

وأخذ العلم من بطون الكتب لا بد أن الإنسان يصل فيه إلى غاية ما. لكن هناك عقبتان:

العقبة الأولى: الطول، فإن الإنسان يحتاج إلى وقت طويل، ومعاناة شديدة، وجهد جهيد حتى يصل إلى ما يرومه من العلم، وهذه عقبة قد لا يقوى عليها كثير من الناس، لاسيما وهو يرى مَنْ حوله قد أضاعوا أوقاتهم بلا فائدة، فيأخذه الكسل ويكل ويمل ثم لا يدرك ما يريد.

العقبة الثانية: أن الذي يأخذ العلم من بطون الكتب علمه ضعيف غالباً، لا ينبني عليه قواعد أو أصول، ولذلك نجد الخطأ الكثير من الذي يأخذ العلم من بطون الكتب لأنه ليس له قواعد وأصول يقُعد عليها ويبني عليها الجزئيات التي في الكتاب والسنة نجد بعض الناس يمر بحديث ليس مذكوراً في كتب الحديث المعتمدة فى الصحاح والمسانيد وهذا الطريق يخالف ما في هذه الأصول المعتمدة عند أهل العلم، بل عند الأمة، ثم يأخذ بهذا الحديث ويبني عقيدته عليه، وهذا لاشك أنه خطأ؛ لأن

---

(١) رواه البخارى فى "تقصير الصلاة" (١١١٧) باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب.

(٢) رواه البخارى فى "الاعتصام" (٧٢٨٨) باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ. ومسلم فى "الحج" (٣١٩٩) باب فرض الحج مرة فى العمر. عن أبى هريرة رضى الله عنه.

الكتاب والسنة لهما أصول تدور عليها الجزئيات ، فلابد أن تُرَدُّ هذه الجزئيات إلى أصول ، بحيث إذا وجدنا في هذه الجزئيات شيئاً مخالفاً لهذه الأصول لا يمكن الجمع فيها ، فإننا ندع هذه الجزئيات .

الثاني: من طرق تحصيل العلم أن تتلقى ذلك من معلم موثوق في علمه ودينه ، وهذا الطريق أسرع وأتقن للعلم ؛ لأن الطريق الأول قد يضل فيه الطالب وهو لا يدري إما لسوء فهمه ، أو قصور علمه ، أو لغير ذلك من الأسباب ، أما الطريق الثاني فيكون فيه المناقشة والأخذ والرد مع المعلم فينفتح بذلك للطالب أبواب كثيرة في الفهم ، والتحقيق ، وكيفية الدفاع عن الأقوال الصحيحة ، ورد الأقوال الضعيفة ، وإذا جمع الطالب بين الطريقين كان ذلك أكمل وأتم ، وليبدأ الطالب بالأهم فالأهم ،

وبمختصرات العلوم قبل مطولاتها حتى يكون مترقياً من درجة إلى درجة أخرى فلا يصعد إلى درجة حتى يتمكن من التي قبلها ليكون صعوده سليماً .

* * * * * * * * * * *

الفصل الثاني

أخطاء يجب الحذر منها

وهناك أخطاء يرتكبها بعض طلبة العلم:

منها الحسد:

وهو: كراهة ما أنعم الله به على غيره، وليس هو تمني زوال نعمة الله على الغير، بل هو مجرد أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره، فهذا هو الحسد سواء تمنى زواله أو أن يبقى ولكنه كاره له.

كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقال: «**الحسد كراهة الإنسان ما أنعم الله به على غيره**».

والحسد قد لا تخلو منه النفوس، يعني قد يكون اضطرارياً للنفس، ولكن جاء في الحديث: «**إذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت لا تحقق**» [1]، يعني أن الإنسان يجب عليه إذا رأى من قلبه حسداً للغير ألا يبغي عليه بقول أو فعل، فإن ذلك من خصال اليهود الذين قال الله عنهم: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً** ﴾ (النساء الآية: ٥٤)

ثم إن الحاسد يقع في محاذير:

أولاً: كراهته ماقدره الله، فإن كراهته ما أنعم الله به على هذا الشخص كراهة لما قدره كوناً، ومعارضة لقضاء الله - عز وجل -.

ثانيا: أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب؛ لأن الغالب أن الحاسد يعتدي على المحسود بذكر ما يكره وتنفير الناس عنه، والحط من قدره وما أشبه ذلك، وهذا من كبائر الذنوب التي قد تحيط بالحسنات.

ثالثا: ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم والنار التي تأكله أكلاً، فكلما

---

(١) ضعيف. رواه ابن عدى فى "الكامل" (٤ / ٣١٥) وأبو بكر الشافعى فى "الفوائد" (٤ / ٣٩ / ٢) وفى سنده عبد الرحمن بن سعد بن عمار المؤذن وهو ضعيف كما فى "التقريب" (١ / ٤٨١/٤٨).

رأى نعمة من الله على هذا المحسود اغتم وضاق صدره ؛ وصار يراقب هذا الشخص كلما أنعم الله عليه بنعمة حزن واغتم وضاقت عليه الدنيا .

رابعا: أن في الحسد تشبهاً باليهود ، معلوم أن من أتى خصلة من خصال الكفار صار منهم في هذه الخصلة ، لقول النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» [1] .

خامساً: أنه مهما كان حسده ومهما قوي لا يمكن أبداً أن يرفع نعمة الله عن الغير ، إذا كان هذا غير ممكن فكيف يقع في قلبه الحسد .

سادساً: أن الحسد ينافي كمال الإيمان لقول النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [2] ولازم هذا أن تكره أن تزول نعمة الله على أخيك ، فإذا لم تكن تكره أن تزول نعمة الله عليك فأنت لم تحب لأخيك ما تحب لنفسك وهذا ينافي كمال الإيمان .

سابعاً: أن الحسد يوجب إعراض العبد عن سؤال الله تعالى من فضله ، فتجده دائما مهتماً بهذه النعمة التي أنعم الله بها على غيره ولا يسأل الله من فضله ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (النساء الآية : ٣٢) .

ثامناً: أن الحسد يوجب ازدراء نعمة الله عليه ، أي أن الحاسد يرى أنه ليس في نعمة ، وأن هذا المحسود في نعمة أكبر منه ، وحينئذ يحتقر نعمة الله عليه فلا يقوم بشكرها بل يتقاعس .

تاسعا: الحسد خلق ذميم ؛ لأن الحاسد يتتبع نعم الله على الخلق في مجتمعه ، ويحاول بقدر ما يمكنه أن يحول بين الناس وبين هذا المحسود بالحط من قدره أحياناً ، وبازدراء ما يقوم به من الخير أحياناً إلى غير ذلك .

عاشراً: إن الحاسد إذا حسد فالغالب أن يعتدي على المحسود وحينئذ يأخذ

---

(١) حسن . رواه أحمد (٢ / ٥٠ ، ٩٢) وأبو داود فى "اللباس" (٤٠٣١) باب فى لبس الشهرة . وابن أبى شيبة فى "المصنف" (٧ / ١٥٠ / ١) وعبد بن حميد فى "المنتخب من المسند" (٨٤٨) عن ابن عمر رضى الله عنه .

(٢) سبق تخريجه .

المحسود من حسناته ، فإن بقي من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئاته فطُرح عليه ثم طُرح في النار .

والخلاصة: أن الحسد خلق ذميم ، ومع الأسف أنه أكثر من يوجد بين العلماء وطلبة العلم ، ويوجد بين التجار فيحسد بعضهم البعض ، وكل ذي مهنة يحسد من شاركه فيها ، لكن مع الأسف أنه بين العلماء أشد وبين طلبة العلم أشد مع أنه كان الأولى والأجدر أن يكون أهل العلم أبعد الناس عن الحسد وأقرب الناس إلى كمال الأخلاق .

وأنت يا أخي إذا رأيت الله قد أنعم على عبده نعمة ما فاسع أن تكون مثله ولا تكره من أنعم الله عليه فقل: اللهم زده من فضلك وأعطني أفضل منه ، والحسد لا يغير شيئاً من الحال لكنه كما ذكرنا آنفاً فيه هذه المفاسد وهذه المحاذير العشرة ، ولعل من تأمل وجد أكثر والله المستعان .

ومنها: الإفتاء بغير علم:

الإفتاء منصب عظيم ، به يتصدى صاحبه لبيان ما يشكل على العامة من أمور دينهم ، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم ؛ لذلك كان هذا المنصب العظيم لا يتصدر له إلا من كان أهلاً له لذلك يجب على العباد أن يتقوا الله تعالى وأن لا يتكلموا إلا عن علم وبصيرة ، وأن يعلموا أن الله وحده له الخلق والأمر ، فلا خالق إلا الله ، ولا مدبر للخلق إلا الله ولا شريعة للخلق سوى شريعة الله ، فهو الذي يوجب الشيء ، وهو يحرمه ، وهو الذي يندب إليه ويحلله ، ولقد أنكر الله على من يحللون ويحرمون بأهوائهم فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (يونس الآيتان: ٥٩ ، ٦٠) وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النحل:الآيتان ١١٦ ، ١١٧) .

وإن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال وهو لا يدري ما

حكم الله فيه ، أو يقول عن الشيء إنه حرام وهو لا يدري عن حكم الله فيه ، أو يقول عن الشيء إنه واجب وهو لا يدري أن الله أوجبه ، ويقول عن الشيء إنه غير واجب هو لا يدري أن الله لم يوجبه ، إن هذه جناية وسوء أدب مع الله - عز وجل - .

كيف تعلم أيها العبد أن الحكم لله ثم تتقدم بين يديه فتقول في دينه وشريعته ما لا تعلم ؟ لقد قرن الله القول عليه بلا علم بالشرك به ، فقال سبحانه : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأعراف:الآية ٣٣) .

وإن كثيراً من العامة يفتي بعضهم بعضاً بما لا يعلمون فتجدهم يقولون هذا حلال ، أو حرام ، أو واجب ، أو غير واجب ، وهم لا يدرون عن ذلك شيئاً ، أفلا يعلم هؤلاء أن الله تعالى سائلهم عما قالوا يوم القيامة .

أفلا يعلم هؤلاء أنهم إذا أضلوا شخصاً فأحلوا له ما حرم الله ، أو حرَّموا ما أحل الله له فقد باءوا بإثمه وكان عليهم مثل وزر ما عمل وذلك بسبب ما أفتوه به .

وإن بعض العامة يجني جناية أخرى فإذا رأى شخصاً يريد أن يستفتي عالماً يقول له هذا العامي لا حاجة أن تستفتي ، هذا أمر واضح ، هذا حرام مع أنه في الواقع حلال فيحرِّمه ما أحل الله له ، أو يقول له : هذا واجب فيلزمه بما لم يلزمه الله به ، أو يقول هذا غير واجب في شريعة الله فيسقط عنه ما أوجب الله عليه ، أو يقول هذا حلال وهو في الواقع حرام ، وهذه جناية منه على شريعة الله ، وخيانة لأخيه المسلم حيث أفتاه بدون علم ، أرأيتم لو أن شخصاً سأل عن طريق بلد من البلدان ، فقلت الطريق من هنا وأنت لا تعلم أفلا يعد الناس ذلك خيانة منك؟ فكيف تتكلم عن طريق الجنة وهو الشريعة التي أنزل الله وأنت لا تعلم عنها شيئاً؟!

وإن بعض المتعلمين أنصاف العلماء يقعون فيما يقع فيه العامة من الجرأة على الشريعة في التحليل والتحريم والإيجاب فيتكلمون فيما لا يعلمون ، ويجملون في الشريعة ويفصلون ، وهم من أجهل الناس في أحكام الله ، إذا سمعت الواحد منهم يتكلم فكأنما ينزل عليه الوحي فيما يقول من جزمه وعدم تورعه ، لا يمكن أن ينطق ويقول : لا أدري

مع أن عدم العلم هو صفة الحق الثابت ومع ذلك يصر بناء على جهله على أنه عالم فيضر العامة ؛ لأن الناس ربما يثقون بقوله ويغترون به ، وليت هؤلاء القوم يقتصرون على نسبة الأمر إليهم لا بل تراهم ينسبون ذلك للإسلام فيقولون: الإسلام يقول كذا الإسلام يرى كذا ، وهذا لا يجوز إلا فيما علم القائل أنه من دين الإسلام ، ولا طريق إلى ذلك إلا بمعرفة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أو إجماع المسلمين عليه .

إن بعض الناس لجرأته وعدم ورعه وعدم حيائه من الله وعدم خوفه منه يقول عن الشيء المحرم الواضح تحريمه ما أظن هذا حرام ، أو عن الشيء الواجب والواضح وجوبه يقول ما أظن هذا واجباً ، إما جهلاً منه ، أو عناداً ومكابرة ، أو تشكيكاً لعباد الله في دين الله .

أيها الإخوة: إن من العقل والإيمان ومن تقوى الله وتعظيمه أن يقول الرجل عما لا يعلم لا أعلم ، لا أدري ، اسأل غيري ، إن ذلك من تمام العقل ؛ لأن الناس إذا رأوا تثبته وثقوا به ، ولأنه يعرف قدر نفسه حينئذ وينزلها منزلتها ، وإن ذلك أيضاً من تمام الإيمان بالله وتقوى الله حيث لا يتقدم بين يدي ربه ولا يقول عليه في دينه مالا يعلم ، ولقد كان رسول الله ﷺ وهو أعلم الخلق بدين الله كان يسأل عما لا ينزل عليه فيه الوحى فينتظر حتى ينزل عليه الوحي فيجيب الله سبحانه عما سئل عنه نبيه ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** ﴾ (المائدة:الآية ٤) ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾ (الكهف الآية : ٨٣) ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ (الأعراف:الآية ١٨٧) ولقد كان الأجلاء من الصحابة ، تعرض لهم المسألة لا يدرون حكم الله فيها فيهابونها ويتوقفون فيها .

فها هو أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - يقول: «**أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله بغير علم**» .

وها هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تنزل به الحادثة فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها ، قال ابن سيرين: لم يكن أحد أهيب مما لا يعلم من أبي بكر ، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر ، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه-: «**أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به ، ومن لم يكن عنده علم فليقل الله**

أعلم ، **فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم**» . وسئل الشعبي عن مسألة فقال : لا أحسنها ، فقال له أصحابه : قد استحيينا لك ، فقال : لكن الملائكة لم تستح حين قالت : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ (البقرة : الآية ٣٢) .

وهناك أمثلة كثيرة على الإفتاء بغير علم ، ومنها : أن المريض إذا تنجست ثيابه ولم يمكن أن يطهرها يفتى بأنه لا يصلي حتى يطهر ثيابه ، وهذه فتوى كاذبة خاطئة باطلة ، فالمريض يصلي ولو كان عليه ثياب نجسة ، ولو كان بدنه نجساً إذا كان لا يستطيع أن يطهر ذلك ؛ لأن الله يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن : الآية ١٦) فيصلي المريض على حسب حاله وعلى حسب ما يقدر عليه ، يصلي قائماً ، فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنبه يومئ برأسه إذا استطاع ، فإن لم يستطع أومأ بعينه عند بعض أهل العلم ، فإن لم يستطع الإيماء بعينه وكان معه عقله فلينو الفعل بقلبه وليقل القول بلسانه مثلا : يقول الله أكبر ثم يقرأ الفاتحة وسورة ، ثم يقول : الله أكبر وينوى أنه راكع ، ثم يقول سمع الله لمن حمده وينوي أنه رفع الركوع ، ثم يقول هكذا في السجود وبقية أفعال الصلاة ، ينوي الفعل الذي لا يقدر عليه ، ينويه بقلبه ولا يؤخر الصلاة عن وقتها .

وبسبب هذه الفتوى الكاذبة الخاطئة يموت بعض المسلمين وهم لا يصلون من أجل هذه الفتوى الكاذبة ، ولو أنهم علموا أن الإنسان المريض يصلي على أي حال لماتوا وهم يصلون .

ومثل هذه المسألة وأشباهها كثير فيجب على العامة أن يتلقوا أحكامها من أهل العلم حتى يعرفوا بذلك حكم الله - عز وجل - وحتى لا يقولوا في دين الله ما لا يعلمون .

ومنها: الكبر :

وقد فسره النبي ﷺ بأجمع التفسير وأبينه وأوضحه فقال : «**الكبر بطَرُ الحق وغمْطُ الناس**» [1] .

وبطر الحق هو : رد الحق ، وغمط الناس يعني احتقارهم ، ومن الكبرياء ردك

---

(١) رواه مسلم فى "الإيمان" (٢٥٩) باب بيان تحريم الكبر وبيانه . والترمذى فى "البر والصلة " (١٩٩٩) باب ما جاء فى الكبر . عن ابن مسعود رضى الله عنه .

على معلمك ، والتطاول عليه وسوء الأدب معه ، وأيضا استنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء ، وهذا يقع لبعض الطلبة إذا أخبره أحد بشيء وهو دونه في العلم استنكف ولم يقبل ، وتقصيرك عن العمل بالعلم عنوان حرمان - نسأل الله العافية - :

وفي هذا يقول القائل :

العلـــم حـــربٌ للفتى المتعـــالي ::: كالسيل حربٌ للمكـــان العـــالي

ومعنى البيت :

أن الفتى المتعالي لا يمكن أن يدرك العلم ؛ لأن العلم حرب له كالسيل حرب للمكان العالي ، لأن المكان العالي ينفض عنه السيل يميناً وشمالاً ولا يستقر عليه ، كذلك العلم لا يستقر مع الكبر والعلو ، وربما يسلبُ العلم بسبب ذلك .

ومنها: التعصب للمذاهب والآراء:

فيجب على طالب العلم أن يتخلى عن : الطائفية والحزبية بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينة أو على حزب معين فهذا لا شك خلاف منهج السلف ، فالسلف الصالح ليسوا أحزاباً بل هم حزب واحد ، ينضوون تحت قول الله - عز وجل- : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الحج : الآية ٧٨) .

فلا حزبية ولا تعدد ، ولا موالاة ، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة ، فمن الناس مثلاً من يتحزب إلى طائفة معينة ، يقرر منهجها ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلاً عليه ، ويحامي دونها ، ويضلل من سواه حتى وإن كانوا أقرب إلى الحق منها ، ويأخذ مبدأ : من ليس معي فهو علي ، وهذا مبدأ خبيث ؛ لأن هناك وسطاً بين أن يكون لك أو عليك ، وإذا كان عليك بالحق ، فليكن عليك وهو في الحقيقة معك ؛ لأن النبي ﷺ قال : «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» [1] . ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم ، فلا حزبية في الإسلام ، ولهذا لما ظهرت الأحزاب في المسلمين ، وتنوعت الطرق ، وتفرقت الأمة ، وصار بعضهم يضلل بعضاً ، ويأكل لحم أخيه ميتاً ، لحقهم الفشل كما قال الله تعالي : ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

---

(١) رواه البخاري في "المظالم" (٢٤٤٣) باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(الأنفال: الآية ٤٦) لذلك نجد بعض طلاب العلم يكون عند شيخ من المشايخ ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل ويعادي من سواه ، ويضلله ويبدعه ، ويرى أن شيخه هو العالم المصلح ، ومن سواه إما جاهل أو مفسد ، وهذا غلط كبير ، بل يجب أخذ قول من وافق قوله الكتاب والسنة وقول أصحاب رسول الله ﷺ .

ومنها: التصدر قبل التأهل:

مما يجب الحذر منه أن يتصدر طالب العلم قبل أن يكون أهلاً للتصدر ؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:

الأمر الأول: إعجابه بنفسه حيث تصدر فهو يرى نفسه عَلَم الأعلام .

الأمر الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته للأمور . لأنه إذا تصدر ، ربما يقع في أمر لا يستطيع الخلاص منه ، إذ أن الناس إذا رأوه متصدراً أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره .

الأمر الثالث: أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم . لأن الغالب أن من كان هذا قصده ، أنه لا يبالي ويجيب على كل ما سُئِلَ ويخاطر بدينه وبقوله على الله - عز وجل - بلا علم .

الأمر الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق . لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره ولو كان معه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بعالم .

ومنها: سوء الظن:

فيجب على طالب العلم الحذر من أن يظن بغيره ظناً سيئاً مثل أن يقول: لم يتصدق هذا إلا رياء ، لم يلق الطالب هذا السؤال إلا رياءً ليعرف أنه طالب فاهم ، وكان المنافقون إذا أتى المتصدق من المؤمنين بالصدقة ، إن كانت كثيرة قالوا: مراءٍ ، وإذا كانت قليلة قالوا: إن الله غني عن صدقة هذا كما قال الله عنهم: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (التوبة الآية: ٧٩) فإياك وسوء الظن بمن ظاهره العدالة ، ولا فرق بين أن تظن ظناً سيئاً بمعلمك أو بزميلك ، فإن الواجب إحسان الظن

بمن ظاهره العدالة ، أما من ظاهره غير العدالة فلا حرج أن يكون في نفسك سوء ظن به ، لكن مع ذلك عليك أن تتحقق حتى يزول ما في نفسك من هذا الوهم ؛ لأن بعض الناس قد يسيء الظن بشخصٍ ما بناء على وهم كاذب لا حقيقة له .

فالواجب إذا أسأت الظن بشخص ، سواء من طلبة العلم أو غيرهم ، الواجب أن تنظر هل هناك قرائن واضحة تسوغ لك سوء الظن فلا بأس ، وأما إذا كان مجرد أوهام فإنه لا يحل لك أن تسيء الظن بمسلم ظاهره العدالة ، قال تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ ﴾ (الحجرات:الآية ١٢) لم يقل كل الظن ؛ لأن بعض الظنون لها أصل ولها مبرر.

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ وليس كل الظن ، فالظن الذي يحصل فيه العدوان على الغير لا شك أنه إثم ، وكذلك الظن الذي لا مستند له ، وأما إذا كان له مستند فلا بأس أن تظن الظن السيء بحسب القرائن والأدلة .

لذلك ينبغي للإنسان أن ينزل نفسه منزلتها ، وأن لا يدنسها بالأقذار ، وأن يحذر هذه الأخطاء مما تقدم ؛ لأن طالب العلم شرَّفه الله بالعلم وجعله أسوة وقدوة ، حتى أن الله رد أمور الناس عند الإشكال إلى العلماء فقال: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء:الآية ٧) وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء:الآية ٨٣) فالحاصل أنك يا طالب العلم محترم ، فلا تنزل بنفسك إلى ساحة الذل والضعة ، بل كن كما ينبغي أن تكون .

* * * * * * * * * * *

الباب الرابع

في كتب طالب العلم وفتاوى حول العلم وفوائده

الفصل الأول

كتب طالب العلم

قبل البدء في هذا الفصل لابد أن نبين بعض الأمور المهمة لطالب العلم وهي:

الأمر الأول: كيف تتعامل مع الكتاب؟

التعامل مع الكتاب يكون بأمور:

الأول: معرفة موضوعه: حتى يستفيد الإنسان منه ؛ لأنه يحتاج إلى التخصص ، ربما يكون كتاب سحر أو شعوذة أو باطل ، فلا بد من معرفة موضوع الكتاب حتى تحصل الفائدة منه .

الثاني: معرفة مصطلحاته: لأن معرفة المصطلحات يحصل بها أنك تحفظ أوقاتاً كثيرة ، وهذا يفعله العلماء في مقدمات الكتب ، فمثلاً نعرف أن صاحب "بلوغ المرام" إذا قال متفق عليه يعني رواه البخاري ومسلم ، لكن صاحب "المنتقى" على خلاف ذلك فإذا قال صاحب المنتقى - متفق عليه فإنه يعني رواه الإمام أحمد والبخاري ، ومسلم ، وكذلك في كتب الفقه يفرق كثير من العلماء بين القولين ، والوجهين ، والروايتين ، والاحتمالين ، فالروايتان عن الإمام ، والوجهان عن الأصحاب ، وهم أصحاب المذهب الكبار أهل التوجيه ، والاحتمالان للتردد بين قولين ، والقولان أعم من ذلك كله .

كذلك يحتاج أن تعرف مثلاً إذا قال المؤلف إجماعاً أو وفاقاً ، إذا قال إجماعاً يعني بين الأمة ، وإذا قال وفاقاً يعني مع الأئمة الثلاثة كما هو اصطلاح صاحب "الفروع" في فقه الحنابلة ، وكذلك بقية أصحاب المذاهب كل له اصطلاح ، فلا بد أن تعرف اصطلاح المؤلف .

الثالث: معرفة أسلوبه وعباراته: ولهذا تجد أنك إذا قرأت الكتاب أول ماتقرأ لاسيما في الكتب العلمية المملوءة علماً تجد أنه تمر بك العبارة تحتاج إلى تأمل وتفكير في معناها ؛ لأنك لم تألفه ، فإذا كررت هذا الكتاب ألفته .

وهناك أيضا أمر خارج عن التعامل مع الكتاب وهو: التعليق بالهوامش أو الحواشي . فهذا أيضاً مما يجب لطالب العلم أن يغتنمه ، وإذا مرت به مسألة تحتاج إلى شرح ، أو إلى دليل ، أو إلى تعليل ويخشى أن ينساه فإنه يُعلق إما بالهامش - وهو الذي على اليمين أو اليسار - أو بالحاشية - وهي التي في الأسفل - وكثيراً ما يفوت الإنسان مثل هذه الفوائد التي لو علقها لم تستغرق عليه إلا دقيقة أو دقيقتين ، ثم إذا عاد ليتذكرها بقي مدة يتذكرها وقد لا يذكرها .

فينبغي على طالب العلم أن يعتني بذلك لاسيما في كتب الفقه ، يمر بك في بعض الكتب مسألة وحكمها ويحصل عندك توقف وإشكال ، فإذا رجعت للكتب - التي أوسع من الكتاب الذي بين يديك وزجدت قولاً يوضح المسألة فإنك تعلق القول من أجل أن ترجع إليه مرة أخرى إذا احتجت إليه دون الرجوع إلى أصل الكتاب الذي نقلت منه ، فهذا مما يوفر عليك الوقت .

الأمر الثاني: مطالعة الكتب على نوعين:

أولاً: مطالعة تدبر وتفهم ، فهذه لابد أن يتأمل الإنسان ويتأنى .

ثانيا: مطالعة استطلاع فقط ينظر من خلالها على موضوع الكتاب ، وما فيه من مباحث ، ويتعرف على مضمون الكتاب ، وذلك من خلال تصفح وقراءة سريعة للكتاب ، فهذه لا يحصل فيها من التأمل والتدبر ما يحصل في النوع الأول . والطريقة المثلى في قراءة الكتب ، التدبر والتفكر في المعاني والاستعانة بذوي الفهم من أهل العلم الصحيح ، ولا يخفى أن أولى الكتب بذلك ؛ كتاب الله عز وجل . وعليك بالصبر والمثابرة ، فما أعطى الإنسان عطاء خيراً وأوسع من الصبر .

الأمر الثالث: جمع الكتب:

ينبغي لطال العلم أن يحرص على جمع الكتب ، ولكن يبدأ بالأهم فالأهم ،

فإذا كان الإنسان قليل ذات اليد ، فليس من الخير وليس من الحكمة أن يشتري كتباً كثيرة يُلزم نفسه بغرامة قيمتها ، فإن هذا من سوء التصرف ، وإذا لم يمكنك أن تشتري من مالك فيمكنك أن تستعير من أي مكتبة .

الأمر الرابع: الحرص على الكتب المهمة:

يجب على طالب العلم أن يحرص على الكتب الأمهات الأصول دون المؤلفات حديثاً ؛ لأن بعض المؤلفين حديثاً ليس عنده العلم الراسخ ، ولهذا إذا قرأت ما كتبوا تجد أنه سطحي ، قد ينقل الشيء بلفظه ، وقد يحرفه إلى عبارة طويلة لكنها غثاء ، فعليك بالأمهات كتب السلف فإنها خير وأبرك بكثير من كتب الخلف .

لأن غالب كتب المتأخرين قليلة المعاني ، كثيرة المباني ، تقرأ صفحة كاملة يمكن أن تلخصها بسطر أو سطرين ، لكن كتب السلف تجدها هينة ، لينة ، سهلة رصينة ، لا تجد كلمة واحدة ليس لها معنى .

ومن أجلِّ الكتب التي يجب على طالب العلم أن يحرص عليها كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - ومن المعلوم أن كتب ابن القيم أسهل وأسلس ؛ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية كانت عباراته قوية لغزارة علمه ، وتوقد ذهنه ، وابن القيم رأى بيتاً معموراً فكان من التحسين والترتيب ، ولسنا نريد بذلك أن نقول إن ابن القيم نسخة من ابن تيمية ، بل ابن القيم حر إذا رأى أن شيخه خالف ما يراه صواباً تكلم ، لما رأى وجوب فسخ الحج إلى العمرة ، وأن ابن عباس - رضي الله عنهما - يرى أنه يجب على من لم يسق الهدي إذا أحرم بحج أو قران ، أن يفسخه إلى عمرة ، وكان شيخ الإسلام يرى أن الوجوب خاص بالصحابة ، قال وأنا إلى قوله أميل مني إلى قول شيخنا ، فصرح بمخالفته ، فهو رحمه الله مستقل ، حر الفكر ، لكن لا غرو أن يتابع شيخه رحمه الله فيما يراه حقاً وصواباً ، ولا شك أنك إذا تأملت غالب اختيارات شيخ الإسلام وجدت أنها هي الصواب وهذا أمر يعرفه من تدبر كتبهما .

الأمر الخامس: تقويم الكتب:

الكتب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كتب خير.

القسم الثاني: كتب شر.

القسم الثالث: كتب لا خير ولا شر.

فاحرص أن تكون مكتبتك خالية من الكتب التي ليس فيها خير أو التي فيها شر وهناك كتب يقال إنها كتب أدب ، لكنها تقطع الوقت وتقتله في غير فائدة ، وهناك كتب ضارة ذات أفكار معينة وذات منهج معين ، فهذه أيضاً لا تدخل المكتبة سواء كان ذلك في المنهج أو كان ذلك في العقيدة ، مثل كتب المبتدعة التي تضر في العقيدة ، والكتب الثورية التي تضر في المنهج .

وعموماً كل كتب تضر فلا تدخل مكتبتك ؛ لأن الكتب غذاء للروح كالطعام والشراب للبدن ، فإذا تغذيت بمثل هذه الكتب صار عليك ضرر عظيم واتجهت اتجاهاً مخالفاً لمنهج طالب العلم الصحيح .

كتب مختارة لطالب العلم:

أولاً: العقيدة:

١- كتاب "ثلاثة الأصول" .

٢- كتاب "القواعد الأربع"

٣- كتاب "كشف الشبهات"

٤- كتاب "التوحيد"

وهذه الكتب الأربعة لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالي - .

٥- كتاب "العقيدة الواسطية" وتتضمن توحيد الأسماء والصفات ، وهي من أحسن ما أُلف في هذا الباب وهي جديرة بالقراءة والمراجعة .

٦- كتاب "الحموية" .

٧- كتاب "التدمرية" وهما رسالتان أوسع من "الواسطية" . وهذه الكتب الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالي - .

٨- كتاب "العقيدة الطحاوية" للشيخ أبي جعفر بن محمد الطحاوي .

٩- كتاب "شرح العقيدة الطحاوية" لأبي الحسن علي بن أبي العز .

١٠- كتاب "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالي :

١١- كتاب "الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية" لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، وفيها بعض الإطلاقات التي تخالف مذهب السلف ، كقوله :

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ::: ولا جسم تعالى في العلى

لذلك لابد لطالب العلم أن يدرسها على شيخ ملم بالعقيدة السلفية لكي يبين ما فيها من الإطلاقات المخالفة لعقيدة السلف الصالح .

ثانيا: الحديث:

١- كتاب "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:

٢- كتاب "سبل السلام شرح بلوغ المرام" للصنعاني ، وكتابه جامع بين الحديث والفقه .

٣- كتاب "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" للشوكاني .

٤- كتاب "عمدة الأحكام" للمقدسي ، وهو كتاب مختصر ، وعامة أحاديثه في الصحيحين فلا يحتاج إلى البحث عن صحتها .

٥- كتاب "الأربعين النووية" لأبي زكريا النووي - رحمه الله تعالى وهذا كتاب طيب ؛ لأن فيه آداباً ، ومنهجاً جيداً ، وقواعد مفيدة جداً مثل حديث «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» [1] . فهذه قاعدة لو جعلتها هي الطريق الذي تمشي عليه لكانت كافية . وكذلك قاعدة فى النطق حديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» [2] .

---

(١) حسن . رواه أحمد (١ / ٢٠١) والترمذى فى " الزهد" (٢٣١٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى فى "الأدب " (٦١٣٨) باب إكرام الضيف وخدمته .ومسلم فى "الإيمان " (١٧١) باب بيان تحريم

٦- كتاب "بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر العسقلانى ، وهو كتاب نافع ومفيد ، لاسيما وأنه يذكر الرواة ، ويذكر من صحح الحديث ومن ضعفه ، ويعلق عليه الأحاديث تصحيحاً أو تضعيفاً .

٧- كتاب "نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر العسقلانى ، وتعتبر جامعة ، وطالب العلم إذا فهمها تماماً وأتقنها فهى تغنى عن كتب كثيرة فى المصطلح ، ولابن حجر - رحمه الله تعالى - طريقة مفيدة فى تأليفها وهى: السبر والتقسيم ، فطالب العلم إذا قرأها يجد نشاطاً لأنها مبنية على إثارة العقل وأقول: يَحسن بطالب العلم أن يحفظها لأنها خلاصة مفيدة فى علم المصطلح .

٨- الكتب الستة "صحيح البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والترمذى" ، وأنصح طالب العلم أن يكثر من القراءة فيها ؛ لأن فى ذلك فائدتين :

الأولى: الرجوع إلى الأصول .

الثانية: تكرار أسماء الرجال على ذهنه ، فإذا تكررت أسماء الرجال لا يكاد يمر به رجل مثلاً من رجال البخارى فى أى سند كان إلا عرف أنه من رجال البخارى فيستفيد هذه الفائدة الحديثية .

ثالثاً: الفقه:

١- كتاب "آداب المشى إلى الصلاة" لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى .

٢- كتاب "زاد المستقنع فى اختصار المقنع" للحجاوى . وهذا من أحسن المتون فى الفقه . وهو كتاب مبارك مختصر جامع ، وقد أشار علينا شيخنا العلامة عبد الرحمن السعدى - رحمه الله تعالى - بحفظه ، مع أنه قد حفظ متن "دليل الطالب" .

ايذاء الجار . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣- كتاب "الروض المربع شرح زاد المستقنع" للشيخ منصور البهوتى .

٤- كتاب "عمدة الفقه" لابن قدامة - رحمه الله تعالى - .

٥- كتاب "الأصول من علم الأصول" وهو كتاب مختصر يفتح الباب للطالب [1] .

رابعاً: الفرائض:

١- كتاب "متن الرحبية" للرحبى .

٢- كتاب "متن البرهانية" لمحمد البرهانى ، وهو كتاب مختصر مفيد جامع لكل الفرائض ، وأرى أن "البرهانية" أحسن من "الرحبية" ؛ لأن "البرهانية" أجمع من وجه ، وأوسع معلومات من وجه آخر .

خامساً: التفسير:

١- كتاب "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير - رحمه الله تعالى - وهو جيد بالنسبة للتفسير بالأثر ومفيد ومأمون ، ولكنه قليل العرض لأوجه الإعراب والبلاغة .

٢- كتاب "تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان" للشيخ عبد الرحمن بن سعدى - رحمه الله تعالى - وهو كتاب جيد وسهل ومأمون وأنصح بالقراءة فيه .

٣- كتاب "مقدمة شيخ الإسلام فى التفسير" وهى مقدمة مهمة وجيدة .

٤- كتاب "أضواء البيان" للعلامة محمد الشنقيطيى - رحمه الله تعالى - وهو كتاب جامع بين الحديث والفقه والتفسير وأصول الفقه .

سادساً: كتب عامة فى بعض الفنون:

١- فى النحو "متن الأجرومية" وهو كتاب مختصر مبسط .

٢- فى النحو "ألفية ابن مالك" وهى خلاصة علم النحو .

---

(١) وهذا الكتاب من تصنيف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله .

٣- فى السيرة وأحسن ما رأيت كتاب "زاد المعاد" لابن القيم - رحمه الله تعالى - وهو كتاب مفيد جداً يذكر سيرة النبى ﷺ فى جميع أحواله ثم يستنبط الأحكام الكثيرة .

٤- كتاب "روضة العقلاء" لابن حبان البُستيِ - رحمه الله تعالى - وهو كتاب مفيد على اختصاره ، وجمع عدداً كبيراً من الفوائد ومآثر العلماء والمحدثين وغيرهم .

٥- كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبى وهذا الكتاب مفيد فائدة كبيرة ينبغى لطالب العلم أن يقرأ فيه ويراجع .

* * * * * * * * * * * *

الفصل الثاني

فتاوى حول العلم

١- سئل فضيلته – حفظه الله – : هل يعذر طلبة العلم الذين درسوا العقيدة على غير مذهب السلف الصالح محتجين بأن العالم الفلاني أو الإمام الفلاني يعتقد هذه العقيدة؟

فأجاب فضيلته بقوله: هذا لا يعذر به صاحبه حيث بلغه الحق ؛ لأن الواجب عليه أن يتبع الحق أينما كان ، وأن يبحث حتى يتبين له .

والحق - ولله الحمد - ناصع ، بين لمن صلحت نيته ، وحسن منهاجه ، فإن الله - عز وجل- يقول في كتابه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر الآية: ١٧) . ولكن بعض الناس - كما ذكر الأخ السائل - يكون لهم متبوعون معظمون لا يتزحزحون عن آرائهم ،

مع أنه قد ينقدح في أذهانهم أن آراءهم ضعيفة أو باطلة ، لكن التعصب والهوى يحملهم على موافقة متبوعيهم ، وإن كان قد تبين لهم الهدي .

****

٢ - وسئل فضيلة الشيخ: عمن لا يحب دراسة العقيدة خصوصاً مسألة القدر خوفاً من الزلل؟

فأجاب بقوله : هذه المسألة كغيرها من المسائل المهمة التي لابد للإنسان منها في دينه ودنياه ، لابد أن يخوض غمارها وأن يستعين بالله - تبارك وتعالى على تحقيقها ومعرفتها حتى يتبين له الأمر ؛ لأنه لا ينبغي أن يكون على شك في هذه الأمور المهمة . أما المسائل التي لا تخل بدينه لو أجلها ولا يخشى أن تكون سبباً لانحرافه ، فإنه لا بأس أن يؤجلها مادام غيرها أهم منها ، ومسائل القدر من الأمور المهمة التي يجب على العبد أن يحققها تماماً حتى يصل فيها إلى اليقين .

وهي في الحقيقة ليس فيها إشكال - ولله الحمد - والذي يثقل دروس العقيدة

على بعض الناس هم أنهم مع الأسف الشديد يرجحون جانب "كيف" على جانب "لم" والإنسان مسؤول عن عمله بأداتين من أدوات الاستفهام "لم" و "كيف" فلم عملت كذا؟ هذا الإخلاص . كيف عملت كذا؟ هذا المتابعة للرسول ﷺ ، وأكثر الناس الآن مشغولون بتحقيق جواب "كيف" غافلون عن تحقيق جواب "لم" ولذلك تجدهم في جانب الإخلاص لا يتحرون كثيراً ، وفي جانب المتابعة يحرصون على أدق الأمور ، فالناس الآن مهتمون كثيراً بهذا الجانب ، غافلون عن الجانب الأهم وهو جانب العقيدة وجانب الإخلاص وجانب التوحيد .

لهذا تجد بعض الناس في مسائل الدين يسأل عن مسألة يسيرة جداً جداً وقلبه منكب على الدنيا غافل عن الله مطلقاً في بيعه وشرائه ، ومركوبه ، ومسكنه ، وملبسه ، فقد يكون بعض الناس الآن عابداً للدنيا وهو لا يشعر ، وقد يكون مشركاً بالله في الدنيا وهو لا يشعر ، لأنه مع الأسف الشديد لا يهتم بجانب التوحيد وجانب العقيدة ، وهذا ليس من العامة فقط ولكن من بعض طلاب العلم وهذا أمر له خطورته .

كما أن التركيز على العقدية فقط بدون العمل الذي جعله الشارع كالحامي والسور لها خطأ أيضاً لأننا نسمع في الإذاعات ونقرأ في الصحف التركيز على أن الدين هو العقيدة السمحاء وما أشبه ذلك من العبارات ، وفي الحقيقة أن هذا يخشى أن يكون باباً يلج منه من يلج في استحلال بعض المحرمات بحجة أن العقيدة سليمة ، ولكن لابد من ملاحظة الأمرين جميعاً ليستقيم الجواب على "لم" وعلى "كيف" .

وخلاصة الجواب: أنه يجب على المرء دراسة علم التوحيد والعقيدة ؛ ليكون على بصيرة في إلهه ومعبوده - جل وعلا - على بصيرة بأسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ، على بصيرة في أحكامه الكونية ، والشرعية ، على بصيرة في حكمته ، وأسرار شرعه وخلقه ، حتى لا يضل بنفسه أو يضل غيره .

وعلم التوحيد هو أشرف العلوم لشرف متعلقه ولهذا سماه أهل العلم (الفقه

الأكبر) وقال النبي ﷺ : «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[١] . وأول ما يدخل في ذلك وأولاه علم التوحيد والعقيدة ، لكن يجب على المرء أيضاً أن يتحرى كيف يأخذ هذا العلم ومن أي مصدر يتلقاه ، فليأخذ من هذا العلم أولاً ما صفا منه وسلم من الشبهات ، ثم ينتقل ثانيا إلى النظر فيما أورد عليه من البدع والشبهات ؛ ليقوم بردها وبيانها مما أخذه من قبل العقيدة الصافية ، وليكن المصدر الذي يتلقاه منه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم كلام الصحابة - رضي الله عنهم - ثم ما قاله الأئمة بعدهم من التابعين وأتباعهم ، ثم ما قاله العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم ، وخصوصا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما وعلى سائر المسلمين وأئمتهم سابغ الرحمة والرضوان .

* * * * * * * * * * * *

٣ - **سئل فضيلة الشيخ: يتحرج بعض طلبة العلم الشرعي عند قصدهم العلم والشهادة فكيف يتخلص طالب العلم من هذا الحرج؟**

فأجاب بقوله : يجاب على ذلك بأمور :

أحدها: أن لا يقصدوا بذلك الشهادة لذاتها ، بل يتخذون هذه الشهادات وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق ؛ لأن الأعمال في الوقت الحاضر مبنية على الشهادات ، والناس غالباً لا يستطيعون الوصول إلى منفعة الخلق إلا بهذه الوسيلة وبذلك تكون النية سليمة .

الثاني: أن من أراد العلم قد لا يجده إلا في هذه الكليات فيدخل فيها بنية طلب العلم ولا يؤثر عليه ما يحصل له من الشهادة فيما بعد .

الثالث: أن الإنسان إذا أراد بعمله الحسنيين حسنى الدنيا ، وحسنى الآخرة فلا شيء عليه في ذلك ؛ لأن الله يقول: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾ (الطلاق:الآيتان ٢ ، ٣) وهذا ترغيب في التقوى بأمر دنيوي .

---

(١) سبق تخريجه .

فإن قيل: من أراد بعمله الدنيا كيف يُقال بأنه مخلص ؟

فالجواب: أنه أخلص العبادة ولم يرد بها الخلق إطلاقا فلم يقصد مراءاة الناس ومدحهم على عبادته بل قصد أمراً مادياً من ثمرات العبادة ، فليس كالمرائي الذي يتقرب إلى الناس بما يتقرب به إلى الله ويريد أن يمدحوه به ، لكنه بإرادة هذا الأمر المادي نقص إخلاصه فصار معه نوع من الشرك وصارت منزلته دون منزلة من أراد الآخرة إرادة محضة .

وبهذه المناسبة أود أن أنبه على أن بعض الناس عندما يتكلمون على فوائد العبادات يحولونها إلى فوائد دنيوية ؛ فمثلاً يقولون في الصلاة رياضة وإفادة للأعصاب ، وفي الصيام فائدة لإزالة الفضلات وترتيب الوجبات ، والمفروض ألا تجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل ؛ لأن ذلك يؤدي إلى إضعاف الإخلاص والغفلة عن إرادة الآخرة ، ولذلك بين الله تعالى في كتابه حكمة الصوم - مثلاً أنه سبب للتقوى ، فالفوائد الدينية هي الأصل ، والدنيوية ثانوية ، وعندما نتكلم عند عامة الناس فإننا نخاطبهم بالنواحي الدينية ، وعندما نتكلم عند ممن لا يقتنع إلا بشيء مادي فإننا نخاطبه بالنواحي الدينية والدنيوية ولكل مقام مقال .

* * * * * * * * * * * *

٤ - وسئل فضيلته : يختلف الكثير من طلبة العلم في معاملة أهل المعاصي ، فما التوجيه الصحيح جزاكم الله خيراً ؟

فأجاب - رحمه الله تعالى -: نقول: هذه المسألة وهي أن بعض طلبة العلم إذا رأوا المنحرف خُلقياً أو فكرياً أو عملياً . يكرهونه ويتخذون من هذه الكراهة نفوراً منه وبعداً عنه ، ولا يحاولون أبداً أن يصلحوا إلا من شاء الله من طلبة العلم الذين أنار الله قلوبهم ويرون أن هجره وكراهته والبعد عنه والتنفير منه يرون ذلك قربة . وهذا لا شك أنه خطأ وأن الواجب على طلبة العلم أن ينصحوا وينظروا كم من إنسان في غفلة فإذا نُصح استجاب .

وما أشد تأثير جماعة أهل الدعوة الذين يسمون أنفسهم أهل الدعوة والتبليغ . ما

أشد تأثيرهم على الناس . وكم من فاسق اهتدي فأطاع ، وكم من كافر اهتدى فأسلم على أيديهم ؛ لأنهم وسعوا الناس بحسن الأخلاق ، فلذلك نحن نسأل الله أن يجعل إخواننا الذين أعطاهم العلم أن يطعمهم من أخلاق هؤلاء حتى ينفعوا الناس أكثر وإن كان يؤخذ على جماعة الدعوة والتبليغ ما يؤخذ لكنهم في حسن الخلق والتأثير بسبب أخلاقهم لا أحد ينكر فضلهم ، وقد رأيت كتاباً للشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله- وجهه إلى شخص كتب إليه ينتقد هؤلاء الجماعة ، فقال في جملة رده :

أقلـــوا عليهـــم لا أبـــا لأبيكـــمُ ::: من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا

وحسن الخلق لا شك أن له تأثيراً عظيماً في استجابة الناس للداعي . أما إذا رأوا الإنسان خشناً فإنهم يسبونه ويذمونه على ما فيه من الأخلاق الشرعية ، تجدهم مثلاً يسبونه على لحيته ، واللحية أخلاق شرعية ، ويسبونه على تقصير الثوب ، يسبونه على المشي حافياً . لماذا؟ لأنه ليس حَسَنَ الأخلاق مع الناس . لا يدعو بالأخلاق إنما يدعو بالجفاء والغلظة ، ويريد أن يصلح الناس كلهم في ساعة واحدة ، هذا خطأ لا يمكن أن يصلح الناس في ساعة واحدة أبداً . أليس النبي ﷺ قد بقي في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس؟ وفي النهاية أخرج من مكة حين تآمروا عليه ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ** ﴾ (لأنفال: الآية ٣٠) . يثبتوك يعني يحبسوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴿ **وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ . فلا يمكن أن تصلح الخلق بمجرد دعوة أو دعوتين لاسيما إذا لم تكن ذا قيمة بينهم لكن اصبر وأطل النفس وادع بالحكمة وأحسن الخلق وسيتبين لك الأمر فيما بعد . ولا شك أن حسن المنطق له تأثير عظيم بالغ . ويُحكى أن رجلاً من أهل الحسبة مر على فلاح يسني إبله وكان في أذان المغرب . وكان هذا الفلاح يغني لأن الإبل إذا سمعت الغناء تمشي كأنها مجنونة ؛ لأنها تطرب فكان يغني غافلاً ولا يسمع الأذان فتكلم عليه رجل الحسبة بكلام شديد . قال له - أي صاحب الإبل -: سوف أغني وأستمر في الغناء وإذا ما ذهبت فالعصا لمن عصا ، يقول هذا الكلام بسبب أنه جاءه بعنف - فذهب صاحب الحسبة إلى الشيخ القاضي وقال له: أنا ذهبت لفلان وسمعته يغني على إبله والمؤذن يؤذن المغرب ونصحته فلم يستجب . فلما كان من الغد ذهب الشيخ القاضي إلى مكان صاحب الإبل

في الوقت نفسه فلما أذن جاء الفلاح وقال له: يا أخي أذن المؤذن فعليك أن تذهب وتصلي فإن الله يقول: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه:الآية ١٣٢). فقال صاحب الإبل: جزاك الله خيراً، ووضع العصا التي يسوق بها الإبل وتوضأ ومشى معه، وماذا حصل؟ حصل المقصود، أما الأول لو تمادي معه لحصل الشر وترك الخير، ولكن الثاني أتاه بالتي هي أحسن فانقاد تماماً، فلذلك أقول: إن بعض طلبة العلم يكون عندهم غيرة لكن لا يحسنون التصرف، والواجب أن الإنسان يكون في تصرفاته على علم وبصيرة وعلى قدر كبير من الحكمة نسأل الله للجميع التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

* * * * * * * * * * * *

٥ - **وسئل فضيلته: هناك بعض طلبة العلم يحرص على حضور دروس طلبة العلم دون أن يلقي اهتماماً بدروس العلماء الذين جمعوا ما لم يجمعه طلبة العلم.**

فما توجيه فضيلتكم - حفظكم الله تعالى - ؟

فأجاب فضيلته بقوله: الذي أراه أن الإنسان ينبغي أن يطلب العلم على عالم ناضج؛ لأن بعض طلبة العلم يتصدر للتدريس فيحقق المسألة من المسائل سواء حديثية أو فقهية أو عقائدية يحققها تماماً ويراجع عليها، لكن لو خرج قيد أنملة عن هذا الموضوع الذي حققه ونقحه وراجع عليه وجدت أنه ليس عنده علم، لذلك يجب على طالب العلم المبتدئ أن يتلقى العلم على يد العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم.

* * * * * * * * * * * *

٦ - **فضيلة الشيخ: يلاحظ ضعف الهمة والفتور في طلب العلم، فما الوسائل والطرق التي تدفع إلى علو الهمة والحرص على العلم؟**

فأجاب - رحمه الله - بقوله: ضعف الهمم في طلب العلم الشرعي من المصائب الكبيرة وهناك أمور لابد منها:

الأمر الأول: الإخلاص لله - عز وجل - في الطلب والإنسان إذا أخلص لله في

الطلب وعرف أنه يُثاب على طلبه وسيكون في الدرجة الثالثة من درجات الأمة فإن همته تنشط ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقا ﴾ (النساء: الآية ٦٩).

ثانيا: أن يُلازم زملاء يحثونه على العلم ويساعدونه على المناقشة والبحث ولا يمل من صحبتهم ماداموا يعينونه على العلم.

ثالثا: أن يصبر نفسه بمعني يحبسها لو أرادت أن تتفلت، قال الله تعال للنبي ﷺ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الكهف: الآية ٢٨) فليصبر؛ وإذا صبر وتعود الطلب صار الطلب سجية له وصار اليوم الذي يفقد فيه الطلب يوماً طويلاً عليه، أما إذا أعطي نفسه العنان فلا، فالنفس أمارة بالسوء والشيطان يحثه على الكسل وعدم التعلم.

* * * * * * * * * * * *

٧ - **سئل فضيلة الشيخ – حفظه الله تعالى –: ما نصيحة فضيلتكم لمن يجعل الولاء والبراء لإخوانه في موافقتهم له في مسألة أو عدم موافقتهم له، وكذلك ما يحصل من الحسد والبغض من طلاب العلم؟**

فأجاب فضيلته بقوله: هذا صحيح، فإن بعض الناس يجعلون الولاء والبراء مقيد بالموافقة له أو عدم الموافقة، فتجد الشخص يتولى الشخص؛ لأنه وافقه فيها، ويتبرأ منه لأنه خالفه فيها، وأذكر لكم قصة مرت علينا في منى بين طائفتين من الإفريقيين كل واحد يلعن الثاني ويكفره، فجيء بهم إلينا، وهم يتنازعون قلنا: ما الذي حدث؟ قال الأول: هذا الرجل إذا قام إلى الصلاة يضع يده اليمنى على اليسرى فوق الصدر وهذا كفر بالسنة، وقال الثاني: هذا إذا قام للصلاة يرسل يديه على الفخذين دون أن يجعل اليمنى على اليسرى وهذا كفر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

(١) رواه البخاري في "النكاح" (٥٠٦٣) باب الترغيب في النكاح. ومسلم في "النكاح" (٣٣٤٣) باب من استطاع منكم الباءة فليتزوج.

وعلى هذا يكفر بعضهم بعضاً !! مع العلم أن هذه المسألة مسألة سنة ، وليست واجبة ولا ركن ولا شرط للصحة وبعد جهد وعناء كبير اقتنعوا أمامنا والله أعلم بما وراءنا ، والآن تجد بعض الإخوان مع الأسف يرد على إخوانه أكثر مما يرد على الملحدين الذين كفرهم صريح ، يعاديهم أكثر مما يعادي هؤلاء ويشهر بهم في كلام لا أصل له ، ولا حقيقة له ، لكن حسد وبغي ، ولا شك أن الحسد من أخلاق اليهود أخبث عباد الله .

ثم إن الحسد لا يستفيد منه الحاسد إطلاقا ، بل لايزيده إلا غماً وحسرة ، ابغ الخير للغير يحصل لك الخير ، واعلم أن فضل الله يؤتيه من يشاء ، لو حسدت فإنك لن تمنع فضل الله ، ربما تمنع فضل الله عليك بمحبتك زوال فضل الله على غيرك وكراهتك نعمة الله على غيرك ، لذلك الحاسد في ظروف طالب العلم مشكوك في نيته وإخلاصه في طلب العلم ؛ لأنه إنما حسد لكون الثاني صار له جاه عند الناس وله كلمة والتف الناس حوله فحسده ، لكونه يريد الدنيا ، أما لو كان يريد الآخرة حقاً ، ويريد العلم حقاً ، لسأل عن هذا الرجل الذي التف الناس حوله وأخذوا بقوله . تسأل عن علمه لتكون مثله أيضاً ؛ تجيء أنت لتستفيد منه ؛ أما أن تحسده وتشوه سمعته ، وتذكر فيه من العيوب ما ليس فيه فهذا لا شك أنه بغي وعدوان وخصلة ذميمة .

****

٨ - سئل فضيلة الشيخ: ذكر الخطيب البغدادي جانباً من جوانب تعلم العلم وهو لزوم أحد العلماء أو أحد المشائخ فما رأي فضيلتكم؟

فأجاب فضيلته: بقوله: هذا جيد كون الإنسان يركز على شيخ من المشائخ يجعله هو الأصل لاسيما المبتدىء الصغير ، المبتدىء الصغير إذا طلب العلم على عدة أناس تذبذب ، لأن الناس ليسوا على رأي واحد خصوصاً في عصرنا الآن ، كان فيما سبق أي قبل مدة كان الناس هنا في المملكة لا يخرجون أبداً عن الإقناع والمنتهى ؛ فتجد فتاواهم واحدة ، وشروحهم واحدة ، لا يختلف واحد عن الآخر إلا في الإلقاء وحسن الأسلوب ، لكن الآن لما كان كل واحد حافظاً حديثاً أو حديثين قال: أنا الإمام المقتدي

به والإمام أحمد رجل ونحن رجال ، فصارت المسألة فوضى ، صار كل إنسان يفتي أحياناً تأتي الفتاوى تبكي وتُضحك وكنت أهم أن أدوِّن مثل هذه الفتاوى لكن كنت أخشى أن أكون ممن تبع عورات إخوانه فتركته تحاشياً مني وإلا نقلنا أشياء بعيدة عن الصواب بعد الثريا عن الثرى .

فأقول: ملازمة عالم واحد مهمة جداً مادام الطالب في أول الطريق لكي لا يتذبذب ، ولهذا كان مشائخنا ينهوننا عن مطالعة المغني وشرح المهذب والكتب التي فيها أقوال متعددة عندما كنا في زمن الطلبة ، وذكر لنا بعض مشائخنا أن الشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن بابطين - رحمه الله - وهو من أكبر مشائخ نجد مفتي الديار النجدية ذكروا أنه كان مكبًا على الروض المربع لا يطالع إلا إياه ويكرره ، كل ما خلص منه كرره لكن يأخذه بالمفهوم و المنطوق والإشارة والعبارة فحصل خير كثير .

أما إذا توسعت مدارك الإنسان فهذا ينبغي له أن ينظر أقوال العلماء يستفيد منها فائدة علمية وفائدة تطبيقية ، لكن في أول الطلب أنا أنصح الطالب أن يركز على شيخ معين لا يتعداه .

* * * * * * * * * * * *

٩ - **وسئل فضيلة الشيخ**: **إذا أراد طالب العلم أن ينقل الأحاديث التي زادت من بلوغ المرام على المحرر لابن عبد الهادي فهل هذه الطريقة مفيدة؟**

فأجاب فضيلته بقوله: لا شيء في ذلك ، هذه طريقة خاصة لكنه على سبيل العموم كونه يدرس الكتب المشهورة المتداولة بين الناس أحسن .

* * * * * * * * * * * *

١٠ - **سئل فضيلة الشيخ: كتاب المحرر لابن عبد الهادي أليس خيراً من بلوغ المرام؟**

فأجاب فضيلته بقوله: بلوغ المرام متداول بين الناس ، وصاحبه محقق

- رحمه الله - والشيء المتداول ينبغي للإنسان أن يعتني به أكثر من غيره ؛ لأن الشيء المهجور لا ينتفع به الناس كثيراً ، والبلوغ كما هو معلوم خُدم وقرأ به علماؤنا ومشائخنا .

* * * * * * * * * * * *

١١ - **وسئل فضيلته :** - ذُكر عن ابن الوزير - رحمه الله - أن الصحابة أبابكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي - رضي الله عنهم - لم يحفظوا القرآن الكريم ، وكذلك ما ورد عن الأئمة كعثمان ابن أبي شيبة على قدره أنه لم يحفظ القرآن ، الأشياء التي تدعو بعض طلبة العلم لترك حفظ كتاب الله ، هل هذا صحيح؟

فأجاب فضيلته: بقوله : أنا أستبعد أن أبابكر ، وعمر وعثمان ، وعليا وهؤلاء الأجلة من الصحابة لم يحفظوا كتاب الله - هذا بعيد - وتعلم أن القرآن جمع على عهد أبي بكر ، وعلى عهدعثمان كيف يجمعون ولا يحفظون؟! بعيد جداً ولكن حتى لو رُوي عنه فيجب أن ننظر في الإسناد أولاً ثم إذا صح الإسناد فنقول: إن الذي تحدث عنهم وقال إنهم لم يحفظوا القرآن كله تحدث عما علمَ ، ويبعده جداً أن مثل هؤلاء لا يحفظون القرآن ، ولا ينبغي أن يثني الرجل عن حفظ القرآن مثل هذه الروايات .

* * * * * * * * * * * *

١٢ - **وسئل فضيلة الشيخ :** أرجو من فضيلتكم - حفظكم الله تعالى - توضيح المنهج الصحيح في طلب العلم في مختلف العلوم الشرعية جزاكم الله خيراً وغفر لكم؟

فأجاب بقوله : العلوم الشرعية على أصناف منها :

١ - علم التفسير: فينبغي لطالب العلم أن يقرن التفسير بحفظ كتاب الله - عز وجل - اقتداء بالصحابة - رضي الله عنهم - حيث لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، ولأجل أن يرتبط معنى القرآن الكريم بحفظ ألفاظه فيكون الإنسان ممن تلاه حق تلاوته لا سيما إذا طبقه .

٢ - علم السنة: فيبدأ بما هو أصح ، وأصح ما في السنة ما اتفق عليه البخاري ومسلم .

لكن طلب السنة ينقسم إلى قسمين:

قسم يريد الإنسان معرفة الأحكام الشرعية سواء في علم العقائد والتوحيد أو في علم الأحكام العملية ، وهذا ينبغي أن يُركز على الكتب المؤلفة في هذا فيحفظها كبلوغ المرام ، وعمدة الأحكام ، وكتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتاب التوحيد ، وما أشبه ذلك ، وتبقى الأمهات للمراجعة والقراءة ، فهناك حفظ وهناك قراءة يقرأ الأمهات ويكثر من النظر فيها لأن في ذلك فائدتين:

الأولى: الرجوع إلى الأصول .

الثانية: تكرار أسماء الرجال على ذهنه ، فإنه إذا تكررت أسماء الرجال لا يكاد يمر به رجل مثلاً من رجال البخاري في أي سند كان إلا عرف أنه من رجال البخاري فيستفيد هذه الفائدة الحديثية .

٣ - علم العقائد: كتبه كثيرة وأرى أن قراءتها في هذا الوقت تستغرق وقتاً كثيراً والفائدة موجودة في الزبد التي كتبها مثل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله والعلامة ابن القيم ، وعلماء نجد مثل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ومن بعده من العلماء .

٤- علم الفقه: ولا شك أن الإنسان ينبغي له أن يُركز على مذهب معين يحفظه ويحفظ أصوله وقواعده ، لكن لا يعني ذلك أن نلتزم التزاماً بما قاله الإمام في هذا المذهب كما يلتزم بما قاله النبي ﷺ ، لكنه يبني الفقه على هذا ويأخذ من المذاهب الأخري ما قام الدليل على صحته ، كما هي طريقة الأئمة من أتباع المذاهب كشيخ الإسلام ابن تيمية ، والنووي وغيرهما حتى يكون قد بنى على أصل ، لأني أرى أن الذين أخذوا بالحديث دون أن يرجعوا إلى ما كتبه العلماء في الأحكام الشرعية ، أرى عندهم شطحات كثيرة ، وإن كانوا أقوياء في الحديث وفي فهمه لكن يكون عندهم شطحات كثيرة ؛ لأنهم بعيدون عما يتكلم به الفقهاء .

فتجد عندهم من المسائل الغريبة ما تكاد تجزم بأنها مخالفة لإجماع أو يغلب على ظنك أنها مخالفة للإجماع ، لهذا ينبغي للإنسان أن يربط فقهه بما كتبه الفقهاء - رحمهم الله - ولا يعني ذلك أن يجعل الإمام ، إمام هذا المذهب كالرسول - عليه الصلاة والسلام - يأخذ بأقواله وأفعاله على وجه الالتزام ، بل يستدل بها ويجعل هذا قاعدة ولا حرج بل يجب إذا رأى القول الصحيح في مذهب آخر أن يرجع إليه ، والغالب في مذهب الإمام أحمد أنه لا تكاد ترى مذهباً من المذاهب إلا وهو قول للإمام أحمد ، راجع كتب الروايتين في المذهب تجد أن الإمام أحمد - رحمه الله - لا يكاد يكون مذهب من المذاهب إلا وله قول يوافقه ، وذلك لأنه - رحمه الله - واسع الإطلاع ورجّاع للحق أينما كان ، فلذلك أرى أن الإنسان يركز على مذهب من المذاهب التي يختارها ، وأحسن المذاهب فيما نعلم من حيث اتباع السنة مذهب الإمام أحمد رحمه الله - وإن كان غيره قد يكون أقرب إلى السنة من غيره ، على أنه كما أشرت قبل قليل ؛ لا تكاد تجد مذهباً من المذاهب إلا والإمام أحمد يوافقه - رحمه الله .

وأهم شيء أيضاً في منهج طالب العلم بعد النظر والقراءة ، أن يكون فقيهاً ، بمعنى أنه يعرف حكم الشريعة وآثارها ومغزاها وأن يطبق ما علمه منها تطبيقاً حقيقياً بقدر ما يستطيع ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة:الآية ٢٨٦) لكن يحرص على التطبيق بقدر ما يستطيع ، وأنا أكرر عليكم دائماً هذه النقطة «**التطبيق**» سواء في العبادات أو الأخلاق أو في المعاملات . طبق حتى يُعرف أنك طالب علم عامل بما علمت .

ونضرب مثلاً إذا مَر أحدكم بأخيه هل يشرع له أن يسلم عليه؟

الجواب : نعم يشرع ولكن أرى الكثير يمر بإخوانه وكأنما مر بعمود لا يسلم عليه ، وهذا خطأ عظيم حيث يمكن أن ننقد العامة إذا فعلوا مثل هذا الفعل ، فكيف لا يُنتقد الطالب ؟ وما الذي يضرك إذا قلت السلام عليكم ؟ وكم يأتيك ؟ عشر حسنات- تساوي الدنيا كلها عشر حسنات لو قيل للناس : كل من مر بأخيه وسلم عليه سيدفع له ريال ، لوجدت الناس في الأسواق يدورون لكي يسلموا عليه ؛ لأنه سيحصل على ريال لكن عشر حسنات نفرط فيها . والله المستعان .

وفائدة أخرى: المحبة والألفة بين الناس ، فالمحبة والألفة جاءت نصوص كثيرة بإثباتها وتمكينها وترسيخها ، والنهي عما يضادها والمسائل التي تضاد كثيرة ، كبيع المسلم على بيع أخيه ، والخطبة على خطبة المسلم ، وما أشبه ذلك ، كل هذا دفعاً للعداوة والبغضاء وجلباً للألفة والمحبة ، وفيها أيضاً تحقيق الإيمان لقوله ﷺ «**والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا**» [1] ومعلوم أن كل واحد منا يحب أن يصل إلى درجة يتحقق فيها الإيمان له ؛ لأن أعمالنا البدنية قليلة وضعيفة .

الصلاة يمضي أكثرها ونحن ندبر شئوناً أخرى ، الصيام كذلك ، الصدقة كذلك الله أعلم بها ، فأعمالنا وإن فعلناها فهي هزيلة نحتاج إلى تقوية الإيمان ، السلام مما يقوي الإيمان ؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أخبركم بشيء إذ فعلتموه تحاببتم - يعني حصل لكم الإيمان - أفشوا السلام بينكم**»[2] هذه نقطة واحدة مما علمناه ولكننا أخللنا به كثيراً لذلك أقول: أسأل الله أن يعينني وإياكم على تطبيق ما علمنا ؛ لأننا نعلم كثيرا ولكن لا نعمل إلا قليلاً ، فعليكم يا إخواني بالعلم وعليكم بالعمل وعليكم بالتطبيق ، فالعلم حجة عليكم ، العلم إذا غذيتموه بالعمل ازداد ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ (محمد الآية: ١٧) . إذا غذيتموه بالعمل ازددتم نوراً وبرهاناً ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ (لأنفال: الآية٢٩) ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (الحديد: الآية ٢٨) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فعليكم بالتطبيق في العبادات وفي الأخلاق وفي المعاملات حتى تكونوا طلاب علم حقيقة ، أسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) رواه مسلم في "الإيمان" (١٩١) باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه قريباً .

١٣ - **سئل فضيلة الشيخ**: متى يكون طالب العلم متبعاً لمذهب الإمام أحمد؟

فأجاب فضيلته: بقوله: مذهب الإمام أحمد وغيره من الأئمة قسمان:

❖ مذهب شخصي.

❖ ومذهب اصطلاحي.

فأنت تكون متبعاً له شخصياً إذا أخذت برواية من الروايات عنه، ولكنك لست آخذاً بالمذهب المصطلح عليه إذا كان يخالف المصطلح عليه، والمذهب المصطلح عليه، أحياناً ينص الإمام أحمد على أنه رجع عنه وعلى أنه لا يقول به، لكن لكل أناس من أصحاب المذاهب طريقة يمشون عليها.

* * * * * * * * * * * *

١٤ - **وسئل الشيخ**: ما توجيه فضيلتكم - حفظكم الله تعالى - لطالب العلم المبتدئ هل يقلد إماماً من أئمة المذاهب أم يخرج عنه؟

فأجاب قائلا: قال الله - عز وجل -: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء:الآية ٧).

فإذا كان هذا طالباً ناشئاً لا يعرف كيف يخرج الأدلة فليس له إلا التقليد سواء قلد إماماً سابقاً ميتاً أو إماماً حاضراً - عالم من العلماء - وسأله، هذا هو الأحسن، لكن إذا تبين له أن هذا القول مُخالف للحديث الصحيح وجب عليه أن يأخذ بالحديث الصحيح.

* * * * * * * * * * * *

١٥ - **سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله -**: ما رأي فضيلتكم في بعض طلبة العلم الذين قد جمعوا أسس العلم في العقيدة ومعرفة الأحكام الفقهية أخذاً من العلماء، فهل يقومون بالدعوة في المساجد أم ينتظرون حتى يكون عندهم إذن رسمي من الجهات المختصة، وجزاكم الله خيراً؟

فأجاب فضيلته: بقوله: الذي أرى ألا يتكلموا فيما يمنع فيه الكلام إلا بإذن لأن طاعة ولي الأمر في تنظيم الأمور واجبة ، وتعلم أنه لو أذن للصغار الذين ابتدأوا طلب العلم بالكلام لتكلموا بما لا يعلمون ، وحصل بذلك مفسدة واضطراب للناس ، ربما في العقائد فضلاً عن الأعمال البدنية .

فمنع الناس من الكلام إلا بإذن وبطاقة ليس منعاً تاماً حتى نقول لا طاعة لولاة الأمر في ذلك لأن فيه منعاً لتبليغ الشريعة لكنه منعٌ مقيد بما يضبطه بحيث يُعرف من هو أهل لذلك أو لا ، وكما تعلمون الآن كل من تقدم إلى المسئولين لهذا الأمر وعلموا أنه أهل لذلك أعطوه إذناً لم نعلم بأنهم قالوا لأحد تقدم وهو أهل لنشر العلم لا تفعل ، والأمر - والحمد لله - أمر يطمئن إليه الإنسان ، ولا يجوز لأحد أن يتكلم في موضع يُمنع فيه من الكلام من جهة ولي الأمر ، إلا بإذن يعني مثلاً في المساجد أو في الأماكن العامة ، لكن بينه وبين إخوانه ، في غرفته ، في حجرته فهذا لا بأس به ولا يمنع أحد منه .

* * * * * * * * * * * *

١٦ - **سئل فضيلة الشيخ: - غفر الله له - : كثرت الأسئلة عن كيفية الطلب وبأي شيء يبدأ من أراد أن يطلب العلم وبأي المتون يبدأ حفظاً ، فما توجيهكم لهؤلاء الطلبة ، وجزاكم الله خيراً؟**

فأجاب فضيلته بقوله: أولاً وقبل أن أذكر التوجيه لهؤلاء الطلبة أوجِّهْ الطلبة أن يتلقوا العلم عن عالم ؛ لأن تلقي العلم عن العالم فيه فائدتان عظيمتان:

الأولى: أنه أقرب تناولاً ؛ لأن العالم عنده اطلاع وعنده معرفة ويعطيك العلم ناضجاً سهلاً .

الثانية: أن الطلب على عالم يكون أقرب إلى الصواب بمعنى أن الذي يطلب العلم على غير عالم يكون له شطحات وآراء شاذة بعيدة عن الصواب ، وذلك لأنه لم يقرأ على عالم راسخ في علمه حتى يربيه على طريقته التي يختارها .

فالذي أرى أن يحرص الإنسان على أن يكون له شيخ يلازمه لطلب العلم ؛ لأنه إذا كان له شيخ فإنه سوف يوجهه التوجيه الذي يرى أنه مناسب له .

أما بالنسبة للجواب على سبيل العموم فإننا نقول:

أولاً: الأولى أن يحفظ الإنسان كتاب الله تعالى قبل كل شيء ؛ لأن هذا هو دأب الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، وكلام الله أشرف الكلام على الإطلاق .

ثانيا: يأخذ من متون الأحاديث المختصرة ما يكون ذخراً له في الاستدلال بالسنة مثل: عمدة الأحكام ، بلوغ المرام ، الأربعين النووية وما أشبه ذلك .

ثالثا: يحفظ من متون الفقه ما يناسبه ومن أحسن المتون التي نعلمها «**زاد المستنقع في اختصار المقنع**» لأن هذا الكتاب قد خُدم من قبل شارحه منصور بن يونس البهوتي ومن قبل من بعده من خدموا هذا الشرح والمتن بالحواشي الكثيرة .

رابعاً: النحو وما أدراك ما النحو الذي لا يعرفه من الطلبة إلا القليل حتى إنك لترى الرجل قد تخرج من الكلية وهو لا يعرف عن النحو شيئاً يتمثل بقول الشاعر:

لا بـــارك الله في الـــنحو ولا أهلـــه ::: إذا كـــان منســـــوباً إلى نفطويـــه
أحـــرقـــه الله بنصـــــف اســـمـــه ::: وجعـــل الباقـــي صـــراخاً عليـــه

لماذا قال الشاعر هذا الكلام ؟ الجواب: لأنه عجز عن النحو ، ولكن أقول إن النحو بابه من حديد ودهاليزه قصب يعني أنه شديد وصعب عند أول الدخول فيه ، ولكنه إذا انفتح الباب لطالبه سهل عليه الباقي بكل يسر وصار سهلاً عليه ، حتى إن بعض طلبة العلم الذين بدءوا في النحو صاروا يعشقونه فإذا خاطبتهم بخطاب عادي جعل يعربه ليتمرن على الإعراب ، ومن أحسن متون النحو الأجرومية ، كتاب مختصر مركز غاية التركيز ولهذا أنصح من يبدأ أن يبدأ به فهذه الأصول التي ينبغي أن يبني عليها طالب العلم .

خامساً: أما ما يتعلق بعلم التوحيد فالكتب في هذا كثيرة منها: "كتاب التوحيد"

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ومنها: "العقيدة الواسطية" لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهي كثيرة معروفة ولله الحمد .

والنصيحة العامة لطالب العلم أن يكون عليه آثار علمه من تقوي الله - عز وجل- والقيام بطاعته ، وحسن الخلق ، والإحسان إلى الخلق بالتعليم والتوجيه والحرص على نشر العلم بجميع الوسائل سواء كان ذلك عن طريق الصحف أو المجلات أو الكتب أو الرسائل أو النشرات وغير ذلك من الوسائل .

وأنصح طالب العلم أيضاً ألا يتسرع في الحكم على الشيء ؛ لأن بعض طلبة العلم المبتدئين تجده يتسرع في الإفتاء وفي الأحكام وربما يخطىء العلماء الكبار وهو دونهم بكثير ، حتى إن بعض الناس يقول: ناظرت شخصاً من طلبة العلم المبتدئين فقلت له: إن هذا قول الإمام أحمد بن حنبل . فقال: وما الإمام أحمد بن حنبل ؛ الإمام أحمد بن حنبل رجل ونحن رجال ، سبحان الله !! صحيح أن الإمام أحمد رجل وأنت رجل ، فأنتما مستويان في الذكورة ، أما في العلم فبينكما فرق عظيم ، وليس كل رجل رجلاً بالنسبة للعلم .

وأقول إن على طالب العلم أن يكون متأدباً بالتواضع وعدم الإعجاب بالنفس وأن يعرف قدر نفسه .

ومن المهم لطالب العلم المبتدئ: ألا يكون كثير المراجعة لأقوال العلماء ؛ لأنك إذا أكثرت مراجعتك لأقوال العلماء وجعلت تطالع المغني في الفقه لابن قدامة ، والمجموع للنووي والكتب الكبيرة التي تذكر الخلاف وتناقشه فإنك تضيع .

ابدأ أولاً كما قلنا بالمتون المختصرة شيئاً حتى تصل إلى الغاية ، وأما أن تريد أن تصعد الشجرة من فروعها فهذا خطأ .

* * * * * * * * * * * *

١٧ - **سئل فضيلة الشيخ:** ما طريقة طلب العلم باختصار جزاكم الله خيراً؟

فأجاب فضيلته: بقوله: طريقة طلب العلم باختصار في نقاط :

١- احرص على حفظ كتاب الله تعالى واجعل لك كل يوم شيئا معيناً تحافظ على قراءته ولتكن قراءتك بتدبر وتفهم ، وإذا عنت لك فائدة أثناء القراءة فقيدها .

٢- احرص على حفظ ما تيسر من صحيح سنة الرسول ﷺ ومن ذلك حفظ عمدة الأحكام .

٣- احرص على التركيز والثبات بحيث لا تأخذ العلم نتفاً من هذا شيئاً ومن هذا شيئاً ؛ لأن هذا يضيع وقتك ويشتت ذهنك .

٤- ابدأ بصغار الكتب وتأملها جيداً ثم انتقل إلى ما فوقها ، حتى تحصل على العلم شيئاً فشيئاً على وجه يرسخ في قلبك وتطمئن إليه نفسك .

٥- احرص على معرفة أصول المسائل وقواعدها وقيد كل شيء يمر بك من هذا القبيل فقد قيل : من حُرم الأصول حُرم الوصول .

٦- ناقش المسائل من شيخك ، أو مع من تثق به علماً وديناً من أقرانك ، ولو بأن تقدر في ذهنك أن أحداً يناقشك فيها إذا لم تمكن المناقشة مع من سمَّينا .

* * * * * * * * * * *

١٨- **وسئل فضيلة الشيخ:** عن حكم تعلم اللغة الإنجليزية في الوقت الحاضر؟

فأجاب فضيلته : بقوله : تعلمها وسيلة ، فإذا كنت محتاجاً إليها كوسيلة في الدعوة إلى الله فقد يكون تعلمها واجباً ، وإن لم تكن محتاجاً إليها فلا تشغل وقتك بها واشتغل بما هو أهم وأنفع ، والناس يختلفون في حاجتهم إلى تعلم اللغة الإنجليزية ، وقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود [١] فتعلم اللغة الإنجليزية وسيلة من الوسائل إن احتجت إليها تعلمتها وإن لم تحتج إليها فلا تضيع وقتك فيها .

* * * * * * * * * * *

---

(١) صحيح . رواه أحمد (٥ / ١٨٦) .

١٩- **سئل فضيلته:** عن حكم مشاهدة الأفلام التعليمية التي قد تكون فيها نساء وخصوصاً أفلام تعلم اللغة الإنجليزية ؟

فأجاب قائلاً : أنا أرى أن مشاهدة الأفلام التعليمية جائزة ولا بأس بها ؛ لأنها مشاهدة لأمر يكون خيراً ، وإذا كان الذي يظهر من النساء والمشاهدون رجال فإن حصل تمتع بالنظر إليها ، فهذا محرم ، وأما إذا لم يكن ذلك فهذا محل توقف عندي ، وعلى كل حال فإنني أكره ذلك لأنه يُخشى على الإنسان من الفتنة إذا شاهد ذلك ، وبالإمكان إذا كان الذي يتكلم في هذه الحلقة امرأة أن تضع على الشاشة غطاء حتى لا تظهر أمام الطلبة ، هذا إذا اضطررنا إلى الاستماع للمرأة بحيث لا يوجد لهذا الموضوع رجل ، فإن كان يوجد رجل فلا يعدل عنه إلى النساء إذا كان المتعلمون رجالاً والعكس بالعكس .

****

٢٠ - **وسئل فضيلته : كثر عند بعض الشباب الصالح القول بعدم التقليد مستندين إلى بعض أقوال ابن القيم عليه رحمة الله ، فما قولكم ؟**

فأجاب فضيلته بقوله : الحقيقة إنني أؤيد هذا ، أن الإنسان لا يركن إلى التقليد ؛ لأن المقلد قد يخطئ ، ولكني مع ذلك لا أرى أن نبتعد عن أقوال أهل العلم السابقين حتى لا نتشتت ونأخذ من كل مذهب لأننا وجدنا أن الإخوة الذين يُنكرون التقليد وجدناهم أحياناً يضيعون حتى يقولوا بما لم يسبقهم إليه أحد .

ولكن إذا دعت الضرورة إلى التقليد فإنه لابد لقول الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء:الآية ٧) فأوجب - سبحانه سؤال أهل الذكر إذا كنا لا نعلم ، وسؤالهم يتضمن اعتماد قولهم وإلا لم يكن لسؤالهم فائدة .

فالتقليد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بمنزلة الميتة إن اضطررت إليها فكلها ، وإن استغنيت عنها فهي حرام عليك ، فمتى نزل بالإنسان نازلة ولا يتمكن من مطالعتها في الكتب التي تسوق الأدلة فلا حرج عليه حينئذ أن

يقلد ، ولكنه يقلد من يراه أقرب إلى الحق في علمه وأمانته ، وأما مادام عنده قدرة على استنباط الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنه لا يقلد .

* * * * * * * * * * * *

٢١ - **سئل فضيلة الشيخ: إذا كانت الأمة أحوج إلى العلوم المادية كالطب والهندسة وغيرها ، فهل الأفضل للإنسان أن يتخصص في العلوم المادية أم العلوم الشرعية ؟**

فأجاب بقوله : لاشك أن الأصل هو العلوم الشرعية ولا يمكن لإنسان أن يعبد الله حق عبادته إلا بالعلم الشرعي كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (يوسف:الآية ١٠٨) فلا بد من العلم الشرعي الذي تقوم به حياة المرء في الدنيا والآخرة ، ولا يمكن لأي دعوة أن تقوم إلا وهي مبنية على العلم ، وبهذه المناسبة أود أن أحث إخواني الدعاة إلى الله أن يتعلموا قبل أن يدعوا وليس معنى ذلك أن يتبحروا في العلم لكن ألا يتكلموا بشيء إلا وقد بنوه على العلم ؛ لأنهم إذا تكلموا بما لا يعلمون كانوا داخلين تحت قوله تعالي: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:الآية ٣٣) .

والعلوم الشرعية تنقسم إلى قسمين:

قسم لابد للإنسان من تعلمه وهو ما يحتاجه في أمور دينه ودنياه .

وقسم آخر وهو فرض كفاية ، فإنه هنا يمكن الموازنة بينه وبين ما تحتاجه الأمة من العلوم الأخرى التي ليست من العلوم الشرعية .

وكذلك العلوم الأخرى التي ليست من العلوم الشرعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم علوم ضارة ، فيحرم تعلمها ولا يجوز للإنسان أن يشتغل بهذه العلوم مهما تكن نتيجتها .

٢- قسم علوم نافعة ، فإنه يتعلم منها ما فيه النفع .

٣- وقسم العلوم التي جهلها لا يضر والعلم بها لا ينفع وهذه لا ينبغي للطالب أن يقضي وقته في طلبها .

* * * * * * * * * * * *

٢٢ - **سئل فضيلة الشيخ : نلاحظ أن أكثر الشباب يهتم بقراءة الكتب الثقافية العامة متأثراً بها وغير مهتم بكتب الأصول فما نصيحتكم وفقكم الله ؟**

فأجاب قائلاً : نصيحتي لنفسي أولاً ثم لإخواننا طلبة العلم أن يعتنوا بكتب أهل العلم من السلف ؛ لأن كتب السلف فيها من الخير الكثير والعلم الكثير وفيها من البركة ما هو معلوم .

* * * * * * * * * * * *

٢٣ - **وسئل فضيلته : نرى كثيراً من الناس يعلم بعض الأحكام الشرعية كتحريم حلق اللحية وشرب الدخان ومع ذلك لا يعمل بعلمه ، فما أسباب ذلك ؟ وكيف نعالج هذه الظاهرة الخطيرة ؟**

فأجاب بقوله: أسباب ذلك هو: اتباع الهوى ، وكون الإنسان ليس عنده من الوازع الديني ما يحمله على تقوى الله - عز وجل - في تجنب ما يراه حراماً ، والإنسان إذا حاسب نفسه ورأى أنه راجع إلى ربه مهما طال فإنه قد يغلب هواه وقد يسيطر على نفسه .

ومن أسباب ذلك أيضاً : أن الشيطان يصغر مثل هذه المعاصي في قلب العبد ، والنبي ﷺ حذر من ذلك فقال : «**إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل ذلك كمثل قوم نزلوا أرضاً فأتي هذا بعود وهذا بعود وهذا بعود ثم إذا جمعوا حطباً كثيراً وأضرموا ناراً كثيراً**»[1] فهكذا المعاصي المحقرات التي يراها الإنسان حقيرة لا تزال به حتى تكون من كبائر الذنوب .

---

(١) **صحيح** . رواه أحمد (٥ / ٣٣١) والبيهقى فى "شعب الإيمان" (٧٢٦٧) عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه . ورواه أحمد (١ / ٤٠٢ - ٤٠٣) والطبرانى فى "الكبير" (١٠ / ٢١٢ / ١٠٥٠٠) وفى "الأوسط" (٢٥٢٩) والبيهقى فى "شعب الإيمان " (٢٨٥) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . وفى سنده أبى عياض المدنى وهو مجهول كما فى "التقريب " (٢/ ٤٥٨) ولكن يشهد له حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه .

ولهذا قال أهل العلم: إن الإصرار على الصغائر يجعلها كبائر ، وإن الاستغفار من الكبائر يكفرها ، لهذا نقول لهؤلاء: عليكم أن تحاسبوا أنفسكم .

ومن أسباب ذلك أيضا: قلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولو كان كل واحد منا إذا رأى أحداً على معصية أرشده وبيَّن له أن ذلك مخالف لهدي الرسول ﷺ فإن العاقل سوف يعتبر ويتغير .

****

٢٤ - **وسئل - غفر الله له -: ما الواجب على طالب العلم والعالم تجاه الدعوة إلى الله ؟**

فأجاب فضيلته بقوله: الدعوة إلى الله واجبه كما قال الله تعالي: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل ، الآية: ١٢٥) . وقد جعل الله الدعوة على ثلاث مراتب: الدعوة بالحكمة ، وبالموعظة وبالمجادلة ؛ لأن من تدعوه إما أن يكون لا علم عنده ولا منازعة عنده ولا مخالفة فهذا يُدعى بالحكمة ، والحكمة هي بيان الحق ، وحكمة الحق إن تيسر لك ؛ والموعظة تكون مع من عنده شيء من الإعراض وتوقف عن قبول الحق فإنك تعظه بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى وبهما جميعاً إن اقتضت الحال ذلك ، والمجادلة تكون مع من عنده إعراض ومنازعة في الحق فإنك تجادله بالتي هي أحسن من القول أو بالتي هي أحسن بالإقناع .

وانظر إلى مجادلة إبراهيم - عليه السلام - مع الذي حاجه في ربه ، قال الله عن ذلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة الآية: ٢٥٨) وكيف هذا ؟ يؤتى بالرجل مستحقاً للقتل فلا يقتله وهذا بزعمه إحياؤه ، ويؤتى بالرجل لا يستحق القتل فيقتله وهذا بزعمه إماتته ، يمكن أن يجادل هذا بأن يقال: إنك إذا أوتيت بالرجل المستحق القتل فلم تقتله ، إنك ما أحييته ؛ لأن الحياة موجودة فيه

من قبل ، ولكنك أبقيت الحياة بعدم قتله ، ويمكن أن تقول : إنه إذا قتل من لا يستحق القتل إنه لم يمته ، وإنما فعل سبباً يكون به الموت ولهذا ذكر النبي ﷺ في قصة الدجال أنه يؤتى إليه بشاب فيشهد هذا الشاب أنه الدجال الذي أخبر عنه النبي ﷺ فيقتله الدجال ، ويجعله قطعتين ويمشي بينهما تحقيقاً للتباين بينهما ، ثم يناديه الدجال فيقوم متهلـلاً يضحك يقول : أشهد إنك الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ ، ثم يأتي ليقتله فلا يقدر [1] فهذا دليل على أن الأمر كله بيد الله .

فيمكن أن يحاج هذا الرجل بمثل ذلك ، ولكن إبراهيم عليه السلام ، أراد أن يأتي بدليل آخر لا يحتاج إلى محاجة ولا مجادلة ، قال إبراهيم : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** ﴾ (البقرة:الآية ٢٥٨) فنكص عن الجواب : ﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ** ﴾ (البقرة:الآية ٢٥٨) .

فقوله تعالى : ﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (النحل:الآية ١٢٥) أي الأحسن في الأسلوب والإقناع وبالتالي يجب علينا أن ندعو إلى الله مادام الإنسان قادراً على ذلك ، ولكن الدعوة إلى الله فرض كفاية أي إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين ، فإذا رأيت شخصاً منحرفاً وليس حولك من يدعوه صار الآن فرض عين عليك ؛ لأن العلماء يقولون فرض الكفاية : إنه إذا لم يوجد سوى هذا الرجل تعين عليه .

* * * * * * * * * * * *

٢٥ – سئل فضيلة الشيخ : ما فائدة تعلم طلاب العلم فرق المعتزلة والجهمية والخوارج مع عدم وجودها في هذا العصر؟

فأجاب فضيلته بقوله : تعلم فرق المبتدعة في هذا الزمان فيه فائدة وهي : أن نعرف مآخذ هذه الفرق لنرد عليهم إذا وجدوا ، وهم موجودون فعلاً ، وقول السائل : إنه لا وجود لهم الآن مبني على علمه هو ، ولكن المعلوم عندنا وعند غيرنا ممن يطلعون على أحوال الناس أن هذه الفرق موجودة وأن لها نشاطاً أيضاً في نشر بدعهم ،

---

(١) رواه مسلم في"الفتن" (٧٢٣٤)باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

ولذلك لابد من أن نتعلم هذه الآراء حتى نعرف زيفها ونعرف الحق ونرد على من يجادلون فيها .

* * * * * * * * * * * *

٢٦ - **سئل فضيلة الشيخ : نحن طلاب العلم نحفظ الكثير من الآيات على سبيل الاستشهاد ، وفي نهاية العام نكون قد نسينا الكثير منها ، فهل ندخل في حكم من يعذبون بسبب نسيان ما حفظوه ؟**

فأجاب قائلاً : نسيان القرآن له سببان :

الأول : ماتقتضيه الطبيعة .

والثاني : الإعراض عن القرآن وعدم المبالاة به .

فالأول لا يأثم به الإنسان ولا يعاقب عليه ، فقد وقع من رسول الله ﷺ حين صلى بالناس ونسي آية ، فلما انصرف ذكره بها أبي بن كعب ، فقال له النبي ﷺ: «**هلا كنت ذكرتنيها**» [(١)] وسمع رسول الله قارئاً يقرأ ، فقال : «**يرحم الله فلاناً فقد ذكرني آية كنت أنسيتها**» [(٢)] .

وهذا يدل على أن النسيان الذي يكون بمقتضى الطبيعة ليس فيه لوم على الإنسان .

أما ما سببه الإعراض وعدم المبالاة فهذا قد يأثم به . وبعض الناس يكيد له الشيطان ويوسوس له ألا يحفظ القرآن لئلا ينساه ويقع في الإثم ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ (النساء:الآية ٧٦) فليحفظ الإنسان القرآن لأنه خير ، وليؤمل عدم النسيان ، والله سبحانه عند ظن عبده به .

ونظير هذا ما يستدل به بعض الناس بقول الله تعالى : ﴿ **لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ (المائدة:الآية ١٠١) فيترك السؤال والعلم والتعلم . ولكن كان هذا

---

(١) **حسن** . رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائده على المسند (٤ / ٧٤) من حديث مسور بن يزيد رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى فى "فضائل القرآن " (٥٠٣٨) باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا ؟

حين نزول الوحي والتشريع ، فقد يسأل البعض عن أشياء سكت الله عنها فُتبين لهم فيكون فيها تشديد على المسلمين بالإيجاب أو التحريم . أما الآن فلا تغيير في الأحكام ولا نقص فيها فيجب السؤال عن الدين .

* * * * * * * * * * * *

٢٧ - **سئل فضيلة الشيخ - غفر الله له -: قد يعلم الإنسان شيئاً ويأمر به غيره وهو نفسه لا يعمله سواء كان فرضاً أو نفلاً فهل يحل له أن يأمر غيره بما لا يعمل؟**

وهل يجب على المأمور امتثال أمره أم يحل له الاحتجاج عليه بعدم عمله ثم لا يعمل ما أمر به تبعاً لذلك؟

فأجاب فضيلته بقوله: هنا أمران :

الأمر الأول: هذا الذي يدعو إلى الخير وهو لا يفعله نقول له: قال الله - عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:الآيتان ٢ ، ٣) وأنا أعجب كيف رجل يؤمن بأن هذا هو الحق ، ويؤمن بأن التعبد لله به يقربه إليه ويؤمن بأنه عبد لله ثم لا يفعله فهذا شيء يعجب له ويدل على السفه وأنه محط التوبيخ واللوم لقوله تعالي: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ . فنقول لهذا الرجل: أنت آثم بتركك العمل بما علمت وبما تدعو إليه ، ولو بدأت بنفسك لكان ذلك من العقل والحكمة .

أما الأمر الثاني: بالنسبة للمأمور فإنه لا يصح له أن يحتج على هذا الرجل بفعله فإذا أمره بخير وجب عليه القبول ، يجب أن يقبل الحق من كل من قال به ولا يأنف من العلم .

* * * * * * * * * * * *

٢٨ - **وسئل فضيلته : كيف نرد على من قال: إن العلماء السابقين لم تكن لديهم المشاغل التي تؤثر على حفظهم كما هو حاصل لعلماء هذا الزمان ، ومنهم من يكون ليس لديهم إلا التفرغ لطلب العلم وحفظه والجلوس بلا مشاغل ، أما الآن**

فكثرت المشاغل الدنيوية التي تأخذ كل الوقت ، والإنسان قد لا يستطيع الاستغناء عن هذه المشاغل؟

فأجاب – رحمه الله –: أقول لطالب العلم ما دمت أنك قد فرغت نفسك للعلم فكن طالب علم حقاً ، وأعتقد أن البنَّاء الذي فرَّغ نفسه للبناء لا يلتفت إلى عمل آخر ، بل يلتفت إلى مهمته التي كرس نفسه لها ورأى أنها هي الخير له ، فما دمت تعلم أن طلب العلم هو الخير وتريد أن تتخذه طريقاً فلا تلتفت إلى غيره .

وفي ظني أن الرجل إذا ثابر مع الإيمان والإخلاص وصدق النية فإن الله – سبحانه وتعالى – يعينه ولا يعبأ بهذه المشكلات ، والله – عز وجل – يقول: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ (الطلاق الآية: ٤) ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق الآيتان: ٢ ، ٣) فعليك بصدق النية في الطلب تجد أن الأمر سهل وميسر .

* * * * * * * * * * * *

٢٩ – وسئل الشيخ: بماذا تنصح من يريد طلب العلم الشرعي ولكنه بعيد عن العلماء مع العلم بأن لديه مجموعة كتب منها الأصول والمختصرات ؟

فأجاب بقوله: أنصحه بأن يثابر على طلب العلم ويستعين بالله – عز وجل – ثم بأهل العلم ، لأن تلقي الإنسان العلم على يدي العالم يختصر له الزمن بدلاً من أن يذهب ليراجع عدة كتب وتختلف عليه الآراء ، ولست أقول كمن يقول ، أنه لا يمكن إدراك العلم إلا على عالم أو على شيخ فهذا ليس بصحيح ، لأن الواقع يكذبه لكن دراستك على الشيخ تُنوِّرُ لك الطريق وتختصره .

* * * * * * * * * * * *

٣٠ – سئل الشيخ: أنا طالب علم وأهلي عندهم ظروف مادية ، فقال لي والدي اعمل علينا أفضل لك من طلب العلم فهل أترك دراستي للعلم؟ وهل العمل على الأهل أفضل أم لا ؟

فأجاب فضيلته بقوله: لا شك أن طلب العلم أفضل ، اللهم إلا في حالة الضرورة إلا أنه يمكنه أن يجمع بينهما ولا سيما أن الحالة الاقتصادية - والحمد لله - أن أكثر الناس قد أوسع الله عليهم فيمكن أن تقوم بحاجة أهلك فتتزوج امرأة يكون عندها بعض المؤنة وتكون مستمراً في طلب العلم .

* * * * * * * * * * * *

٣١ - **وسئل فضيلة الشيخ: أنا طالب في الجامعة وكل دراستي نظريات غربية تنافي تعاليم الشرع فما رأيكم إذا علمت أنني أنوي نقد مثل هذه النظريات ونفع الأمة الإسلامية في دراستي الحالية وبعد تخرجي ؟**

فأجاب بقوله : أقول هذا لا شك أنه من الجهاد في سبيل الله ، أن يدرس الإنسان هذه النظريات المخالفة للإسلام حتى يرد عليها عن علم .

ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ وقد أرسله إلى اليمن: «**إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب**» [1] فأخبره بحالهم كي يستعد لهم ، وكذلك العلماء الذين درسوا هذه الأمور كشيخ الإسلام ابن تيمية درس من العلوم والنظريات الفلسفية وغيرها ما يستطيع أن يرد به على أصحابها .

فإذا كنت تتعلم هذه الأمور للرد ، وأنت واثق أن لديك المقدرة والحصانة على الرد بحيث لا تتأثر بها ، بأن يكون لديك علم شرعي راسخ ، ويكون لديك عبادة وتقوى فأرجو إن شاء الله تعالى أن يكون هذا خيراً لك ونفعاً للمسلمين ، وأما إذا كنت ترد عليها بشيء غير مقبول أو ليس لديك دليل ، فلا تنتهج هذا الطريق وكذلك إذا كنت تعرف نفسك أنك لست على يقين كامل وثبات راسخ فأنا أشير عليك أن تدع هذه الأمور لأنها خطيرة ، ولا ينبغي للإنسان أن يتعرض للبلاء مع الخوف منه .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) رواه البخاري في "الزكاة" (١٣٩٥) باب وجوب الزكاة . ومسلم في "الإيمان " (١٢١) باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء له .عن ابن عباس رضي الله عنه ،

٣٢ - **وسئل فضيلته: أنا طالب أحب أن آخذ درجات عالية ومعدلاً ممتازاً وأنا مع ذلك نيتي طيبة فما رأيك في الفرح بالدرجات العالية والغضب من الدرجات الضعيفة ، هل في هذا خدش للإخلاص ؟**

فأجاب فضيلته بقوله: الظاهر إن شاء الله أنه ليس في هذا خدش للإخلاص ؛ لأن هذا أمر طبيعي أن الإنسان يُسر بالحسنة ويُساء بالسيئة ، والله تعالى بين أن الأشياء التي لا تلائم المرء سماها سيئة فلا بد أن تسؤه وكذلك الحسنة لا بد أن تسره .

فهذا لا يؤثر على إخلاصك إذا كان الأمر كما قلت عندك نية طيبة ، أما إذا كان همك هو الدرجات أو الشهادة فهذا شيء آخر ، فها هو عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما ألقى النبي ﷺ على أصحابه مسألة قال: «**إن في الشجر شجرة تشبه المؤمن**» [1] فجعل الصحابة - رضي الله عنهم - يخوضون في أشجار البوادي قال ابن عمر: فوقع في قلبي أنها النخلة ولكني كنت صغيراً فما أحببت أن أتكلم ، وعمر - رضي الله عنه - قال لابنه: "وددت أنك قلتها" ، وهذا يدل على أن فرح الإنسان بنجاح وما أشبه ذلك لا يضر .

****

٣٣ - **وسئل الشيخ - غفر الله له -: ما رأي فضيلتكم في تعلم طالب العلم اللغة الإنجليزية لا سيما في سبيل استخدامها في الدعوة إلى الله ؟**

فأجاب فضيلته: بقوله: رأينا في تعلم اللغة الإنجليزية أنها وسيلة لا شك ، وتكون وسيلة طيبة إذا كانت الأهداف طيبة ، وتكون رديئة إذا كانت لأهداف رديئة ، لكن الشيء الذي يجب اجتنابه أن تتخذ بديلاً عن اللغة العربية ، فإن هذا لا يجوز ، وقد سمعنا بعض السفهاء يتكلم بها بدلاً من اللغة العربية ، حتى إن بعض السفهاء المغرمين الذين أعتبرهم أذناباً لغيرهم كانوا يعلمون أولادهم تحية غير المسلمين يعلمونهم أن يقولوا باي باي عند الوداع وما أشبه ذلك .

---

(١) رواه البخارى فى "العلم" (٦١) باب قول المحدث "حدثنا" أو "أخبرنا" و "أنبأنا" عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه .

لأن إبدال اللغة العربية التي هي لغة القرآن وأشرف اللغات بهذه اللغة محرم وقد صح عن السلف النهي عن رطانة الأعاجم وهم مَنْ سوى العرب .

أما استعمالها وسيلة للدعوة فإنه لا شك أن يكون واجباً أحياناً ، وأنا لم أتعلمها وأتمني أنني كنت تعلمتها ووجدت في بعض الأحيان أني أضطر إليها حتى المترجم لا يمكن أن يعبر عما في قلبي تماما .

وأذكر لكم قصة حدثت في مسجد المطار بجدة مع رجال التوعية الإسلامية نتحدث بعد صلاة الفجر عن مذهب التيجاني وأنه مذهب باطل وكفر بالإسلام وجعلت أتكلم بما أعلم عنه فجاءني رجل فقال: أريد أن تأذن لي أن أترجم بلغة الهوسا . فقلت: لا مانع فترجم فدخل رجل مسرع فقال: هذا الرجل الذي يترجم عنك يمدح التيجانية فدهشت وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، فلو كنت أعلم مثل هذه اللغة ما كنت أحتاج إلى مثل هؤلاء الذين يخدعون ، فالحاصل أن معرفة لغة من تخاطب لا شك أنها مهمة في إيصال المعلومات قال الله تعالي: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم:الآية ٤) .

* * * * * * * * * * * *

٣٤ - **وسئل - رحمه الله تعالى - : أنا متخصص في علم الكيمياء وأتابع البحوث والدراسات التي تصدر في هذا المجال لكي أستفيد وأفيد من ذلك في أي مجال أعمل به سواء مدرسة أو مصنعاً مع العلم بأن ذلك يشغلني عن طلب العلم الشرعي فكيف أوفق بينهما ؟**

فأجاب بقوله: أرى أن التوفيق بين العلمين يمكن بحيث تركز على العلم الشرعي ويكون هو الأصل لديك ، ويكون طلب العلم الآخر على سبيل الفضول ثم مع ذلك تمارس هذا العلم الثاني من أجل مصلحة تعود عليك وعلى أمتك بالخير مثل أن تستدل بدراسة هذا العلم على كمال حكمة الله - عز وجل - وربط الأسباب بمسبباتها وما إلى ذلك مما يعرفه غيرنا ولا نعرفه في هذه العلوم ، فأنا أقول استمر في طلب العلم الشرعي واطلب الآخر لكن اجعل الأهم والمركز عليه هو العلم الشرعي .

* * * * * * * * * * * *

٣٥ - **سئل فضيلة الشيخ: أي كتب تفسير القرآن تنصح بقراءتها؟ وحفظ القرآن ، إذا حفظ الإنسان ونسي فهل هناك وعيد فيه ؟ وكيف يحفظ الإنسان ويحافظ على ما حفظ؟**

فأجاب بقوله: القرآن وعلومه متنوعة ، وكل مفسر يفُسر القرآن يتناول طرفاً من هذه العلوم ولا يمكن أن يكون تفسيراً واحداً يتناول القرآن من جميع الجوانب .

فمن العلماء من ركز في تفسيره على التفسير الأثري - أي على ما يؤثر عن الصحابة والتابعين - كابن جرير وابن كثير .

ومنهم من ركز على التفسير النظري كالزمخشري وغيره ولكن أنا أرى أن يفسر الآية هو بنفسه أولاً - أي يكرر في نفسه أن هذا هو معنى الآية - ثم بعد ذلك يراجع ما كتبه العلماء فيها ؛ لأن هذا يفيده أن يكون قوياً في التفسير غير عالة على غيره ، وكلام الله - عز وجل - منذ بُعث الرسول ﷺ إلى اليوم ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

وإن كان يجب الرجوع إلى تفسير الصحابة ؛ لأنهم أدرى الناس بمعانيه ، ثم إلى كتب المفسرين التابعين ، لكن مع ذلك لا أحد يستوعب كلام الله - عز وجل .

فالذي أرى أن الطريقة المثلى أن يكرر الإنسان تفسير الآية في نفسه ، ثم بعد ذلك يراجع كلام المفسرين فإذا وجده مطابقاً فهذا مما يُمكنه من تفسير القرآن وييسره له وإن وجده مخالفاً رجع إلى الصواب .

وأما حفظ القرآن فطريقة حفظه تختلف من شخص لآخر ، بعض الناس يحفظ القرآن آية آية بمعنى أنه يحفظ آية يقرأها أولاً ثم يرددها ثانياً وثالثاً حتى يحفظها ثم يحفظ التي بعدها ثم يكمل ثمن أو ربع الجزء أو ما أشبه ذلك ، وبعض الناس يقرأ إلى الثمن جميعاً ويردده حتى يحفظه ومثل هذا لا يمكن أن نحكم عليه بقاعدة عامة فنقول للإنسان استعمل ما تراه مناسباً لك في حفظ القرآن .

لكن المهم أن يكون عندك علم لما حفظت متى أردت الرجوع إليه ، وأحسن ما رأيت في العلم أن الإنسان إذا حفظ شيئاً اليوم يقرأه مبكراً الصباح التالي فإن هذا يعين

كثيراً على حفظ ما حفظه في اليوم الأول هذا شيء فعلته أنا فإن هذا يعين على الحفظ الجيد .

أما الوعيد على من ينسى ، قال الإمام أحمد: "ما أشد ما ورد فيه" أي حفظ آية ونسيها والمراد بذلك من أعرض عنها حتى تركها ، وأما من نسيها لسبب طبيعي أو لأسباب كانت واجبة أشغلته فإن هذا لا يلحق به إثم ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة الآية: ٢٨٦) .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى بأصحابه فنسي آية فذكره أحد الصحابة بها بعد الصلاة فقال: «**هلا كنت ذكرتني بها**» [١] فالإنسان الذي ينساه تهاوناً به وإعراضاً عنه لا شك أنه خاسر وأنه مستحق الإثم ، وأما الذي ينساه لشيء واجب عليه أوجبه الله - سبحانه وتعالى - عليه أو نسياناً طبيعياً فهذا لا يلحقه شيء .

* * * * * * * * * * * *

٣٦- **وسئل فضيلته:** عن كتاب فقه السنة؟

فأجاب فضيلته: بقوله: لا شك أنه من خير الكتب ؛ لأن فيه مسائل كثيرة مقرونة بالأدلة ، لكنه لا يسلم من الأخطاء ، وكما قال ابن رجب - رحمه الله - في مقدمة القواعد الفقهية ، قال «**يأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه ولكن المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه**» ، الكتاب لا شك أنه نافع لكن لا أرى أن يقتنيه إلا طالب علم يميز بين الصحيح والضعيف ؛ لأن به مسائل ضعيفة كثيرة .

ومن ذلك القول باستحباب صلاة التسبيح فإن صلاة التسبيح هذه قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: إن حديثها كذب ، وقال إنها لا يستحبها أحد من الأئمة ، ولما سئل عنها الإمام أحمد نفض يده كالمنكر لها [٢] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢)حديث صلاة التسابيح مما اختلف فيه أهل العلم ما بين مصحح له ومضعف ، بل ومنهم من حكم عليه بالوضع والراجح أنه حديث حسن الإسناد وقد روى حديث صلاة التسبيح من أربعة طرق عن ابن عباس رضى الله عنه من أمثلها ما رواه أبو داود (١٢٩٧) وابن ماجه (١٣٨٧) وابن خزيمة (١٢١٦) والطبراني فى "الكبير" (١١/٢٤٣ /

٣٧ - **وسئل - رحمه الله تعالى - : في هذا الزمن يجرى تسمية بعض العلوم التجريبية بالعلم حتى إن المدارس الثانوية سمت بعلمي وأدبي ، فهل هذا صحيح؟ إضافة لذلك إن هذا التقسيم في المدارس يعلق بأذان الطلاب مما يؤثر عليهم مستقبلاً؟**

فأجاب فضيلته : بقوله: هذا التقسيم إلى علمي وأدبي هو اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح ؛ لأنهم يرون أن المواد العلمية هي ما يتعلق بعلم الكون والأحياء والنباتات وما أشبه ذلك ، ولكن الذي يجب أن نفهمه أن هذا ليس هو العلم الذي حثّ عليه وأثني على طالبيه ، فإن العلم الذي أثنى الله على أصحابه ، والذي أصحابه هم أهل خشية الله ، إنما هو علم الشريعة فقط ، وأما العلوم الأخرى فإنها إن كانت نافعة فإنها تكون مطلوبة لا لذاتها ولكن لما يرجى فيها من نفع ، وأما إذا كانت ضارة وجب اجتنابها ، وأما إذا كانت غير نافعة ولا ضارة فإن الإنسان لا ينبغي أن يضيع وقته فيها .

* * * * * * * * * * * *

٣٨ - **وسئل أعلى الله درجته في المهديين - : هل يعذر الشخص بعدم طلبه للعلم بسبب انشغاله بدراسته التي ليس بها طلب للعلم الشرعي أو بسبب عمله أو غير ذلك؟**

فأجاب فضيلته: بقوله: طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي

١١٦٢٢) والحاكم (١ / ٣١٨) والبيهقى فى "السنن الكبرى " (٣ / ٥١ - ٥٢) وابن الجوزى فى " الموضوعات " (٢ / ١٤٣) والمزى فى " تهذيب الكمال " (٢٩ / ١٠٢ - ١٠٣) وابن ناصر الدين الدمشقى فى "الترجيح لحديث صلاة التسابيح " (ص ٣٧ - ٣٩) جميعهم من طريق عبد الرحمن بن بشر بن الحكم عن أبى شعيب موسى بن عبد العزيز القنبارى .عن الحكم بن أبان عن عكرمه عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: (يا عباس يا عماه ألا أعطيك ؟ ألا أمنحك ؟ ألا أحبوك ؟ ألا أفعل بك عشر خصال ؟ إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك: أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته ، عشر خصال ، أن تصلى أربع ركعات ، تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة) .

صار في حق الآخرين سنة ، وقد يكون واجباً على الإنسان عيناً أي فرض عين كما لو أراد الإنسان أن يتعبد الله بعبادة فإنه يجب عليه أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة .

وعلى هذا ، فهذا الذي يشغله عن طلب العلم الشرعي حاجة أهله أو غير ذلك من الصوارف مع محافظة على ما يجب الحفاظ عليه من العبادة نقول : إن هذا معذور ولا حرج عليه ولكن ينبغي أن يتعلم من العلم الشرعي بقدر ما يستطيع .

* * * * * * * * * * * *

٣٩ - **سئل فضيلة الشيخ** : ما المقصود بالعلماء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر الآية : ٨) .

فأجاب بقوله: المقصود بهم العلماء الذين يوصلهم علمهم إلى خشية الله ، وليس المراد بالعلماء من علموا شيئاً من أسرار الكون كأن يعلموا شيئاً من أسرار الفلك وما أشبه ذلك أو ما يسمى بالإعجاز العلمي ، فالإعجاز العلمي في الحقيقة لا ننكره ، لا ننكر أن في القرآن أشياء ظهر بيانها في الأزمنة المتأخرة لكن غالى بعض الناس في الإعجاز العلمي حتى رأينا من جعل القرآن كأنه كتاب رياضة وهذا خطأ ، فنقول : إن المغالاة في إثبات الإعجاز العلمي لا ينبغي لأن هذه قد تكون مبنية على نظريات والنظريات تختلف ، فإذا جعلنا القرآن دالاً على هذه النظرية ثم تبين بعد أن هذه النظرية خطأ معنى ذلك أن دلالة القرآن صارت خاطئة ، وهذه مسألة خطيرة جداً .

والآن يا إخواني : اعتنى في الكتاب والسنة ببيان ما ينفع الناس من العبادات والمعاملات ولهذا بين دقيقها وجليلها حتى آداب الأكل والجلوس والدخول وغيرها . لكن علم الكون هل جاء على سبيل التفصيل ؟ ولذلك فأنا أخشى من انهماك الناس في الإعجاز العلمي أن يشتغلوا به عما هو أهم ، إن الشي الأهم هو تحقيق العبادة لأن القرآن نزل بهذا ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات الآية : ٥٦) .

أما علماء الكون الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه فننظر إن اهتدوا بما وصلوا إليه من العلم واتقوا الله - عز وجل - وأخذوا بالإسلام صاروا من علماء المسلمين الذين

يخشون الله ، وإن بقوا على كفرهم وقالوا إن هذا الكون له محدث فإن هذا لا يعدو أن يكونوا قد خرجوا من كلامهم الأول إلى كلام لا يستفيدون منه ، فكل يعلم أن لهذا الكون محدثاً ؛ لأن هذا الكون إما أن يحدث نفسه ، وإما أن يحدث صدفة ، وإما أن يحدثه خالق وهو الله - عز وجل- فكونه يحدث نفسه مستحيل ؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه ؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً ؟!

ولا يمكن أن تُوجد صدفة ؛ لأن كل حادث لابد له من محدث ، ولأن وجوده على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف ، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجوده صدفة ، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره ؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ، ولا أن تُوجد صدفة تعيَّن أن يكون لها مُوجد وهو الله رب العالمين .

* * * * * * * * * * * *

٤٠ - **سئل الشيخ - غفر الله له -: هل تعليم الطالب الرياضيات إذا كان الشخص ينوي بها وجه الله له أجر أم لا ؟**

فأجاب فضيلته: بقوله: إذا كانت هذه الرياضيات ما تنفع المسلمين في معاشهم ونوى الشخص بذلك نفع الناس بها فإنه يؤجر على نيته ، ولكنها ليست كالعلوم الشرعية فإنها إذا كانت من المباحات تكون وسيلة ؛ فإذا كانت وسيلة إلى ما ينفع الناس فى معاشهم أثيب الشخص عليها لأن القاعدة الشرعية أن المباح قسم واسع فقد يكون حراماً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً وقد يكون واجباً .

ونقول مثلاً: أن الأصل في البيع الحلال ، ولكن قد يكون واجباً أحياناً ، وقد يكون حراماً ، وقد يكون مستحباً وقد يكون مكروهاً ، فإذا أراد شخص أن يشتري منك شيئاً ينقذ به حياته مثل الطعام والشراب فما حكم البيع ؟ الحكم واجب ، وشخص آخر أراد أن يشتري منك عنباً ليجعله خمراً فهذا البيع حرام ، وشخص آخر أراد أن يشتري ماء ليتوضأ به وليس عنده ماء فالشراء واجب ؛ فعلى هذا نقول: إن

المباح إذا كان وسيلة لأمر مشروع كان مشروعاً وإذا كان ذريعة لأمر محرَّم كان حراماً .

* * * * * * * * * * * *

٤١ - **وسئل فضيلة الشيخ:** بعض الشباب يريدون أن يتعلموا الطب وبعض العلوم الأخرى ولكن هناك عوائق مثل الاختلاط والسفر إلى بلاد الخارج فما الحل؟ وما نصيحتكم لهؤلاء الشباب ؟

فأجاب فضيلته : بقوله: نصيحتي لهؤلاء أن يتعلموا الطب لأننا في بلادنا في حاجة شديدة إليه ، وأما مسألة الاختلاط فإنه هنا في بلادنا والحمد لله يمكن أن يتقي الإنسان ذلك بقدر الاستطاعة .

وأما السفر إلى بلاد الكفار فلا أرى جواز السفر إلا بشروط :

الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات ؛ لأن هناك في بلاد الكفار يوردون على أبناء المسلمين الشبهات حتى يردوهم عن دينهم .

الثاني: أن يكون عند الإنسان دين يدفع به الشهوات ، فلا يذهب إلى هناك وهو ضعيف الدين ، فتغلبه الشهوات فتدفع به إلى الهلاك .

الثالث: أن يكون محتاجاً إلى السفر بحيث لا يوجد هذا التخصص في بلاد الإسلام . .

فهذه الشروط الثلاثة إذا تحققت فليذهب ، فإن تخلف واحد منها فلا يسافر ، لأن المحافظة على الدين أهم من المحافظة على غيره .

* * * * * * * * * * * *

٤٢ - **وسئل فضيلته** : من الملاحظ انصراف كثير من طلاب العلم عن إتقان قواعد اللغة العربية مع أهميتها فما تعليقكم؟

فأجاب فضيلته بقوله: نعم ، فهم اللغة العربية مهم سواء في قواعد الإعراب أو قواعد البلاغة ، كلها مهمة ولكن بناء على أننا والحمد لله عرب فإنه يمكننا أن نتعلم

دون أن نعرف قواعد اللغة العربية ، لكن من الكمال أن يتعلم الإنسان قواعد اللغة العربية ، فأنا أحث على تعلم اللغة العربية في جميع قواعدها .

****

٤٣ - **وسئل فضيلة الشيخ** : أيهما أفضل : التفرغ للدعوة إلى الله - عز وجل - أم التفرغ لطلب العلم؟

فأجاب قائلاً: طلب العلم أفضل وأولى ، وبإمكان طالب العلم أن يدعو وهو يطلب العلم ، ولا يمكن أن يقوم بالدعوة إلى الله وهو على غير علم ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ (يوسف: الآية ١٠٨) فكيف يكون هناك دعوة بلا علم؟ ولا أحد دعا بدون علم أبداً ، ومن يدعوا بدون علم لا يوفق .

****

٤٤ - **سئل فضيلة الشيخ** : إذا كان آفة العلم النسيان فما الأمور أو الطرق التي تعين على ضبط وحفظ العلم؟

فأجاب فضيلته بقوله: من أعظم الطرق التى تعين على ضبط العلم: أن يهتدي الإنسان بعلمه قال تعالي: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُم ﴾ (محمد ، الآية: ١٧) .

فإذا عمل العالم بعلمه ، ازداد علماً وأتي تقوى ، أي عبادة وخشية .

ومنها: أن يتعاهده بالحفظ والمذاكرة .

ومنها: أن يستحضر الحكم ودليله عند كل عمل يقوم به .

ومنها: أن يكب على طلب العلم فلا يجعل طلب العلم عند التفرغ فقط ، ولهذا يقولون أعط العلم كلك يعطيك بعضه ، وأعط العلم بعضك لا يعطيك شيئاً ، فلا بد من الإكباب على طلب العلم ليلاً ونهاراً ، والمناقشة وتطبيق ما علمت على ما عملت حتى يبقى العلم .

****

٤٥ - **سئل فضيلة الشيخ**: ما توجيهكم - حفظكم الله تعالى - لطلاب العلم حيث يلاحظ الإهمال وعدم الجد مما له آثار سيئة في التحصيل العلمي؟

فأجاب بقوله: يجب على طلاب العلم أن يبذلوا غاية الجهد في تحصيل العلم ، حتى يدركوا المعلومات إدراكاً قوياً ، راسخاً في نفوسهم ؛ لأنهم إذا اجتهدوا ،أخذوا العلوم شيئاً فشيئاً سهلت عليهم ورسخت في نفوسهم وسيطروا عليها سيطرة تامة ، وإن أنتم يا طلاب العلم أهملتم وتهاونتم انطوى عنكم الزمن ، وتراكمت عليكم الدروس ، فأصبحتم عاجزين عن تصورها فضلاً عن تحقيقها فندمتم حين لا تنفع الندامة .

* * * * * * * * * * * *

٤٦ - **وسئل فضيلته**: نرجو من سماحتكم - حفظكم الله تعالي - توجيه نصيحة لمن عمل في مجال التدريس ، عسى الله أن ينفع بها وجزاكم الله خيراً ؟

فأجاب فضيلته : بقوله: نقول أهم ما يتعلق بالمعلمين أن يدركوا العلوم التي يعطونها للطلبة إدراكاً جيداً مستقراً في نفوسهم ، قبل أن يقفوا أمام الطلبة حتى لا يقع الواحد منهم في حيرة عند سؤال التلاميذ له ومناقشتهم إياه فإن من أعظم المقومات الشخصية لدى الطلبة أن يكون المعلم قوياً في علمه وملاحظته ، وإن قوة المعلم العلمية في تقويم شخصيته لا تقل عن قوة ملاحظته ، إن المعلم إذا لم يكن عنده علم ارتبك عند السؤال فينحط قدره أمام تلاميذه ، وإن أجاب بالخطأ فلن يثقوا فيه بعد ذلك ، إن انتهرهم عند السؤال والمناقشة فلن ينسجموا معه .

إذن فلا بد للمعلم من إعداد واستعداد وتحمل وصبر ، المعلم عند توجيه السؤال له إن كان عنده علم راسخ في ذهنه مستقر في نفسه أجاب بكل سهولة وانطلاق وإلا فإنه لا يخلو بعد ذلك من هذه الأمور الثلاثة السابقة وكل ذلك ينافي الآداب التي ينبغي أن يكون المعلم عليها ، وإذا كان على المعلم أن يدرك العلم الذي سيلقيه أمام الطلبة فإن عليه أن يحرص على حُسن إلقائه إليهم بأن يسلك أسهل الطرق في إيضاح المعاني وضرب الأمثال ومناقشة الطلبة فيما ألقاه عليهم سابقاً ، أما أن يأتي يقرأ الشيء عليهم

قراءة ولا يدري من فَهِمَ ممن لم يفهم ولا يناقشهم فيما مضى فإن هذه الطريقة عقيمة جداً لا تثمر ثمراً ولا تكون نتيجتها طيبة وإذا كان المعلم يجتهد في الأمور العلمية تحصيلاً وعرضاً فعليه أن يجتهد في الأمور التعبدية ، عليه أن يكون حسن النية والتوجيه فينوي بتعليمه الإحسان إلى طلبته وإرشادهم إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم وليجعل نفسه لهم بمنزلة الأب الرفيق الشفيق ليكون لتعليمه أثرٌ بالغٌ في نفوسهم وعلى المعلم أن يظهر أمام طلبته بالمظهر اللائق من الأخلاق الفاضلة والآداب العالية التي أساسها تمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ليكون قدوة لتلاميذه في العلم والعمل فإن التلميذ ربما يتلقى من معلمه من الأخلاق والآداب أكثر مما يتلقى منه من العلم من حيث التأثر لأن أخلاق المعلم وآدابه صورة مشهودة معبرة عما في نفسه ظاهرة في سلوكه فتنعكس هذه الصورة تماماً على إرادة التلاميذ .

إن على المعلم أن يتقي الله تعالى في نفسه ، وفيمن ولاه الله عليهم من التلاميذ وأن يحرص غاية الحرص أن يمتثل أمامهم بالأخلاق حتى يكون قدوة صالحة **«ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»** [1] .

وإنني أقول للمعلمين: إن عند التلاميذ ملاحظة دقيقة عجيبة على صغر سنهم ، إن المعلم إذا أمرهم بشيء ثم رأوه يخالفهم فيما أمرهم به فإنهم سوف يضعون علامات الاستفهام أمام وجه هذا المعلم ، كيف يعلمنا بشيء ويأمرنا به وهو يخالف ما كان يعلمنا ويأمرنا به ، لا تستهن يا معلماً بالتلاميذ حتى ولو كانوا صغاراً فعندهم أمر الملاحظة من الأمور العجيبة .

****

٤٧ - **وسئل فضيلة الشيخ: عن طالب علم يريد أن يذهب مع إخوانه في الله لطلب العلم وكان الحائل بينه وبين الذهاب معهم هو أهله ، والده وأمه ، فما الحكم في خروج هذا الطالب ؟**

---

(١) رواه مسلم في "الزكاة" (٢٣١٣) باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة .

فأجاب فضيلته بقوله : هذا الطالب إن كان هناك ضرورة لبقائه عندهم فهذا أفضل مع أنه يمكنه أن يبقي عندهم مع طلب العلم ، لأن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله ، والعلم من الجهاد وبالتالي فيكون بر الوالدين مقدماً عليه إذا كانا في حاجة إليه .

أما إذا لم يكونا في حاجة إليه ويتمكن من طلب العلم أكثر إذا خرج فلا حرج عليه أن يخرج في طلب العلم في هذه الحال ، ولكنه مع هذا لا ينسى حق الوالدين في الرجوع إليهما وإقناعهما إذا رجع ، وأما إذا علم كراهة الوالدين للعلم الشرعي فهؤلاء لا طاعة لهما ، ولا ينبغي له أن يستأذن منهما إذا خرج ؛ لأن الحامل لهما كراهة العلم الشرعي .

* * * * * * * * * * *

٤٨ - **سئل فضيلة الشيخ - غفر الله له - : هل يجوز تعلم العلم من الكتب فقط دون العلماء وخاصة إذا كان يصعب تعلم العلم من العلماء لندرتهم؟ وما رأيك في القول القائل: من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه؟**

فأجاب قائلاً: لا شك أن العلم يحصل بطلبه عند العلماء وبطلبه في الكتب ؛ لأن كتاب العالم هو العالم نفسه ، فهو يحدثك من خلال كتابه ، فإذا تعذر الطلب على أهل العلم ، فإنه يطلب العلم من الكتب ، ولكن تحصيل العلم عن طريق العلماء أقرب من تحصيله عن طريق الكتب ؛ لأن الذي يحصل عن طريق الكتب يتعب أكثر ويحتاج إلى جهد كبير جداً ، ومع ذلك فإنه قد تخفى عليه بعض الأمور كما في القواعد الشرعية التي قعدها أهل العلم والضوابط ، فلابد أن ، يكون له مرجع من أهل العلم بقدر الإمكان .

وأما قوله: "من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه" ، فهذا ليس صحيحاً على إطلاقه ولا فاسداً على إطلاقه ، أما الإنسان الذي يأخذ العلم من أي كتاب يراه فلا شك أنه يخطئ كثيراً ، وأما الذي يعتمد في تعلمه على كتب رجال معروفين بالثقة والأمانة والعلم فإن هذا لا يكثر خطؤه بل قد يكون مصيباً في أكثر ما يقول .

* * * * * * * * * * *

٤٩ - **سئل فضيلة الشيخ**: هل يجوز تفسير القرآن الكريم بالنظريات العلمية الحديثة؟

فأجاب بقوله: تفسير القرآن بالنظريات العلمية له خطورته ، وذلك إننا إذا فسرنا القرآن بتلك النظريات ثم جاءت نظريات أخرى بخلافها فمقتضى ذلك أن القرآن صار غير صحيح في نظر أعداء الإسلام ؛ أما في نظر المسلمين فإنهم يقولون إن الخطأ من تصور هذا الذي فسر القرآن بذلك ، لكن أعداء الإسلام يتربصون به الدوائر ، ولهذا أنا أحذر غاية التحذير من التسرع في تفسير القرآن بهذه الأمور العلمية ولندع هذا الأمر للواقع ، إذا ثبت في الواقع فلا حاجة إلى أن نقول القرآن قد أثبته ، فالقرآن نزل للعبادة والأخلاق ، والتدبر ، يقول الله - عز وجل - ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص الآية: ٢٩) وليس لمثل هذه الأمور التي تدرك بالتجارب ويدركها الناس بعلومهم ، ثم إنه قد يكون خطراً عظيماً فادحاً في تنزيل القرآن عليها ، أضرب لهذا مثلاً قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ (الرحمن: ٣٣) لما حصل صعود الناس إلى القمر ذهب بعض الناس ليفسر هذه الآية ونزّلها على ما حدث وقال: إن المراد بالسلطان العلم ، وأنهم بعلمهم نفذوا من أقطار الأرض وتعدوا الجاذبية وهذا خطأ ولا يجوز أن يفسر القرآن به وذلك لأنك إذا فسرت القرآن بمعنى فمقتضى ذلك أنك شهدت بأن ، الله أراده وهذه شهادة عظيمة ستسأل عنها .

ومن تدبر الآية وجد أن هذا التفسير باطل لأن الآية سيقت في بيان أحوال الناس وما يؤول إليه أمرهم ، اقرأ سورة الرحمن تجد أن هذه الآية ذكرت بعد قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن الآيات ٢٦ - ٢٨) .

فلنسأل هل هؤلاء القوم نفذوا من أقطار السموات؟

الجواب: لا ، والله يقول: ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ ﴾ .

ثانياً: هل أرسل عليهم شواظ من نار ونحاس؟

والجواب: لا . إذن فالآية لا يصح أن تفسر بما فسر به هؤلاء ، ونقول: إن وصول هؤلاء إلى ما وصلوا إليه هو من العلوم التجريبية التي أدركوها بتجاربهم ، أما أن نُحرِّف القرآن لنخضعه للدلالة على هذا فهذا ليس بصحيح ولا يجوز .

* * * * * * * * * * * *

٥٠ - وسئل فضيلته: ذكرتم - جزاكم الله خيراً - أن الاعتماد على أقوال الرجال خطأ يضر طالب العلم فهل يفهم من هذا عدم التمذهب أو الرجوع إلى مذهب معين فيما يشكل من أحكام ؟

فأجاب فضيلته بقوله: التمذهب بمذهب معين إذا كان المقصود منه أن الإنسان يلتزم بهذا المذهب معرضاً عما سواه سواء كان الصواب في مذهبه أو مذهب غيره فهذا لا يجوز ولا أقول به .

أما إذا كان الإنسان يريد أن ينتسب إلى مذهب معين لينتفع بما فيه من القواعد والضوابط ولكنه يرد ذلك إلى الكتاب والسنة ، وإذا تبين له الرجحان في مذهب آخر ذهب إليه فهذا لا بأس به ، والعلماء المحققون كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره هم من هذا النوع هم محققون ولهم مذهب معين ولكنهم لا يخالفون الدليل إذا تبين لهم .

* * * * * * * * * * * *

٥١ - وسئل فضيلته: هل حديث " كل أمر ذي بال لم يبدأ ببسم الله . . . إلى آخر الحديث " حديث صحيح لأنه يكثر في مؤلفات العلماء؟

فأجاب فضيلته بقوله: هذا الحديث اختلف العلماء في صحته ، فمن أهل العلم من صححه واعتمده كالنووي ، ومنهم من ضعفه ، ولكن تلقي العلماء له بالقبول ووضعهم ذلك الحديث في كتبهم يدل على أن له أصلاً ، فالذي ينبغي للإنسان التسمية على كل الأمور المهمة ، أو البداية بحمد الله - عز وجل - .

* * * * * * * * * * * *

٥٢ - **وسئل فضيلته - غفر الله له - أيهما أفضل:** مخالطة الناس بعد العشاء لتعليمهم وإرشادهم ونصحهم بحيث لا يمكن قيام الليل أو اعتزالهم حتى يتم قيام الليل؟

فأجاب قائلاً: طلب العلم أفضل من قيام الليل ؛ لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد: "لا يَعدلُهُ شيء لمن صحت نيته" قالوا: كيف ذلك؟ قال: "ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره" ، فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل في طلب العلم ابتغاء لوجه الله سواء كان يدرُسه أو يدرِّسه أو يعلِّمه ثم يقوم الليل فهو أفضل لكن إذا تزاحم الأمران فطلب العلم الشرعي أفضل وأولى ، ولهذا أمر النبي ﷺ أبا هريرة أن يوتر قبل أن ينام [1] ، قال العلماء: وسبب ذلك أن أبا هريرة كان يحفظ أحاديث الرسول أول الليل وينام آخر الليل ، فأرشده النبي ﷺ إلى أن يوتر قبل أن ينام .

* * * * * * * * * * * *

٥٣ - **وسئل فضيلته - غفر الله له -:** ماذا يجب علي تجاه أحد الأساتذة عندما يخطئ وخصوصاً في المواد الدينية وأنا متأكد من الجواب الصحيح؟

فأجاب فضيلته بقوله: هذا سؤال مهم حيث نجد أن بعض الأساتذة لا يريد لأحد أن يخطئه مهما ارتكب من الخطأ ، وهذا ليس بصحيح ، فكل إنسان معرض للخطأ ، والإنسان إذا أخطأ ونُبِّه فهذا من نعمة الله عليه ، حتى لا يغتر الناس بخطئه ، ولكن ينبغي للطالب أن يكون عنده شيء من اللباقة ، فلا يقوم أمام الطلبة يرد على هذا المدرس ، فهذا خلاف الأدب ، ولكن يكون ذلك بعد انتهاء الدرس ، فإن اقتنع المدرس فعليه أن يعيد ذلك أمام الطلبة في الدرس المقبل وإن لم يقتنع فعلى الطالب أن يقوم أمام الطلبة في الدرس المقبل ، ليقول يا أستاذ إنك قلت كذا وكذا وهذا ليس بصحيح .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) رواه البخاري في "الصلاة " (١١٧٨) باب صلاة الضحى في الحضر . ومسلم في "الصلاة " (١٦٤٢) باب استحباب صلاة الضحى .

٥٤ - **وسئل فضيلته : هل يجوز إلقاء التحية على مدرس غير مسلم في الفصل أو خارجه؟**

فأجاب فضيلته بقوله: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام**» [١] ، وكان اليهود يمرون على النبي ﷺ ويقولون: السام عليكم والسام معناه الموت ، فأمر النبي ﷺ أن نقول وعليكم [٢] ، فأنت لا تبدأه بالسلام ، فإذا سلم وبدأ فردّ عليه وعليكم ، إلا أن ابن القيم رحمه الله - ذكر في أحكام أهل الذمة أن الكافر إذا علمنا أنه قال السلام عليكم فلنا أن نقول وعليكم السلام .

****

٥٥ - **وسُئل فضيلته: أمامي مجال لدخول كلية علمية فهل أدخلها لنفع المسلمين أم أسلك المجال في كلية الشريعة؟ أفيدوني جزاكم الله خيراً .**

فأجاب بقوله: الذي أرى أن أفضل الكليات في الجامعات هي الكليات الدينية ، وأما المواد الأخرى فربما يقوم بها رجل آخر ، لا سيما من كانت له رغبة في دراسة العلوم الدينية ، ومادام عندك رغبة في دخول كلية الشريعة فإن ذلك أفضل .

****

٥٦ - **وسئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى -: ما سبب توقف العالم عن الفتوى؟**

فأجاب فضيلته بقوله : توقف العالم عن الفتوى إذا كان أهلاً للفتوى وعنده علم قد يكون لتعارض الأدلة عنده ، وقد يكون لظنه أن هذا المستفتي متلاعب ؛ لأن بعض المستفتين لا يستفتي للحق إنما يريد التلاعب والنظر فيما عند هذا العالم ، والعالم

---

(١) رواه مسلم فى "السلام" (٥٥٥٧) باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى فى "استتابة المرتدين" (٦٩٢٨) باب إذا عرَّض الذمى أو غيره بسبِّ النبى ﷺ ولم يصرح نحو قوله: السام عليكم و مسلم فى "السلام" (٥٥٥٠) باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم . عن ابن عمر رضى الله عنه .

الثاني ، والعالم الثالث وهكذا ، فيتوقف العالم أو يعرض عن إجابة هذا السائل الذي يعلم أو يغلب على ظنه أنه متلاعب لينظر ماذا عند الناس ، أو يريد أن يضرب أقوال الناس بعضها ببعض ، وهذا أشد فيذهب ويقول: قال العالم الفلاني كذا ، وقال العالم الفلاني كذا ، فهذا من أسباب توقف المفتي .

* * * * * * * * * * * *

٥٧ - **سئل فضيلة الشيخ – رحمه الله تعالى –: هناك من الناس من يفتي بغير علم ، ما حكم ذلك؟**

فأجاب فضيلته بقوله: هذا العمل من أخطر الأمور وأعظمها إثماً ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى – القول عليه بلا علم ، بالشرك به ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٣) .

وهذا يشمل القول على الله في ذاته أو صفاته أو أفعاله أو شرائعه ، فلا يحل لأحد أن يفتي بشيء حتى يعلم أن هذا هو شرع الله – عز وجل – وحتى تكون عنده أداة وملكة يعرف بها ما دلت عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وحينئذٍ يفتي

والمفتي معبرٌ عن الله – عز وجل – ومبلّغ عن رسول الله ﷺ ، فإذا قال قولاً وهو لا يعلم أو لا يغلب على ظنه – بعد النظر والاجتهاد والتأمل في الأدلة – فإنه يكون قد قال على الله وعلى رسوله ﷺ ، قولاً بلا علم ، فيتأهب للعقوبة ، فإن الله – عز وجل – يقول: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٨) .

* * * * * * * * * * * *

٥٨ - **سئل الشيخ – رحمه الله تعالى –: هل هناك دعاء لحفظ القرآن؟ وما طريقة حفظه ؟**

فأجاب قائلاً: لا أعرف في ذلك دعاء يحفظ به القرآن إلا حديثاً ، روي عن

النبي ﷺ علمه علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - ، وفي صحته نظر [1] ، قال عنه ابن كثير - رحمه الله تعالى - : إنه من البين غرابته بل نكارته .

وقال السيد محمد رشيد رضا - في التعليق عليه - : بل أسلوبه أسلوب الموضوعات لا أسلوب أفصح البشر محمد ﷺ وعلى - رضي الله عنه - ولا أسلوب عصرهما أ هـ .

وقال الذهبي : هذا الحديث منكر شاذ ، ولكن الطريق إلى حفظه هو : أن يواظب الإنسان على حفظه وللناس في حفظه طريقان :

أحدهما: أن يحفظه آية آية أو آيتين آيتين أو ثلاثاً ثلاثاً حسب طول الآيات وقصرها .

الثاني: أن يحفظه صفحة صفحة .

والناس يختلفون منهم من يفضل أن يحفظه صفحة صفحة يرددها حتى يحفظها ، ومنهم من يفضل أن يحفظ الآية ثم يرددها حتى يحفظها ثم يحفظ آية أخرى كذلك وهكذا حتى يتم .

ثم إنه أيضاً ينبغي سواء حفظ بالطريقة الأولى أو الثانية ألا يتجاوز شيئاً حتى يكون قد أتقنه لئلا يبني على غير أساس ، وينبغي أن يستعيد ما حفظه كل يوم خصوصاً في الصباح ، فإذا عرف أنه قد أجاد ما حفظه أخذ درساً جديداً .

* * * * * * * * * * * *

٥٩ - وسئل فضيلته: أريد أن أتعلم العلم الشرعي وأبدأ في التعلم ولا أعرف كيف أبدأ ، فبماذا تنصحوني في ذلك؟

فأجاب فضيلته بقوله : خير منهج لطالب العلم أن يبدأ الطالب بفهم كلام

---

(١) منكر . رواه الترمذى فى "الدعوات " (٣٥٧٠) باب فى دعاء الحفظ . والحاكم (١ / ٣١٦ - ٣١٧) والأصبهانى فى "الترغيب والترهيب " (٢ / ١٣١ - ١٣٢) رقم (١٢٩٧) والشجرى فى " الأمالى " (١/ ١١٣ - ١١٤) وابن الجوزى فى "الموضوعات " (٢ / ٣١٨ - ٣١٩) وفى سنده الوليد بن مسلم وهو يدلس تدليس التسوية . وكذا ابن جريج مدلس وقد عنعنه والحديث صححه الحاكم ، وتعقبه الذهبى بقوله :هذا حديث منكر شاذ أخاف أن يكون موضوعاً .

الله - عز وجل - من كتب التفسير الموثوق بها كتفسير ابن كثير والبغوي ، ثم بفهم ما صح عن النبي ﷺ من السنة من الكتب الحديثة الموثوقة كبلوغ المرام والمنتقى وأصول كتب الحديث الملتزمة بالصحيح كصحيحي البخاري ومسلم ثم بكتب العقيدة السليمة مثل العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم بكتب الفقه المختصرة ليتفقه بها على المذهب الذي يراه أقرب إلى الكتاب والسنة ، وحين يترقى في العلم يقرأ الكتب المطولة ليزداد بها علماً .

****

٦٠ - **سئل الشيخ - رحمه الله تعالى - : هل يجوز للمرء أن يترك عمله ويتفرغ لطلب العلم ، فيكون عالة على أبيه وأخيه؟**

فأجاب فضيلته بقوله : لا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال بل هو من الجهاد في سبيل الله ، ولا سيما في وقتنا هذا حين بدأت البدع تظهر في المجتمع الإسلامي وتنتشر وتكثر ، وبدأ الجهل الكثير ممن يتطلع إلى الإفتاء بغير علم ، وبدأ الجدل من كثير من الناس ، فهذه ثلاثة أمور كلها تحتم على الشباب أن يحرص على طلب العلم:

أولاً: بدع بدأت تظهر شرورها .

ثانياً: أناس يتطلعون إلى الإفتاء بغير علم .

ثالثاً: جدل كثير في مسائل قد تكون واضحة لأهل العلم لكن يأتي من يجادل فيها بغير علم

فمن أجل ذلك فنحن في ضرورة إلى أهل علم عندهم رسوخ وسعة اطلاع وعندهم أيضاً فقه في دين الله ، وعندهم حكمة في توجيه عباد الله ؛ لأن كثيراً من الناس الآن يحصلون على علم نظري في مسألة من المسائل ولا يهمهم النظر إلى إصلاح الخلق وإلى تربيتهم ، وأنهم إذا أفتوا بكذا وكذا صار وسيلة إلى شرٍ أكبر لا يعلم مداه إلا الله .

وها هم الصحابة - رضي الله عنهم - أحياناً يُلْزَمون بأشياء قد تكون النصوص دالة على عدم الإلزام بها من أجل تربية الخلق .

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ألزم الناس بإمضاء الطلاق الثلاث ، كان الطلاق الثلاث في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر ، كان الطلاق الثلاث أي في مجلس واحد - واحداً ، لكن هو محرم أي طلاق المرأة ثلاثاً في مجلس واحد حرام ، لأنه تعدى حدود الله - عز وجل .

قال عمر - رضي الله عنه - : "أرى الناس قد تتابعوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم" [1] ، فأمضاه عليهم ، وجعل الطلاق الثلاث ثلاثاً لا واحداً بعد أن مضى عهد النبي ﷺ ، وعهد أبي بكر وسنتان من خلافته - رضي الله عنه - ألزم الناس بالطلاق الثلاث ، مع أن الإنسان لو راجع زوجته بعد هذا الطلاق لكان رجوعه صحيحاً في العهدين السابقين لعهد عمر وسنتين من خلافته ، لكن رأى أن المصلحة تقتضي إمضاء الطلاق الثلاث ومنع الإنسان من الرجوع إلى زوجته .

أيضاً عقوبة الخمر في عهد النبي - عليه الصلاة والسلام - يؤتي بالرجل الشارب فيضرب بطرف الثوب أو بالجريد أو النعال نحواً من أربعين جلدة ، وفي عهد أبي بكر يجلد أربعين ، وفي عهد عمر يجلد أربعين ، لكنه لما كثر الشرب جمع الصحابة واستشارهم فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون ، فجعل عمر عقوبة شارب الخمر ثمانين جلدة [2] . كل هذا من أجل إصلاح الخلق ، فينبغي للمسلم أو المفتي والعالم في مثل هذه الأمور أن يراعي أحوال الناس وما يصلحهم .

****

٦١ - **وسئل فضيلته: طالب العلم المبتدئ هل يبدأ في طلب العلم بالبحث عن الأدلة أم يقلد في ذلك أئمة أحد المذاهب ؟ ما توجيه سماحتكم - حفظكم الله تعالى- ؟**

فأجاب فضيلته بقوله : الطالب المبتدئ في العلم يجب عليه البحث عن

---

(١) رواه مسلم في "الطلاق" (٣٦٠٩) باب الطلاق الثلاث . وأبو داود في "الطلاق" (٢٢٠٠) باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث . والنسائي في "الطلاق" (٦ / ١٤٥) باب طلاق الثلاث المتفرقة قبل الدخول بالزوجة .

(٢) رواه البخاري في "الحدود" (٩٧٧٣) باب ما جاء في ضرب شارب الخمر ، مسلم في "الحدود" (٤٣٧٤) باب حد الخمر .

الدليل بقدر إمكانه ؛ لأن المطلوب الوصول إلى الدليل ، ولأجل أن يحصل له التمرن على طلب الأدلة وكيفية الاستدلال فيكون سائراً إلى الله على بصيرة وبرهان ، ولا يجوز له التقليد إلا لضرورة كما لو بحث فلم يستطع الوصول إلى نتيجة أو حدثت له حادثة تتطلب الفورية فلم يتمكن من معرفة الحكم بالدليل قبل فوات الحاجة إليها فله حينئذ أن يقلد بنية أنه متى تبين له الدليل رجع إليه ، وإذا اختلف عليه المفتون ، فقيل يخيَّر ، وقيل يأخذ بالأيسر لأنه الموافق لقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ (البقرة: من الآية١٨٥) . وقيل: يأخذ بالأشد لأنه أحوط وغيره مشتبه ، وقد قال النبي ﷺ: «**من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**» [1] . والأرجح أن يأخذ بما يغلب على ظنه أنه أقرب إلى الصواب لكون قائله أعلم وأورع ، والله أعلم .

* * * * * * * * * * * *

٦٢ - **وسئل فضيلته: ما هي الكتب التي تنصح بها؟ ونرجو توجيه نصيحة للطلاب جزاكم الله خيراً .**

فأجاب فضيلته بقوله: من أحسن ما يطالعه الطلاب من الكتب ، كتب التفسير الموثوقة كتفسير ابن كثير ، والشيخ عبد الرحمن السعدي ، وكتب الحديث كفتح الباري شرح صحيح البخاري ، وسبل السلام شرح بلوغ المرام ، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، ورياض الصالحين .

ننصح أبناءنا الطلبة بالحرص على العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الحسنة ، وكسب الوقت فيما فيه خيرهم وصلاحهم في دينهم ودنياهم ، وأن يمرِّنوا أنفسهم على فعل الجميل والصبر على الأمور التي فيها مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

* * * * * * * * * * *

---

(١) رواه البخاري في "البيوع " (٢٠٥١) باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات . ومسلم في "البيوع " (٤٠١٧) باب أخذ الحلال وترك الشبهات . عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

٦٣ - **وسئل - رحمه الله تعالى -: بماذا تنصح من بدأ في طلب العلم على كبر سنه؟ وإن لم يتيسر له شيخ يأخذ منه ويلازمه فهل ينفعه طلب العلم بلا شيخ؟**

فأجاب فضيلته بقوله: نسأل الله تعالى أن يعين من أكرمه الله بالاتجاه إلى طلب العلم ، ولكن العلم في ذاته صعب يحتاج إلى جهد كبير ؛ لأننا نعلم أنه كلما تقدمت السن من الإنسان زاد حجمه وقل فهمه ، فهذا الرجل الذي بدأ الآن في طلب العلم ينبغي له أن يختار عالماً يثق بعلمه ليطلب العلم عليه ؛ لأن طلب العلم عن طريق المشائخ أوفر وأقرب وأيسر ، فهو أوفر لأن الشيخ عبارة عن موسوعة علمية ، لا سيما الذي عنده علم نافع في النحو والتفسير والحديث والفقه وغيره .

فبدلاً من أن يحتاج إلى قراءة عشرين كتاباً يتيسر تحصيله من الشيخ ، وهو لذلك يكون أقصر زمناً ، وهو أقرب للسلامة كذلك ، لأنه ربما يعتمد على كتاب ويكون نهج مؤلفه مخالفاً لنهج السلف سواء في الاستدلال أو في الأحكام .

فننصح هذا الرجل الذي يريد طلب العلم على الكبر أن يلزم شيخاً موثوقاً ، ويأخذ منه ؛ لأن ذلك أوفر له ، ولا ييأس ، ولا يقول بلغت من الكبر عتيًّا ؛ لأنه بذلك يَحرمُ نفسه من العلم .

وقد ذُكر أن بعض أهل العلم دخل المسجد يوماً بعد صلاة الظهر فجلس ، فقال له أحد الناس: قم فصل ركعتين ، فقام فصلى ركعتين ، وذات يوم دخل المسجد بعد صلاة العصر فكبر ليصلي ركعتين فقال له الرجل: لا تصلِّ فهذا وقت نهي ، فقال: لابد أن أطلب العلم ، وبدأ في طلب العلم حتى صار إماماً ، فكان هذا الجهل سبباً لعلمه ، وإذا علم الله منك حسن النية ومنَّ عليك بالتوفيق فقد تجمع من العلم الشيء الكثير .

* * * * * * * * * * * *

٦٤ - **وسئل فضيلته: ما هي نصيحتك لمن ينسى ما يقرأ ويتعلم ؟**

فأجاب بقوله: أهم شيء في حفظ العلم أن يعمل الإنسان بحفظه ، لقوله الله

تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (محمد: ١٧).

وقال: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً ﴾ (مريم من الآية: ٧٦). فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله حفظاً وفهماً، لعموم قوله (زادهم هدى)

وقد روي عن الشافعي - رحمه الله - قوله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ::: فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ::: ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومن أسباب ذلك الإعراض عن الشواغل التي تأخذ الفكر عن العلم؛ لأن الإنسان بشر إذا تشتت همته ضعفت قدرته على تحصيل العلم.

وكذلك كثرة البحث مع الزملاء بغرض الوصول للحق وليس للغلبة ولا شك الإخلاص من جملة ما يحفظ به العلم.

* * * * * * * * * * *

٦٥ - **سئل فضيلة الشيخ:** انتشرت الفتوى حتى صار الصغير يفتي، فما تعليقكم - غفر الله لكم - ؟

فأجاب قائلاً: كان السلف - رحمهم الله - يتدافعون الفتوى لعظم أمرها ومسئوليتها وخوفاً من القول على الله بلا علم؛ لأن المفتي مخبر عن الله مبين لشرعه، فإن قال على الله بلا علم فقد وقع فيما هو صنو للشرك، واستمع إلى قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٣) فقرن الله - سبحانه - القول عليه بلا علم بالشرك، وقال سبحانه: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء: ٣٦). فلا ينبغي أن يتسرع الإنسان في الفتوى، بل ينتظر ويتدبر ويراجع، فإن ضاق الوقت فيحول المسألة إلى من هو أعلم منه ليسلم من القول على الله بلا علم.

وإذا علم الله من نيته الإخلاص وإرادة الصلاح فسوف يصل إلى المرتبة التي يريدها بفتواه ، فمن اتقى الله فسيوفقه الله ويرفعه .

والذي يفتي بلا علم أضل من الجاهل ، فالجاهل يقول: لا أدري ويعرف قدر نفسه ، ويلتزم الصدق ، أما الذي يقارن نفسه بأعلام العلماء بل ربما فضل نفسه عليهم فيَضل ويُضل ويخطئ في مسائل يعرفها أصغر طالب علم فهذا شره عظيم وخطره كبير .

* * * * * * * * * * * *

٦٦ – **سئل فضيلة الشيخ: هل يجوز لطالب العلم أن يرجح بعض الآراء الفقهية على بعض ثم يلزم بها غيره؟ وهل له أن يأخذ بالرأي المرجوح في بعض الأحوال وهو يعلم الراجح؟**

فأجاب بقوله: إذا لم يتبين الحكم بياناً تامًّا لطالب العلم ويظل عنده شك منه ، فله أن يلزم نفسه به احتياطاً ، ولا يلزم غيره بذلك ، لأنه ليس عنده دليل بين يكون حجة له أمام الله - عز وجل - حين يحرِّم أو يوجب على عباد الله ما لم يثبت شرعاً - وكثيراً ما يتردد المجتهد في بعض الأشياء فيحب أن يطبقها على نفسه ويحتمل ما يكون فيها من المشقة ، ولكنه يخشى من إلزام عباد الله بها .

ولذلك نقول: لا مانع أن يسلك الإنسان هذا المسلك ، ولكنه لا يترك إعادة النظر مرة بعد أخرى حتى يتبين الأمر ويلزم الناس بمقتضى الدليل ولا يكون مقصراً في طلب الدليل فيكون مقصراً في بيان الشرع .

ولا يجوز له العمل بالمرجوح ، بل يتعين عليه أن يعمل بالراجح إذا تبين له أنه راجح .

* * * * * * * * * * * *

٦٧ - **سئل فضيلة الشيخ: يلاحظ التقصير في العمل بالعلم ، فما نصيحة فضيلتكم؟**

فأجاب فضيلته بقوله: يجب على من علم شيئاً صحيحاً من الشريعة أن

يبلغه للناس لأن العمل بما علم الإنسان يستوجب حفظه بالعمل ويزيده الله تعالى بالقرآن نوراً فيكتسب من حفظ العلم بطريقة العمل به أن الله - عز وجل - يهبه نوراً زائداً على ما عنده قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٤ ، ١٢٥) . ولهذا قيل: العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل .

السلف الصالح في طلب العلم إذا علموا مسألة عملوا بها وكثير منهم لا يخفى عليه ما يقع من سرعة الامتثال والمبادرة للصحابة فيما عملوا حتى أن النبي ﷺ حث النساء على الصدقة في يوم العيد فجعل النساء يلقين ما على آذانهن من الحلي يلقينه في ثوب بلال رضي الله عنه - ولم يقلن إذا وصلنا إلى البيت تصدقنا ولكن بادرن بذلك .

وكذلك الرجل الذي طرح النبي ﷺ خاتمه الذي كان من ذهب وألقاه في الأرض ما رجع إليه بعد أن علم التحريم حتى قيل له خذ خاتمك لتنتفع به فقال: والله لا آخذ خاتماً طرحه النبي ﷺ بل إن الرسول ﷺ عندما قال اخرجوا إلى بني قريظة: «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**»[1] . فخرجوا بعد أن كانوا مرهقين حتى إن الصلاة أدركتهم في الطريق فمنهم من صلى خوفاً من فوات الوقت ومنهم من أخر لقول النبي ﷺ: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**» .

فانظر يا أخي طالب العلم إلى سرعة امتثال الصحابة لما علموا من تعليم الرسول ﷺ فهل إذا طبقنا هذا الأمر على ما هو الواقع الآن فهل نحن على هذا الأمر في هذا الوقت؟ أعتقد أن هذا يفوت كثيراً وما أكثر ما علمنا أن الصلاة ركن من أركان الإسلام يكفر المرء بتركها وما أكثر ما علمنا أن صلاة الجماعة فرض على الأعيان ولابد منه ، وما أكثر ما علمنا أشياء كثيرة هي من المحظورات ومع ذلك نجد في طلبة العلم من ينتهك هذا المحظور ، وكذلك من يترك هذا الواجب ولا يبالي به فهذا فرق عظيم بين طلب

(١) رواه البخاري في "صلاة الخوف" (٩٤٦) باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء . وأعاده في "المغازي" (٤١١٩) باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب . ومسلم في "الجهاد" (٤٥٢١) باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين عن ابن عمر رضي الله عنه .

العلم في الماضي وطلبه في الحاضر .

****

٦٨ - **وسئل فضيلة الشيخ: ما هي الطريقة الصحيحة في طلب العلم؟ هل يكون بحفظ المتون في علوم الشريعة أم فهمها؟ نرجو التوضيح حفظكم الله تعالى .**

فأجاب فضيلته بقوله: على طالب العلم أن يبدأ العلم شيئاً فشيئاً ، فعليك أن تبدأ في الأصول والقواعد والضوابط وما أشبه ذلك من المختصرات مع المتون ؛ لأن المختصرات سُلّم إلى المطولات ، لكن لابد من معرفة الأصول والقواعد ومن لم يعرف الأصول حُرم الوصول .

وكثير من طلبة العلم تجده يحفظ مسائل كثيرة لكن ما عنده أصل لو تأتيه مسألة واحدة شاذة عما كان يحفظه ما استطاع أن يعرف لها حلًّا، لكن إذا عرف الضوابط والأصول استطاع أن يحكم على كل مسألة جزئية من مسائله ، ولهذا فأنا أحث إخواني على معرفة الأصول والضوابط والقواعد لما فيها من الفائدة العظيمة وهذا شيء جربناه وشاهدناه مع غيرنا على أن الأصول هي المهم ، ومنها حفظ المختصرات ، وقد أراد بعض الناس أن يمكروا بنا قالوا لنا: إن الحفظ لا فائدة فيه ، وإن المعنى هو الأصل ، ولكن الحمد لله أنه أنقذنا من هذه الفكرة وحفظنا ما شاء الله أن نحفظ من متون النحو وأصول الفقه والتوحيد .

وعلى هذا فلا يُستهان بالحفظ ؛ فالحفظ هو الأصل ، ولعل أحداً منكم الآن يذكر عبارات قرأها من قبل مدة طويلة ، فالحفظ مهم لطالب العلم حتى وإن كان فيه من الصعوبة ، ونسأل الله - سبحانه وتعالى - أن تكونوا ممن اهتدوا بطريقة سلفنا الصالح وأن يجعلنا من الهداة المهتدين ، إنه جواد كريم .

****

٦٩ - **سئل فضيلة الشيخ: ما رأيكم بمن يترك الدعوة بحجة التفرغ لطلب العلم ، وأنه لا يتمكن من الجمع بين الدعوة والعلم في بداية الطريق ؛ لأنه يغلب على**

ظنه ترك العلم إذا اشتغل بالدعوة ، ويرى أن يطلب العلم حتى إذا أخذ منه نصيباً اتجه لدعوة الناس وتعليمهم وإرشادهم؟

فأجاب فضيلته بقوله: لا شك أن الدعوة إلى الله تعالى مرتبة عالية ومقام عظيم ؛ لأنه مقام الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: ٣٣) وأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨) ومن المعلوم أنه لا يمكن الدعوة بغير علم كما في قوله هنا (على بصيرة) وكيف يدعو الشخص إلى شيء لا يعلمه؟ ومن دعا إلى الله تعالى بغير علم كان قائلاً على الله ما لا يعلم ، فالعلم هو المرتبة الأولى للدعوة .

ويمكن الجمع بين العلم والدعوة في بداية الطريق ونهايته ، فإن تعذر الجمع كان البدءُ بالعلم ؛ لأنه الأصل الذي ترتكز عليه الدعوة ، قال البخاري - رحمه الله - في صحيحه في الباب العاشر من كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل واستدل بقوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد: ١٩) قال فبدأبالعلم .

ومن ظن أنه لا يمكن الجمع بين العلم والدعوة فقد أخطأ ، فإن الإنسان يمكنه أن يتعلم ويدعو أهله وجيرانه وأهل حارته وأهل بلدته وهو في طلب العلم .

والناس اليوم في حاجة بل في ضرورة إلى طلب العلم الراسخ المتمكن في النفوس المبني على الأصول الشرعية ، وأما العلم السطحي الذي يعرف الإنسان به شيئاً من المسائل التي يتلقاها كما يتلقاها العامة دون معرفة لأصولها وما بنيت عليه فإنه علم قاصر جدًّا لا يتمكن الإنسان به من الدفاع عن الحق وقت الضرورة وجدال المبطلين .

فالذي أنصح به شباب المسلمين أن يكرسوا جهودهم لطلب العلم مع القيام بالدعوة إلى الله بقدر استطاعتهم وعلى وجه لا يصدهم عن طلب العلم ؛ لأن طلب العلم جهاد في سبيل الله تعالى ، ولهذا قال أهل العلم: إذا تفرغ شخص قادر على

التكسب من أجل طلب العلم فإنه يعطي من الزكاة ؛ لأن ذلك من الجهاد في سبيل الله بخلاف ما إذا تفرغ للعبادة ، فإنه لا يعطي من الزكاة ، لأنه قادر على التكسب .

* * * * * * * * * * * *

٧٠ - **سئل الشيخ - رحمه الله تعالى -: ما رأي فضيلتكم في تعلم التجويد والالتزام به؟ وهل صحيح ما يذكر عن فضيلتكم - حفظكم الله تعالى - من الوقوف بالتاء في نحو (الصلاة ، الزكاة) ؟**

فأجاب قائلاً: لا أرى وجوب الالتزام بأحكام التجويد التي فصلت بكتب التجويد ، وإنما أرى أنها من باب تحسين القراءة ، وباب التحسين غير الإلزام ، وقد ثبت في صحيح البخاري [1] عن أنس بن مالك - رضي الله عنهما - أنه سئل كيف كانت قراءة النبي ﷺ ؟ فقال: كانت مدًّا ، ثم قرأ: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ يمدّ ببسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم . والمد هنا طبيعي لا يحتاج إلى تعمده والنص عليه هنا يدل على أنه فوق الطبيعي .

ولو قيل بأن العلم بأحكام التجويد المفصلة في كتب التجويد واجب للزم تأثيم أكثر المسلمين اليوم ، ولقلنا لمن أراد التحدث باللغة الفصحى: طبق أحكام التجويد في نطقك بالحديث وكتب أهل العلم وتعليمك ومواعظك .

وليعلم أن القول بالوجوب يحتاج إلى دليل تبرأ به الذمة أمام الله - عز وجل - في إلزام عباده بما لا دليل على إلزامهم به من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ أو إجماع المسلمين وقد ذكر شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - في جواب له أن التجويد حسب القواعد المفصلة في كتب التجويد غير واجب .

وقد اطلعت على كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حول حكم التجويد قال فيه مجلد ١٦ ص٥٠ من مجموع ابن قاسم - رحمه الله - للفتاوى: "ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن إما بالوسوسة في

---

(١) في "فضائل القرآن" (٤٧٥٩) باب مدّ القراءة .

خروج حروفه وترقيقها وتفخيمها وإمالتها والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك ، فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه ، وكذلك شغل النطق ب (أأنذرتهم) وضم الميم من (عليهم) ووصلها بالواو وكسر الهاء أو ضمها ونحو ذلك وكذلك مراعاة النغم وتحسين الصوت" . ا . هـ .

وأما ما سمعتم من أني أقف بالتاء في نحو " الصلاة ، الزكاة"

فغير صحيح بل أقف في هذا وأمثالها على الهاء .

* * * * * * * * * * * *

٧١ - **سئل فضيلة الشيخ: بعض الناس يكتبون حرف (ص) بين قوسين ويقصدون به رمز لجملة ﷺ فهل يصح استعمال حرف (ص) رمزاً لكلمة (ﷺ) ؟**

فأجاب فضيلته بقوله: من آداب كتابة الحديث كما نص عليه علماء المصطلح ألا يرمز إلى هذه الجملة بحرف (ص) ، وكذلك لا يعبر عنها بالنعت مثل (صلعم) ، ولا ريب أن الرمز أو النعت يفوت الإنسان أجر الصلاة على النبي ﷺ فإنه إذا كتبها ثم قرأ الكتاب من بعده وتلا القارئ هذه الجملة صار للكاتب الأول نيل ثواب من قرأها ، ولا يخفى علينا أن رسول الله ﷺ قال فيما ثبت عنه : «**أن من صلى عليه ﷺ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً**» [1] . فلا ينبغي للمؤمن أن يحرم نفسه الثواب والأجر لمجرد أن يسرع في إنهاء ما كتبه .

* * * * * * * * * * * *

٧٢ - **سئل فضيلة الشيخ: عندما يطرح سؤال شرعي يتسابق عامة الناس إذا كانوا في مجلس مثلاً بالفتيا في تلك المسألة وبغير علم غالباً ، فما تعليقكم على هذه الظاهرة؟ وهل يعتبر هنا الأمر من التقديم بين يدي الله ورسوله؟**

فأجاب بقوله: من المعلوم أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في دين الله بغير علم ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ

---

(١) رواه مسلم في "الصلاة" (٨٨٧) باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٣) .

والواجب على الإنسان أن يكون ورعاً خائفاً من أن يقول على الله بغير علم ، وليس هذا من الأمور الدنيوية التي للعقل فيها مجال ، على أنها وإن كانت من الأمور الدنيوية التي للعقل فيها مجال ، فإن الإنسان ينبغي له أن يتأنى وأن يتروى ، وربما يكون الجواب الذي في نفسه يجيب به غيره فيكون هو كالحكم بين المجيبين وتكون كلمته هي الأخيرة الفاصلة ، وما أكثر ما يتكلم الناس بآرائهم ، أعني غير المسائل الشرعية ، فإذا تأنى الإنسان وتأخر ظهر له من الصواب من أجل تعدد الآراء ما لم يكن على باله .

ولهذا فإني أنصح كل إنسان أن يتأنى وأن يكون هو الأخير في التكلم ليكون كالحاكم بين هذه الآراء ، ومن أجل أن تظهر له في الآراء المختلفة ما لم يظهر له قبل سماعها ، هذا بالنسبة للأمور الدنيوية ، أما الأمور الدينية فلا يجوز أبداً أن يتكلم الإنسان إلا بعلم يعلمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو أقوال أهل العلم .

* * * * * * * * * * * *

٧٣ - **وسئل - أعلى الله درجته -: عن كتاب بدائع الزهور؟**

فأجاب قائلاً: هذا الكتاب رأيت فيه أشياء كثيرة غير صحيحة ، ولا أرى أن يقتنيه الإنسان ولا أن يجعله بين أيدي أهله لما فيه من الأشياء المنكرة .

* * * * * * * * * * * *

٧٤ - **وسئل أيضاً: عن كتاب تنبيه الغافلين؟**

فأجاب فضيلته بقوله: تنبيه الغافلين كتاب وعظ وغالب كتب المواعظ يكون فيها الضعيف ، وربما الموضوع ويكون فيها حكايات غير صحيحة ، يريد المؤلفون بها أن يرققوا القلوب وأن يبكوا العيون ، ولكن هذا ليس بطريق سديد ؛ لأن فيما جاء في كتاب الله وصح عن رسول الله ﷺ من المواعظ كفاية .

ولا ينبغي أن يوعظ الناس بأشياء غير صحيحة سواء نُسبت إلى الرسول ﷺ أو

نُسبت إلى قوم صالحين قد يكونوا أخطأوا فيما ذهبوا إليه من الأقوال والأعمال ، والكتاب فيه أشياء لا بأس بها ومع ذلك فإنني لا أنصح أن يقرأه إلا الشخص الذي عنده علم وفهم وتمييز بين الصحيح والضعيف والموضوع .

* * * * * * * * * * * *

٧٥ – وسئل فضيلته: ما هي مكانة وفضل أهل العلم في الإسلام؟

فأجاب فضيلته بقوله : مكانة أهل العلم أعظم مكانة ؛ لأنهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولهذا يجب عليهم من بيان العلم والدعوة إلى الله ما لا يجب على غيرهم ، وهم في الأرض كالنجوم في السماء يهدون الخلق الضالين التائهين ، ويبينون لهم الحق ويحذرونهم من الشر ولذلك كانوا في الأرض كالغيث يصيب الأرض القاحلة فتنبت بإذن الله .

ويجب على أهل العلم من العمل والأخلاق والآداب ما لا يجب على غيرهم ؛ لأنهم أسوة وقدوة فكانوا أحق الناس وأولى الناس بالتزام الشرع في آدابه وأخلاقه .

* * * * * * * * * * * *

٧٦ - **سئل فضيلة الشيخ: بعض الناس يعتقد أن دور علماء المسلمين مقصور على الأحكام الشرعية وأنه لا دخل لهم في العلوم الأخرى كالسياسة والاقتصاد ونحوهما ، فما رأيكم في هذا الاعتقاد؟**

فأجاب فضيلته بقوله : رأينا في هذا الاعتقاد أنه مبني على الجهل في حال العلماء ، ولا ريب أن العلماء علماء الشريعة عندهم علم في الاقتصاد وفي السياسة ، وفي كل ما يحتاجون إليه في العلوم الشرعية ، وإذا شئت أن تعرف ما قلته فانظر إلى محمد رشيد رضا - رحمه الله - صاحب مجلة المنار في تفسيره وفي غيرها من كتبه .

وانظر أيضاً إلى من قبله من أهل العلم بالشرع من يكون مقدماً للأهم على المهم ، فتجده في العلم الشرعي بلغ إلى نصيب كبير وفي العلوم الأخرى يكون أقل من

ذلك بناء على قاعدة أن تبدأ بالأهم قبل المهم ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» (١) .

* * * * * * * * * * * *

٧٧ - **سئل فضيلة الشيخ:** متى يكون الخلاف في الدين معتبراً؟ وهل يكون الخلاف في كل مسألة أم له مواضع معينة؟

نرجو بيان ذلك؟

فأجاب فضيلته بقوله: أولاً اعلم أن خلاف علماء الأمة الإسلامية إذا كان صادراً عن اجتهاد فإنه لا يضر من لم يوفق للصواب ؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد**» (٢) . ولكن من تبين له الحق وجب عليه اتباعه بكل حال ، والاختلاف الذي يقع بين علماء الأمة الإسلامية لا يجوز أن يكون سبباً لاختلاف القلوب ؛ لأن اختلاف القلوب يحصل فيه مفاسد عظيمة كبيرة كما قال تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الأنفال: ٤٦)

والخلاف المعتبر بين العلماء والذي ينقل ويذكر هو الخلاف الذي له حظ من النظر ، أما خلاف العامة الذين لا يفهمون ولا يفقهون فلا عبرة به ولهذا يجب على العامي أن يرجع إلى أهل العلم كما قال الله تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (النحل الآية: ٤٣) .

وأما قول السائل: هل يكون الخلاف في كل مسألة؟

فالجواب: أن الخلاف قد يكون في بعض المسائل التي يختلف فيها الاجتهاد أو يكون بعض الناس أعلم من بعض في الاطلاع على نصوص الكتاب والسنة ، أما

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه البخارى فى " الاعتصام " (٧٣٥٢) باب أجر الحاكم إذا اجتهد . ومسلم فى "الأقضية " (٤٤٠٧) باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد ، فأصاب أو أخطأ . عن عمرو بن العاص رضى الله عنه .

المسائل الأصلية فإنها يقل فيها الخلاف .

****

٧٨ - **وسئل فضيلة الشيخ:** ما حكم الاجتهاد في الإسلام؟

فأجاب قائلاً : الاجتهاد في الإسلام هو: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي من أدلته الشرعية .

وهو واجب على من كان قادراً عليه ؛ لأن الله - عز وجل - يقول: ﴿ **فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (النحل من الآية: ٤٣) . والقادر على الاجتهاد يمكنه معرفة الحق بنفسه ولكن لابد أن يكون ذا سعة في العلم واطلاع على النصوص الشرعية وعلى الأصول المرعية ، وعلى أقوال أهل العلم لئلا يقع فيما يخالف ذلك ، فإن من طلبة العلم من لم يدركوا من العلوم إلا الشيء اليسير ، ثم ينصب نفسه مجتهداً فتجده يعمل بأحاديث عامة ، لها ما يخصها أو يعمل بأحاديث منسوخة لا يعلم ناسخها أو يعمل بأحاديث أجمع العلماء على أنها على خلاف ظاهرها ولا يدري عن إجماع العلماء ومثل هذا على خطر عظيم .

فالمجتهد لابد أن يكون عنده علم بالأدلة الشرعية وعنده علم بالأصول التي إذا عرفها استطاع أن يستنبط الأحكام من أدلتها وعلم بما عليه العلماء لئلا يخالف الإجماع وهو لا يدري فإذا كانت هذه الشروط في حقه موجودة متوافرة فإنه يجتهد ويمكن أن يتجزأ الاجتهاد بأن يجتهد الإنسان في مسألة من مسائل العلم فيبحثها ويحققها ويكون مجتهداً فيها أو في باب من أبواب العلم كأبواب الطهارة مثلاً يبحثه ويحققه ويكون مجتهداً فيه .

****

٧٩ - **سئل فضيلة الشيخ:** هل يجب التقليد لمذهب معين أم لا ؟

فأجاب قائلاً : نعم ، يجب التقليد لمذهب معين وجوباً لازماً ؛ لكن هذا المذهب المعين الذي يجب تقليده مذهب الرسول ﷺ ؛ لأن الذي ذهب إليه الرسول ﷺ واجب

الاتباع ، وهو الذي به سعادة الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١) .

وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٢) فهذا هو المذهب الواجب الاتباع بإجماع أهل العلم وأما غير هذا المذهب فإن اتباعه ضائع إذا لم يتبين الدليل من خلافه فإن تبين الدليل بخلافه فاتباعه محرم .

حتى قال شيخ الإسلام - رحمه الله - من قال: إن أحداً من الناس يجب طاعته في كل ما قال ، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل ؛ لأن في ذلك طاعة غير رسول الله ﷺ وصدق - رحمه الله - لا أحد من الناس يجب أن يؤخذ بقوله مطلقاً إلا النبي ﷺ فإنه يجب الأخذ بقوله ، وقد قال ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**» [(١)] . وقال: «**إن يطيعوا أبابكر وعمر يرشدوا**» [(٢)] .

****

٨٠ - **سئل فضيلة الشيخ: من الملاحظ في الصحوة الإسلامية الاتجاه إلى العلم ولله الحمد والمنة ، وخصوصاً علم السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ومن الملاحظات:**

أ - العرض للصحيحين (البخاري ومسلم) نقداً ، تضعيفاً وتصحيحاً من قبل بعض طلبة العلم الذين لم ترسخ أقدامهم في هذا العلم ، علماً بأن هذين الكتابين من أصول السنة والجماعة وقد تلقتهما الأمة بالقبول .

ب - رواج مذهب الظاهرية عند غالبية الشباب والإعراض عن كتب فقهاء الأمة .

جـ - انشغال بعض طلبة هذا العلم الشريف به عن العلوم الضرورية لطلبة العلم

---

(١) هذا حديث صحيح .وقد روى عن عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وأنس بن مالك ،وعبد الله بن عمر ، وانظر "الصحيحة " (١٢٣٣) .

(٢) رواه مسلم فى " المساجد " (١٥٣٤) باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها . وأحمد (٥ / ٢٩٨) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

الشرعي مثل القرآن الكريم ، واللغة العربية ، والفقه ، والفرائض . . . إلخ .

د - شيوع ظاهرة التعالم والتصدر للتدريس والفتيا من قبل بعض طلبة العلم الذين لا يعرف لهم شيوخ ولا قدم ثابتة في العلم وإنما هي القراءة ومطالعة الكتب .

فما توجيهكم حفظكم الله ورعاكم؟

فأجاب حفظه الله ورعاه قائلاً :

الجواب على الملاحظة الأولى : لا شك أن هذه الصحوة صاحَبَها ولله الحمد حب اتباع السنة والحرص عليها ، ولكن كما ذكرت صار ينتهج هذا المنهج قوم لم يبلغوا ما بلغ أهل العلم من قبلهم في التحري والدقة ، وربط الشريعة بعضها بعض ، وتقييد مطلقها وتخصيص عامها والرجوع إلى القواعد العامة المعروفة بالشريعة ، فصاروا يلتقطون من كل وجه حتى في الأحاديث الضعيفة التي لا يعمل بها عند أهل العلم لشذوذها ومخالفتها لما في الكتب المعتمدة بين الأمة .

تجدهم يتلقفونها ويحتدون فيها وفي العلم بها وفي الإنكار على من خالفها ، وكذلك أيضاً تجدهم قد بلغ ببعضهم العجب إلى أن صاروا يعترضون على الصحيحين أو أحدهما من الناحية الحديثية ، ويعترضون على الأئمة من الناحية الفقهية ، الأئمة الذين أجمعت الأمة على إمامتهم وحسن نيتهم وعلمهم ، فتجد هؤلاء الذين لم يبلغوا ما بلغه من سبقهم يتعرضون لهؤلاء الأئمة ويحطون من قدرهم وهذه وصمة عظيمة لهذه الصحوة ، والواجب على الإنسان أن يتريث ، وأن يتعقل وأن يعرف لذوي الحق حقهم ولذوي الفضل فضلهم ، وإنما يعرف الفضل من الناس أهله ، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق .

وأما الجواب على الملاحظة الثانية فنقول: هذا أيضاً من البلاء ، ولعل في جوابي السابق ما يدل عليه ؛ لأن مذهب الظاهرية كما هو معروف مذهب يأخذ بالظاهر ولا يرجع إلى القواعد العامة النافعة ، ولو أننا ذهبنا نتتبع من أقوالهم ما يتبين به فساد منهجهم أو بعض منهجهم لوجدنا الكثير ، ولكننا لا نحب أن نتتبع عورة الناس .

والجواب على الملاحظة الثالثة: فلا شك أن الأولى بطالب العلم أن يبدأ أولاً بكتاب الله - عز وجل - فإن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا لا يتعلمون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، ثم بالسنة النبوية ، ولا يقتصرون على معرفة الأسانيد والرجال والعلل إنما يحرصون على مسألة فقه هذه السنة ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**رب مُبلغ أوعى من سامع**» (١) ويقول: «**رُبَّ حامل فقهٍ ليس بفقيه**» (٢) . والناس الآن في ضرورة إلى معرفة الأسانيد وصحتها وفي ضرورة أيضاً إلى الفقه في هذه السنن الواردة عن النبي ﷺ وتطبيقها على القواعد والأصول الشرعية حتى لا يضل الإنسان ويضل غيره .

الجواب على الملاحظة الرابعة: يجب أن يعلم الإنسان المفتي ، أنه سفير بين الله وبين خلقه ، ووارث لرسول الله ﷺ ، فلابد أن يكون عنده علم راسخ يستطيع به أن يفتي عباد الله ، ولا يجوز للإنسان أن يتصدر للفتوى والتدريس وليس معه علم ؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر: «**أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا**» (٣) والحمد لله ، الإنسان الذي يريد الخير ولكنه يأتي حتى يدركه وينشره فإنه إن فسح له الأجل حتى أدرك ما أراد فهذا هو مطلوبه ، وإن لم يفسح له في الأجل وقضى الله عليه الموت ، فإنه كالذي يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله .

وكم من إنسان تعجل في التدريس والفتيا فندم ؛ لأنه تبين له أن ما كان يقرره في تدريسه أو يفتي به في فتواه كان خطأ ، والكلمة إذا خرجت من فم صاحبها ملكته ، وإذا كانت عنده ملكها .

فليحذر الأخوة الذين هم في ريعان طلب العلم من التعجل وليتأنوا حتى تكون

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في "الحج" (١٧٤١) باب الخطبة أيام منى . عن أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح . رواه احمد (٥ / ١٨٣) .

(٣) رواه البخاري في "العلم" (١٠٠) باب كيف يقبض العلم . ومسلم في " العلم " (٦٦٧٠) باب رفع العلم وقبضه . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

فتواهم مبنية على أسس سليمة ، وليس العلم كالمال يتطلب الإنسان فيه الزبائن ليدرك من يبيع بل يدرك من يشتري منه ، بل العلم إرث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فيجب على الإنسان أن يكون مستشعراً حين الفتوى شيئين :

الأول: أنه يقول عن الله - عز وجل - وعن شريعة الله .

الثاني: أنه يقول عن رسوله الله ﷺ لأن العلماء ورثة الأنبياء .

* * * * * * * * * * * *

٨١ - **وسئل - غفر الله له -**: عن أقسام الناس في طلب علم الكتاب والسنة الصحيحة؟

فأجاب فضيلته بقوله: انقسم الناس في طلب علم الكتاب والسنة إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: من تجده معرضاً عن الكتاب والسنة ، مكبًّا على الكتب الفقهية المذهبية يعمل بما فيها مطلقاً ، ولا يرجع إلا إلى ما قاله فلان وفلان من أصحاب الكتب المذهبية .

القسم الثاني: من أكب على علوم القرآن ، مثل علم التجويد أو ما يتصل بمعناه أو إعرابه وبلاغته ، وأما بالنسبة للسنة وعلم الحديث فهو قليل البضاعة فيها وهذا قصور كبير بلا شك .

القسم الثالث: من تجده مكبًّا على علم الحديث وعلم تحقيق الأسانيد وما فيها من علل وما يتعلق بالحديث من حيث القبول أو الرد ؛ ولكنه في علوم القرآن ضعيف جدًّا ، فلو سألته عن تفسير أوضح آية في كتاب الله فلا يعرف تفسيرها ، وكذلك في علم التوحيد والعقيدة ولو سُئِلَ لم يعرف ، وهذا قصور كبير بلا شك .

القسم الرابع: من كان حريصاً على الجمع بين الكتاب والسنة الصحيحة ، وما كان عليه سلف الأمة مما يتعلق بعلم الكتاب والسنة ، ومع ذلك ليس معرضاً عما قاله أهل العلم في كتبهم بل هو يقيم له وزناً ويستعين به على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ لأن العلماء - رحمهم الله - وضعوا قواعد وضوابط وأصولاً ينتفع بها

طالب العلم ، حتى المفسر في تفسير القرآن وحتى طالب السنة في معرفة السنة أو في شرح معانيها فيكون مركزاً على الكتاب والسنة ومستعيناً بما قاله أهل العلم في كتبهم وهذا هو خير الأقسام .

ولننظر هل نحن طبقنا سير العلم على هذه الطريقة الأخيرة أو أننا من القسم الأول أو الثاني أو الثالث .

فإذا كان غير القسم الأخير فإنه يجب أن نصحح طريقنا ؛ لأن الله يقول في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء ، الآية: ٥٩) وأولى الأمر يشمل العلماء ويشمل الأمراء: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ .. ﴾ الآية (النساء ، الآية: ٥٩) ، ونحن دائماً لا سيما إذا رجعنا إلى المأخوذ عن الصحابة والتابعين نجدهم دائماً يتحاكمون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ ؛ ومع ذلك فإني لا أقول إنه يجب أن تهدر أقوال العلماء ، بل أقوال العلماء لها قيمتها ووزنها واعتبارها ويستعان بها على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

* * * * * * * * * * * *

٨٢ - سئل - غفر الله له -: ما قول فضيلتكم في بعض الطلاب الذين يدرسون من أجل الوظيفة والراتب ، وكذلك ما يفعله البعض من استئجار من يكتب لهم البحوث ، أو يعد لهم الرسائل ، أو يحقق بعض الكتب فيحصلون به على شهادات علمية؟

فأجاب فضيلته بقوله : يجب على طلبة العلم إخلاص النية لله - عز وجل - وأن يعتقد أنه ما قرأ حرفاً ولا كلمة ، ولا أتم صفحة في العلم الشرعي إلا وهو يقربه إلى الله - عز وجل - ولكن كيف يمكن أن ينوي التقرب إلى الله بطلب العلم؟

الجواب: يمكن ذلك ، لأن الله أمر به ، والله إذا أمر بشيء ففعله الإنسان امتثالاً لأمر الله ، فتلك عبادة الله ؛ لأن عبادة الله هي امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، وطلب مرضاته ، واتقاء عقوبته .

ومن إخلاص النية في طلب العلم أن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره من

الأمة ، وعلامة ذلك أن الرجل تجده بعد طلب العلم متأثراً بما طلب ، متغيراً في سلوكه ومنهاجه ، وتجده حريصاً على نفع غيره ، وهذا يدل على أن نيته في طلب العلم رفع الجهل عنه وعن غيره فيكون قدوة ، صالحاً مصلحاً ، وهذا ما كان عليه السلف الصالح ، أما ما عليه الخلف اليوم فيختلف كثيراً عن ذلك ، فتجد الأعداد الكبيرة من الطلاب في الجامعات والمعاهد ، منهم من نيته لا تنفعه في الدنيا والآخرة ، بل تضره ، فهو ينوي أن يصل إلى الشهادة لكي يتوصل بها إلى الدنيا فقط ، وقد جاء التحذير من الرسول ﷺ فقال: «**من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» - أي ريحها - [1] .

وهذا خطر عظيم ، فعلم شرعي تجعله وسيلة إلى عرض الدنيا ، هذا قلب للحقائق ، والطالب إذا أخلص النية جاءته الدنيا تبعاً ولن يفوته شيء وسيخرج هو ومن يريد الشهادة للدنيا على حد سواء ، بل المخلص أكثر تحصيلاً للعلم وأبلغ رسوخاً فيه .

وإن مما يؤسف له - كما ذكر السائل - أن بعض الطلاب يستأجرون من يعد لهم بحوثاً أو رسائل يحصلون بها على شهادات علمية ، أو من يحقق بعض الكتب فيقول لشخص حضر لي تراجم هؤلاء وراجع البحث الفلاني ، ثم يقدمه رسالة ينال بها درجة يستوجب بها أن يكون في عداد المعلمين أو ما أشبه ذلك ، فهذا في الحقيقة مخالف لمقصود الجامعة ومخالف للواقع ، وأرى أنه نوع من الخيانة ؛ لأنه لابد أن يكون المقصود من ذلك الشهادة فقط فإنه لو سئل بعد أيام عن الموضوع الذي حصل على الشهادة فيه لم يجب .

لهذا أحذر إخواني الذين يحققون الكتب أو الذين يحضّرون رسائل على هذا النحو من العاقبة الوخيمة ، وأقول إنه لا بأس من الاستعانة بالغير ولكن ليس على وجه أن تكون الرسالة كلها من صنع غيره ، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل

---

(١) صحيح . رواه احمد (٢ / ٣٣٨) وأبو داود فى "العلم" (٣٦٦٤) باب فى طلب العلم لغير الله . ابن ماجه فى "المقدمة" (٢٥٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

الصالح ، إنه سميع مجيب .

****

٨٣ - **سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى -**: هل العلوم كالطب والهندسة من التفقه في دين الله؟

فأجاب فضيلته بقوله: ليست هذه العلوم من التفقه في دين الله ؛ لأن الإنسان لا يدرس فيها الكتاب ولا السنة ، لكنها من الأمور التي يحتاجها المسلمون ، ولهذا قال بعض أهل العلم: عن تعلم الصناعات والطب والهندسة والجيولوجيا وما أشبه ذلك من فروض الكفايات ، لا لأنها من العلوم الشرعية ، ولكنها لأنها لا تتم مصالح الأمة إلا بها ، ولهذا أنبه الإخوان الذين يدرسون مثل هذه العلوم أن يكون قصدهم بتعلم هذه العلوم نفع إخوانهم المسلمين ورفع أمتهم الإسلامية . الأمة الإسلامية الآن ملايين لو أنها استغلت مثل هذه العلوم فيما ينفع المسلمين لكان في ذلك خير كثير ، ولا ما احتجنا إلى الكفار في تحصيل كمالياتنا بل وفي تحصيل ضرورياتنا أحياناً ، فهذه العلوم إذا قصد بها الإنسان القيام بمصالح العباد صارت مما يقرب إلى الله لا لذاتها ولكن لما قُصد بها ، أما أنها فقه في الدين فليست فقهاً في الدين ؛ لأن الفقه في الدين هو الفقه في أحكام الله تعالى الشرعية والقدرية ، والفقه في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته .

****

٨٤ - **سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى -**: بِمَ يكون الإخلاص في طلب العلم؟

فأجاب فضيلته بقوله: الإخلاص في طلب العلم يكون بأمور:

الأمر الأول: أن تنوي بذلك امتثال أمر الله ؛ لأن الله أمر بذلك فقال: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ (محمد من الآية: ١٩) . وحث سبحانه وتعالى على العلم ، والحث على الشيء يستلزم محبته والرضا به والأمر به .

الأمر الثاني: أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله ؛ لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم والحفظ في الصدر ويكون كذلك بالكتابة .

الأمر الثالث: أن تنوي حماية الشريعة والدفاع عنها ؛ لأنه لولا العلماء ما حُميت الشريعة ولا دافع عنها أحد ، ولهذا نجد مثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم تصدوا لأهل البدع وبينوا بطلان بدعهم ، نرى أنهم حصلوا على خير كثير .

الأمر الرابع: أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد ﷺ ؛ لأنك لا يمكن أن تتبع شريعته حتى تعلم هذه الشريعة .

الأمر الخامس: أن تنوي بذلك رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك .

****

٨٥ - **سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى -: يقول بعض الناس: إن إخلاص النية في عصرنا الحاضر صعب أو قد يكون مستحيلاً ؛ لأن الذين يطلبون العلم ولا سيما الطلب النظامي يطلبون العلم لنيل الشهادة فحسب؟**

فأجاب فضيلته بقوله: نقول: إذا كنت تطلب العلم لنيل الشهادة ، فإن كنت تريد من هذه الشهادة أن ترتقي مرتقى دنيويًّا فالنية فاسدة ، أما إذا كنت تريد أن ترتقي إلى مرتقى تنفع الناس به لأنك تعرف اليوم أنه لا يمكَّن الإنسان من ارتقاء المناصب العالية النافعة للأمة إلا إذا كان معه شهادة ، فإذا قصدت بهذه الشهادة أن تنال ما تنفع الناس به فهذه نية طيبة لا تنافي الإخلاص .

****

٨٦ - **وسئل فضيلة الشيخ: ما نصيحة فضيلتكم حول العمل بالعلم؟**

فأجاب فضيلته بقوله: لابد من العمل بالعلم ، لأن ثمرة العلم العمل ؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه صار من أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة كما قيل:

وعالـم بعلمـــه لـــم يعملـــن ::: معـذب مـن قبـل عبّـاد الوثـن

فإذا لم يعمل بعلمه أورث الفشل في العلم وعدم البركة ونسيان العلم ، لقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (المائدة من الآية: ١٣) وهذا النسيان يشمل النسيان الذهني والنسيان العملي ، فيكون بمعنى ينسونه ذهنيًّا أو ينسونه يتركونه ؛ لأن النسيان في اللغة العربية يطلق بمعنى الترك ، أما إذا عمل الإنسان بعلمه فإن الله تعالى يزيده هدى ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (محمد ، الآية: ١٧) . ويزيده تقوى ولهذا قال: ﴿ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (محمد ، الآية: ١٧) ، فإذا عمل بعلمه ورَّثه الله علم ما لم يعلم ولهذا قال بعض السلف: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل .

* * * * * * * * * * * *

٨٧ - **سئل الشيخ - رحمه الله تعالى -: ما الأمور التي يجب توافرها فيمن يتلقى عنه العلم؟**

فأجاب فضيلته بقوله: لابد أن يُطلب العلم على شيخ متقن ذي أمانة ؛ لأن الإتقان قوة ، والقوة لابد معها من أمانة ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ (القصص: من الآية ٢٦) . ربما يكون العالم عنده إتقان وسعة علم وقدرة على التفريع والتقسيم ، ولكن ليس عنده أمانة فربما أضلك من حيث لا تشعر ، وليعلم أن أخذ العلم عن الشيخ أفيد من الكتب من وجوه:

الأول: قصر المدة .

الثاني: قلة التكلفة .

الثالث: أن ذلك أحرى بالصواب .

لأن هذا الشيخ قد علم وتعلم ورجح وفهم فيعطيك الشيء ناضجاً ، لكنه يمرنك على المطالعة والمراجعة إذا كان عنده شيء من الأمانة ، أما من اعتمد على الكتب فلابد أن يكرس جهوده ليلاً ونهاراً ، ثم إذا طالع الكتب التي يقارن فيها بين

أقوال العلماء فسيقت أدلة هؤلاء وسيقت أدلة هؤلاء من يدله على أن هذا أصوب؟ يبقى متحيراً ، ولهذا نرى أن ابن القيم حينما يناقش قولين لأهل العلم سواء في زاد المعاد أو أعلام الموقعين إذا ساق أدلة القول الأول وعلله نقول هذا هو القول الصواب ولا يجوز العدول عنه بأي حال من الأحوال ثم ينقضه ويأتي بالقول المقابل ويذكر أدلته وعلله فتقول هذا هو القول الصواب ، فيحصل عندك من الإشكال والتردد ، فلابد أن تكون قراءتك على شيخ متقن أمين .

* * * * * * * * * * * *

٨٨ - **وسئل فضيلة الشيخ: بعض المبتدئين يبدأون في القراءة من كتاب المحلي لابن حزم بحجة التمرن على المناظرة وحينما تنصحهم بأن هذا سابق لأوانه فيقولون نريد التمرن فهل هذا صحيح؟**

فأجاب فضيلته بقوله : مناظرة ابن حزم - رحمه الله - مناظرة صعبة ، يشدد على خصمه ، ويحصل منه أحياناً سبٌ لمخالفه ، فهو - رحمه الله - كان شديداً جداً ، وأخشى أن يكون طالب العلم الصغير إذا تعود على مثل ما كان عليه ابن حزم أخشى عليه من المماراة ، فلو أنه سلك مسلكاً سهلاً لكان أحسن ، وإذا حصل على قدر كبير من العلم - إن شاء الله - وعرف كيف يستفيد من ابن حزم فليطالع في كتابه ، لذلك لا أنصح بمطالعته للطالب المبتدئ ، لكن التمرن على المجادلة لإثبات الحق أمر لابد منه ، فكثير من الناس عنده علم واسع لكنه عند المجادلة لا يستطيع إثبات الحق .

* * * * * * * * * * * *

٨٩ - **سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - : إذا أراد طالب العلم الفقه فهل له الاستغناء عن أصول الفقه؟**

فأجاب فضيلته بقوله: إذا أراد طالب العلم أن يكون عالماً في الفقه فلابد أن يجمع بين الفقه وأصول الفقه ليكون متبحراً متخصصاً فيه ، وإلا فيمكن أن تعرف الفقه بدون علم الأصول ، ولكن لا يمكن أن تعرف أصول الفقه ، وتكون فقيهاً بدون علم الفقه ، أي أنه يمكن أن يستغني الفقيه عن أصول الفقه ولا يمكن أن يستغني الأصولي

عن الفقه إذا كان يريد الفقه ، ولهذا اختلف علماء الأصول هل الأولى لطالب العلم أن يبدأ بأصول الفقه حتى يبني الفقه عليها ، أو بالفقه لدعاء الحاجة إليه ، حيث إن الإنسان يحتاج إليه في عمله ، في عبادته ومعاملاته قبل أن يتقن أصول الفقه ، والثاني هو الأولى وهو المتبع غالباً .

* * * * * * * * * * * *

٩٠ - **وسئل فضيلة الشيخ - أعلى الله درجته في المهديين:** **بعض طلبة العلم يأتي إلى مسألة من مسائل العلم فيبحثها ويحققها بأدلتها ومناقشتها مع العلماء ، فإذا حضر مجلس عالم يشار إليه بالبنان ، قال: ما تقول أحسن الله إليك في كذا وكذا ، قال: هذا حرام مثلاً ، قال: كيف؟ بم تجيب عن قوله ﷺ كذا ؟ عن قول فلان كذا؟ ثم أتى بأدلة لا يعرفها العالم ؛ لأن العالم ليس محيطاً بكل شيء حتى يُظهر نفسه أنه أعلم من هذا العالم فما رأي فضيلتكم؟**

فأجاب فضيلته بقوله: هذه المسألة تقع كثيراً يأتي الإنسان يكون باحثاً المسألة بحثاً دقيقاً جيداً ثم يباغت العلماء بمثل هذا ، وعلى الإنسان أن يكون سؤاله لطلب العلم ومعرفة الحق لا ليظهر علمه وضعف علم غيره .

والحاصل أن الإنسان يجب أن يكون متأدباً مع من هو أكبر منه ، وإذا حصل خطأ ممن هو أكبر ، فالخطأ يجب أن يُبين بحال لبقة أو ينتظر حتى يخرج مع هذا العالم ويكلمه بأدب ، والعالم الذي يتقي الله إذا بان له الحق فإنه سوف يرجع إليه ، وسوف يبين للناس أنه رجع عن قوله .

* * * * * * * * * * * *

٩١ - **وسئل فضيلة الشيخ:** **ما توجيهكم حول استغلال الوقت وحفظه من الضياع؟**

فأجاب فضيلته قائلاً: ينبغي لطالب العلم أن يحفظ وقته عن الضياع ، وضياع الوقت يكون على وجوه:

الوجه الأول: أن يدع المذاكرة ومراجعة ما قرأ .

الوجه الثاني: أن يجلس إلى أصدقائه ويتحدث بحديث لغو ليس فيه فائدة .

الوجه الثالث: وهو أضرها على طالب العلم ألا يكون له هم إلا تتبع أقوال الناس وما قيل وما قال ، وما حصل وما يحصل في أمر ليس معنيًّا به ، وهذا لا شك أنه من ضعف الإسلام ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» (1) ، والاشتغال بالقيل والقال وكثرة السؤال مضيعة للوقت ، وهو في الحقيقة مرض إذا دبَّ في الإنسان - نسأل الله العافية - صار أكبر همه ، وربما يعادي من لا يستحق العداء ، أو يوالي من لا يستحق الولاء ، من أجل اهتمامه بهذه الأمور التي تشغله عن طلب العلم بحجة أن هذا من باب الانتصار للحق ، وليس كذلك ، بل هذا من إشغال النفس بما لا يعني الإنسان ، أما إذا جاءك الخبر بدون أن تتلقفه وبدون أن تطلبه ، فكل إنسان يتلقى الأخبار ، لكن لا ينشغل بها ، ولا تكون أكبر همه ؛ لأن هذا يشغل طالب العلم ، ويفسد عليه أمره ويفتح في الأمة باب الحزبية فتتفرق الأمة .

* * * * * * * * * * * *

٩٢ - وسئل فضيلة الشيخ: هل يجوز لطالب العلم إذا كان في مجلس عامة أن يقول لهم من عنده مسألة أو مشكلة فليطرحها حتى أجيب عليها وتحصل الفائدة؟

فأجاب فضيلته بقوله: يجوز عرض العالم على المتعلم وعامة الناس أن يسألوا عما بدا لهم ولا يعد ذلك إعجاباً من العالم بنفسه ، لأنه قد يقول قائل: لماذا يقول اسأل عما بدالك ، هذا تعظيم لنفسه ، وكبر منه؟ نقول: ليس هذا المراد بل المراد نشر العلم ، والإنسان لا يعلم عما في قلب أخيه حتى يحدثه به ، لذلك لا يقال هذا الفعل خطأ مادام الإنسان ليس قصده الإعجاب بالنفس وإنما قصده بث العلم فلا حرج في ذلك .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) سبق تخريجه .

٩٣ - **وسئل فضيلة الشيخ:** هل تعتبر أشرطة التسجيل طريقة من طرق العلم؟ وما هي الطريقة المثلى للاستفادة منها؟

فأجاب فضيلته بقوله : أما كون هذه الأشرطة وسيلة من وسائل تحصيل العلم فهذا لا يَشُكُّ فيه أحد ، ولا نجحد نعمة الله علينا في هذه الأشرطة التي استفدنا كثيراً من العلم بها ؛ لأنها توصّل إلينا أقوال العلماء في أي مكان كنا .

ونحن في بيوتنا قد يكون بيننا وبين هذا العالم مفاوز ويسهل علينا أن نسمع كلامه من خلال هذا الشريط . وهذه من نعم الله - عز وجل - علينا ، وهي في الحقيقة حجة لنا وعلينا ، فإن العلم انتشر انتشاراً واسعاً بواسطة هذه الأشرطة .

وأما كيف يستفاد منها؟

فهذا يرجع إلى حال الإنسان نفسه ، فمن الناس من يستطيع أن يستفيد منها ، وهو يقود السيارة ، ومنهم من يستمع إليه أثناء تناوله لطعام الغداء أو العشاء أو القهوة .

المهم أن كيفية الاستفادة منها ترجع إلى كل شخص بنفسه ، ولا يمكن أن نقول فيها ضابطاً عاماً .

* * * * * * * * * * * *

٩٤ - **سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - :** أيهما أفضل: قيام الليل ، أم طلب العلم؟

فأجاب فضيلته بقوله : طلب العلم أفضل من قيام الليل ؛ لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد: " لا يعدله شيء لمن صحت نيته ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره" . فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل لطلب العلم ابتغاء وجه الله سواء كان يُدرسه ويعلمه الناس فإنه خير من قيام الليل ، وإن أمكنه أن يجمع بين الأمرين فهو أولى لكن إذا تزاحم الأمران فطلب العلم الشرعي أفضل وأولى ، ولهذا أمر النبي ﷺ أبا

هريرة: «**أن يوتر قبل أن ينام**»[1]. قال العلماء: وسبب ذلك أن أبا هريرة كان يحفظ أحاديث النبي ﷺ أول الليل وينام آخر الليل فأرشده النبي ﷺ إلى أن يوتر قبل أن ينام.

* * * * * * * * * * * *

٩٥ - **سئل فضيلة الشيخ: هل من توجيه إلى طلبة العلم حتى يكونوا دعاة؟ حيث إنهم يحتجون بطلب العلم وأنه يشغلهم عن الدعوة؟**

فأجاب فضيلته بقوله: الدعوة التي تكون دون طلب العلم لا خير فيها، بمعنى أنها تفوّت خيراً كثيراً، والواجب على طالب العلم أن يطلب العلم مع الدعوة إلى الله. ما المانع لطالب العلم إذا رأى شخصاً معرضاً بالمسجد الذي يطلب فيه العلم أن يدعوه إلى الله - عز وجل - ؟ ما المانع إذا خرج إلى السوق ليقضي حوائجه أن يدعو إلى الله - عز وجل - في السوق إذا رأى معرضاً عن دين الله؟ ما المانع إذا كان بالمدرسة ورأى من الطلبة من هو معرض أن يدعوه إلى الله عز وجل - ويأخذ بيده. لكن المشكلة أن الإنسان إذا رأى مخالفاً له بمعصية أو ترك أمر كرهه واشمأز منه، وأبعد عنه، ويئس من إصلاحه والله - سبحانه وتعالى - بين لنا أن نصبر، وأن نحتسب.

قال الله لنبيه: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ (الأحقاف: من الآية٣) فالإنسان يجب عليه أن يصبر ويحتسب، ولو رأى في نفسه شيئاً أو على نفسه شيئاً من الغضاضة فليجعل ذلك في ذات الله - عز وجل - إن النبي عليه الصلاة والسلام لما أدميت أصبعه في الجهاد، قال:

هل أنت إلا أصبع دَميت ::: وفي سبيل الله ما لَقِيت

* * * * * * * * * * * *

٩٦ - **سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - : إذا اجتهد العالم في مسألة من المسائل ولم يصب الحكم الصحيح فبم يحكم عليه؟**

فأجاب فضيلته قائلاً: العالم إذا اجتهد في مسألة من المسائل قد يصيب وقد

---

(١) سبق تخريجه.

يخطئ لما ثبت من حديث بريدة - رضي الله عنه -: «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا**» . رواه مسلم .

وقال النبي ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد**» . متفق عليه ، وعليه فهل نقول إن المجتهد مصيب ولو أخطأ؟

الجواب: قيل: كل مجتهد مصيب ، وقيل: ليس كل مجتهد مصيباً . وقيل: كل مجتهد مصيب في الفروع دون الأصول ، حذراً من أن نصوب أهل البدع في باب الأصول .

والصحيح: أن كل مجتهد مصيب من حيث اجتهاده ، أما من حيث موافقته للحق ؛ فإنه يخطئ ويصيب ، ويدل قوله ﷺ: «**فاجتهد فأصاب ، واجتهد فأخطأ**» ؛ فهذا واضح في تقسيم المجتهدين إلى مخطئ ومصيب ، وظاهر الحديث والنصوص أنه شامل للفروع والأصول ، حيث دلت تلك النصوص على أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، لكن الخطأ المخالف لإجماع السلف خطأ ولو كان المجتهدين ؛ لأنه لا يمكن أن يكون مصيباً والسلف غير مصيبين سواء في علم الأصول أو الفروع .

على أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أنكرا تقسيم الدين إلى أصول وفروع ، وقالا: إن هذا التقسيم محدث بعد عصر الصحابة ، ولهذا نجد القائلين بهذا التقسيم يلحقون شيئاً من أكبر أصول الدين بالفروع ، مثل الصلاة ، وهي ركن من أركان الإسلام ويخرجون أشياء في العقيدة اختلف فيها السلف ، يقولون: إنها من الفروع ؛ لأنها ليست من العقيدة ، ولكن فرع من فروعها ، ونحن نقول: إن أردتم بالأصول ما كان عقيدة ؛ فكل الدين أصول ؛ لأن العبادات المالية أو البدنية لا يمكن أن تتعبد لله بها إلا أن تعتقد أنها مشروعة ؛ فهذا عقيدة سابقة على العمل ، ولو لم تعتقد ذلك لم يصح تعبدك لله بها .

والصحيح: أن باب الاجتهاد مفتوح فيما سمي بالأصول أو الفروع ، لكن ما خرج عن منهج السلف فليس بمقبول مطلقاً .

* * * * * * * * * * * *

٩٧ - **سئل فضيلة الشيخ - أعلى الله درجته في المهديين -: عمن يقول بعدم الاجتهاد وخلو هذا العصر من المجتهدين؟**

فأجاب فضيلته بقوله: الصحيح أن باب الاجتهاد باق بدليل السنة كما في حديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد**»[1].

لذلك قول من يقول: بعدم الاجتهاد وخلو هذا العصر من المجتهدين، قول ضعيف ويترتب عليه الإعراض عن الكتاب والسنة إلى آراء الرجال، وهذا خطأ، بل الواجب على من تمكن من أخذ الحكم من الكتاب والسنة أن يأخذ منها، لكن لكثرة السنن وتفرقها لا ينبغي للإنسان أن يحكم بشيء بمجرد أن يسمع حديثاً في هذا الحكم حتى يتثبت؛ لأن هذا الحكم قد يكون منسوخاً أو مقيداً أو عامًّا وأنت تظنه بخلاف ذلك.

وأما أن نقول لا تنظر في القرآن والسنة؛ لأنك لست أهلاً للاجتهاد، فهذا غير صحيح، ثم إنه على قولنا: أن باب الاجتهاد مفتوح؛ لا يجوز أبداً أن تحتقر آراء العلماء السابقين، أو أن تنزل من قدرهم؛ لأن أولئك تعبوا واجتهدوا وليسوا بمعصومين، فكونك تقدح فيهم، أو تأخذ المسائل التي يلقونها على أنها نكت تعرضها أمام الناس ليسخروا بهم فهذا أيضاً لا يجوز، وإذا كانت غيبة الإنسان العادي محرمة، فكيف بغيبة أهل العلم الذين أفنوا أعمارهم في استخراج المسائل من أدلتها، ثم يأتي في آخر الزمان من يقول: إن هؤلاء لا يعرفون، وهؤلاء يفرضون المحال، ويقولون: كذا وكذا. مع أن أهل العلم فيما يفرضونه من المسائل النادرة قد لا يقصدون الوقوع، ولكن يقصدون تمرين الطالب على تطبيق المسائل على قواعدها وأصولها.

****

٩٨ - **سئل الشيخ - غفر الله له -**: ما قولكم فيما يحصل من البعض من

---

(١) سبق تخريجه.

قدح في الحافظين النووي وابن حجر وأنهما من أهل البدع؟

وهل الخطأ من العلماء في العقيدة ولو كان عن اجتهاد وتأويل يلحق صاحبه بالطوائف المبتدعة؟

وهل هناك فرق بين الخطأ في الأمور العلمية والعملية؟

فأجاب فضيلته بقوله: إن الشيخين الحافظين (النووي**و**ابن حجر) لهما صدق ونفع كبير في الأمة الإسلامية ولئن وقع منهما خطأ في تأويل بعض نصوص الصفات إنه لمغمور بما لهما من الفضائل والمنافع الجمة ولا نظن أن ما وقع منهما إلا صادر عن اجتهاد وتأويل سائغ - ولو في رأيهما - وأرجو الله تعالى أن يكون من الخطأ المغفور وأن يكون ما قدماه من الخير والنفع من السعي المشكور وأن يصدق عليهما قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (هود: من الآية١١٤) . والذي نرى أنهما من أهل السنة والجماعة ، ويشهد لذلك خدمتهما لسنة رسوله الله ﷺ وحرصهما على تنقيتها مما ينسب إليها من الشوائب ، وعلى تحقيق ما دلت عليه من أحكام ولكنهما خالفا في آيات الصفات وأحاديثها أو بعض ذلك عن جادة أهل السنة عن اجتهاد أخطئا فيه ، فنرجو الله تعالى أن يعاملهما بعفوه .

وأما الخطأ في العقيدة: فإن كان خطأ مخالفاً لطريق السلف ، فهو ضلال بلا شك ولكن لا يحكم على صاحبه بالضلال حتى تقوم عليه الحجة ، فإذا قامت عليه الحجة ، وأصر على خطئه وضلاله ، كان مبتدعاً فيما خالف فيه الحق ، وإن كان سلفيًّا فيما سواه ، فلا يوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق ، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق ، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف ، مبتدع فيما خالفهم ، كا قال أهل السنة في الفاسق: إنه مؤمن بما معه من الإيمان ، فاسق بما معه من العصيان ، فلا يعطي الوصف المطلق ولا ينفى عنه مطلق الوصف ، وهذا هو العدل الذي أمر الله به ، إلا أن يصل المبتدع إلى حد يخرجه من الملة فإنه لا كرامة له في هذه الحال .

وأما الفرق بين الخطأ في الأمور العلمية والعملية: فلا أعلم أصلاً للتفريق بين الخطأ في الأمور العلمية والعملية لكن لما كان السلف مجمعين فيما نعلم على الإيمان في

الأمور العلمية الحيوية والخلاف فيها إنما هو في فروع من أصولها لا في أصولها كان المخالف فيها أقل عدداً وأعظم لوماً . وقد اختلف السلف في شيء من فروع أصولها كاختلافهم ، هل رأى النبي ﷺ ربه في اليقظة واختلافهم في اسم الملكين اللذين يسألان الميت في قبره ، واختلافهم في الذي يوضع في الميزان أهو الأعمال أم صحائف الأعمال أم العامل؟ واختلافهم هل يكون عذاب القبر على البدن وحده دون الروح؟ واختلافهم هل يسأل الأطفال وغير المكلفين في قبورهم؟ واختلافهم هل الأمم السابقة يسألون في قبورهم كما تسأل هذه الأمة؟ واختلافهم في صفة الصراط المستقيم المنصوب على جهنم؟ واختلافهم هل النار تفنى أو مؤبدة ، وأشياء أخرى وإن كان الحق مع الجمهور في هذه المسائل ، والخلاف فيها ضعيف .

وكذلك يكون في الأمور العملية خلاف يكون قويًّا تارة وضعيفاً تارة .

وبهذا تعرف أهمية الدعاء المأثور: «**اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**» [1] .

* * * * * * * * * * *

٩٩ - **سئل فضيلة الشيخ - أعلى الله درجته - : عما يحصل من اختلاف الفتيا من عالم لآخر في موضوع واحد . ما مرد ذلك؟ وما موقف متلقي الفتيا؟**

فأجاب - رحمه الله تعالى - بقوله: مرد ذلك إلى شيئين:

الأول: العلم . فقد يكون أحد المفتين ليس عنده من العلم ما عند المفتي الآخر ، فيكون المفتي الآخر أوسع اطلاعاً منه ، يطلع على ما لم يطلع عليه الآخر .

والثاني: الفهم ، فإن الناس يختلفون في الفهم اختلافاً كثيراً قد يكونون في العلم سواء ، ولكن يختلفون في الفهم ، فيعطي الله تعالى هذا فهماً واسعاً ثاقباً ؛ يفهم مما علم أكثر مما فهمه الآخر ، وحينئذ يكون الأكثر علماً والأقوى فهماً أقرب إلى الصواب

---

(١) رواه مسلم .

من الآخر . أما بالنسبة للمستفتي فإنه إذا اختلف عليه عالمان مفتيان فإنه يتبع من يرى أنه أقرب إلى الصواب ، إما لعلمه ، وإما لورعه ودينه ، كما أنه لو كان الإنسان مريضاً واختلف عليه طبيبان فإنه سوف يأخذ بقول من يرى أنه أقرب إلى الصواب فإنه تساوى عنده الأمران ولم يرجح أحد المفتين على الآخر فإنه يخير إن شاء أخذ بهذا وإن شاء أخذ بهذا وما اطمأنت إليه نفسه أكثر فليأخذ به .

* * * * * * * * * * * *

١٠٠ - سئل فضيلة الشيخ: ما قولكم فيمن يتخذ من أخطاء العلماء طريقاً للقدح فيهم ورميهم بالبهتان؟ وما النصيحة التي توجهها لطلبة العلم في ذلك؟

فأجاب فضيلته بقوله : العلماء - بلا شك - يخطئون ويصيبون وليس أحد منهم معصوماً ، ولا ينبغي لنا بل ولا يجوز أن نتخذ خطئهم سلماً للقدح فيهم ، فإن هذه طبيعة البشر كلهم أن يخطئوا إذا لم يوفقوا للصواب ، ولكن علينا إذا سمعنا عن عالم أو عن داعية من الدعاة أو عن إمام من أئمة المساجد إذا سمعنا خطأ أن نتصل به ، حتى يتبين لنا لأنه قد يحصل في ذلك خطأ في النقل عنه ، أو خطأ في الفهم لما يقول ، أو سوء قصد في تشويه سمعة الذي نقل عنه هذا الشيء ، وعلى كل حال فمن سمع منكم عن عالم أو عن داعية أو عن إمام مسجد أو أي إنسان له ولاية ، من سمع منه ما لا ينبغي أن يكون ، فعليه أن يتصل به وأن يسأله: هل وقع ذلك منه أم لم يقع ، ثم إذا كان قد وقع فليبين له ما يرى أنه خطأ ، فإما أن يكون قد أخطأ فيرجع عن خطئه ، وإما أن يكون هو المصيب ، فيبين وجه قوله حتى تزول الفوضى التي قد نراها أحياناً ولا سيما بين الشباب . وأن الواجب على الشباب وعلى غيرهم إذا سمعوا مثل ذلك أن يكفوا ألسنتهم وأن يسعوا بالنصح ، والاتصال بمن نُقل عنه ما نُقل حتى يتبين الأمر ، أما الكلام في المجالس ولا سيما في مجالس العامة أن يقال ما تقول في فلان؟ ما تقول في فلان الآخر الذي يتكلم ضد الآخرين؟ فهذا أمر لا ينبغي بثه إطلاقاً ؛ لأنه يثير الفتنة والفوضى فيجب حفظ اللسان ، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - : «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسان نفسه ، وقال: «**كف**

عليك هذا» . قلت: يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نتكلم به . قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»[1] .

وأنصح طلبة العلم وغيرهم أن يتقوا الله وألا يجعلوا أعراض العلماء والأمراء مطية يركبونها كيف شاءوا ، فإنه إذا كانت الغيبة في عامة الناس من كبائر الذنوب فهي في العلماء والأمراء أشد وأشد ، حمانا الله وإياكم عما يغضبه ، وحمانا عما فيه العدوان على إخواننا ، إنه جواد كريم .

****

١٠١ - **سئل فضيلة الشيخ - غفر الله له -:** ما توجيهكم حول ما يحصل من البعض من التفرق والتحزب؟

فأجاب فضيلته بقوله: لا شك أن التحزب والتفرق في دين الله منهي عنه محذر منه ، لقوله تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٥) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٩) فلا يجوز للأمة الإسلامية أن يتفرقوا أحزاباً ، لكل طائفة

---

(١) **ضعيف** . رواه أحمد (٥ / ٢٣١) والترمذى فى "الإيمان " (٢٦١٦)باب ما جاء فى حرمة الصلاة . والنسائى فى "الكبرى " فى "التفسير " (٦ / ٤٢٨) رقم (١١٣٩٤) وابن ماجه فى "الفتن" (٣٩٧٣) باب كف اللسان فى الفتنة ، وقال الترمذى: حسن صحيح: وتعقبه الحافظ ابن رجب الحنبلى فى " جامع العلوم والحكم" (٤٠٣ ، ٤٠٤) فقال: وفيما قاله - رحمه الله - نظر من وجهين: أحدهما:أنه لم يثبت سماع أبى وائل من معاذ وإن كان قد أدركه بالسن ، وكان معاذ بالشام وأبو وائل بالكوفة وما زال الأئمة كأحمد وغيره يستدلون على انتفاء السماع بمثل هذا وقد قال أبو حاتم الرازى فى سماع أبى وائل من أبى الدرداء: قد أدركه وكان بالكوفة وأبو الدرداء بالشام ، يعنى أنه لم يصح منه سماع ، وقد نقل أبو زرعة الدمشقى عن قوم أنهم توقفوا فى سماع أبى وائل من عمر أو نفوه فسماعه من معاذ أبعد . والثانى: أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ ، خرجه الإمام أحمد مختصراً ، قال الدارقطنى: وهو أشبه بالصواب: لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه . قلت . رواية شهر عن معاذ مرسلة يقيناً ، وشهر مختلف فيه ، وقد خرجه الإمام أحمد أيضاً من رواية عروة بن النزال بن عروة وميمون بن أبى شبيب كلاهما عن معاذ ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة والله أعلم .

منهج مغاير لمنهج الأخرى ، بل ا لواجب اجتماعهم على دين الله على منهج واحد وهو هدى النبي ﷺ وخلفائه الراشدين والصحابة المرضيين ، لقول النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**» (١) .

وليس من هدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أن تتفرق الأمة أحزاباً لكل حزب أمير ومنهج ، وأمير الأمة الإسلامية واحد ، وأمير كل ناحية واحد ، من قِبَل الأمير العام .

وإنما أمر النبي ﷺ باتخاذ أمير السفر ؛ لأن المسافرين نازحون عن المدن والقرى التي فيها أمراء من قبل الأمير العام ، وربما تحصل مشاكل لا تقبل التأخير إلى وصول هذه المدن والقرى ، أو مشاكل صغيرة لا تحتمل الرفع إلى أمراء المدن والقرى ؛ كالنزول في مكان والنزوح عنه وتسريح الرواحل وحبسها ونحو ذلك ، فكان من الحكمة أن يؤمر المسافرون أحدهم لمثل هذه الحالات .

ونصيحتي للأمة أن يتفقوا على دين الله ولا يتفرقوا فيه ، وإذا رأوا من شخص أو طائفة خروجاً عن ذلك نصحوه وبيّنوا له الحق وحذروه من المخالفة وبينوا له أن الاجتماع على الحق أقرب إلى السداد والفلاح من التفرق . وإذا كان الخلاف عن اجتهاد سائغ فإن الواجب أن لا تتفرق القلوب وتختلف من أجل ذلك ، فإن الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - حصل بينهم خلاف في الاجتهاد في عهد نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعده ، ولم يحصل بينهم اختلاف في القلوب أو تفرق فليكن لنا فيهم أسوة ، فإن آخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها .

وفقنا الله إلى ما يحبه ويرضاه .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) صحيح . رواه أحمد (٤ / ١٢٦ - ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٩٧٦) وابن ماجة (٤٣ ، ٤٤) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٢٧ ، ٣٢ ، ٥٤ ، ٥٧) والبغوى فى "شرح السنة" (١٠٢) والدارمى (١/٤٤) والآجرى فى "الشريعة " (ص ٤٧) وابن حبان (٥- إحسان) والحاكم (١/ ٩٥) والبيهقى فى "السنن الكبرى" (٦/ ٥٤١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى . وقال الترمذى : حسن صحيح .

١٠٢ - **سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى -: ما الواجب على العامي ومن ليس له قدرة على طلب العلم؟**

فأجاب فضيلته بقوله: يجب على من لا علم عنده ولا قدرة له على الاجتهاد أن يسأل أهل العلم ؛ لقوله تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنبياء الآية: ٧) . ولـم يأمـر الله تعالى بسؤالهـم إلا مـن أجل الأخذ بقولهم ، وهذا هو التقليد . لكن الممنوع في التقليد أن يلتزم مذهباً معيناً يأخذ به على كل حال ويعتقد أن ذلك طريقه إلى الله - عز وجل - فيأخذ به وإن خالف الدليل .

وأما من له قدرة على الاجتهاد ؛ كطالب العلم الذي أخذ بحظ وافر من العلم ، فله أن يجتهد في الأدلة ويأخذ بما يرى أنه الصواب أو الأقرب للصواب .

وأما العامي وطالب العلم المبتدئ ، فيجتهد في تقليد من يرى أنه أقرب إلى الحق ؛ لغزارة علمه وقوة دينه وورعه .

* * * * * * * * * * * *

١٠٣ - **سئل الشيخ - غفر الله له -: من الأصول التي يرجع إليها طالب العلم الشرعي أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - فهل هي حجة يُعمل بها؟**

فأجاب بقوله: قول الصحابي أقرب إلى الصواب من غيره بلا ريب ، وقوله حجة ، بشرطين:

أحدهما: أن لا يخالف نص كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ ،

والثاني: أن لا يخالفه صحابي آخر .

فإن خالف الكتاب أو السنة فالحجة في الكتاب أو السنة ، ويكون قوله من الخطأ المغفور .

وإن خالف قول صحابي آخر طلب الترجيح بينهما ، فمن كان قوله أرجح فهو أحق أن يتبع ، وطرق الترجيح تعرف إما من حال الصحابي أو من قرب قوله إلى القواعد العامة في الشريعة أو نحو ذلك .

ولكن هل هذا الحكم عام لجميع الصحابة أو خاص بالخلفاء الراشدين أو بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - .

أما أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - فلا ريب أن قولهما حجة بالشرطين السابقين ، وقولهما أرجح من غيرهما إذا خالفهما ، وقول أبي بكر أرجح من قول عمر - رضي الله عنهما - . وقد روى الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**» (١) ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - في قصة نومهم عن الصلاة ، قال النبي ﷺ : «**فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا**» .

وفي صحيح البخاري في باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ أن عمر بن الخطاب قال: «**هما المرءان يقتدى بهما**» ، يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر - رضي الله عنه - .

وأما بقية الخلفاء الراشدين ، ففي السنن والمسند من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**» (٢) . وأولى الناس بالوصف هذا الخلفاء الأربعة - رضي الله عنهم - فيكون قولهم حجة .

وأما بقية الصحابة ، فمن كان معروفاً بالعلم وطول الصحبة فقوله حجة ، ومن لم يكن كذلك فمحل نظر ، وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في أول كتابه (إعلام الموقعين): أن فتاوى الإمام مبينة على خمسة أصول ، منها: فتاوى الصحابة - رضي الله عنهم - والعلماء مختلفون فيها ، لكن الغالب واللازم أن يكون هناك دليل يرجح قوله أو يخالفه فيعمل بذلك الدليل .

* * * * * * * * * * *

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

رسالــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين حفظه الله :

نرجو من فضيلتكم التكرم بإفادتنا عما إذا كان تحديد موعد منتظم أسبوعياً لإلقاء محاضرة دينية أو حلقة علم ، بدعة منهياً عنها باعتبار طلب العلم عبادة ، والرسول ﷺ لم يكن يحدد موعداً لهذه العبادة . وتبعاً لذلك هل إذا اتفق مجموعة من الأخوة على الالتقاء في المسجد ليلة محددة كل شهر لقيام الليل ، هل يكون ذلك بدعة مع إيراد الدليل على ذلك؟ وجزاكم الله خيراً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فأجاب فضيلته بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

إن تحديد يوم معين منتظم لإلقاء محاضرة أو حلقة علم ليس ببدعة منهي عنها ، بل هو مباح كما يقرر يوم معين في المدارس والمعاهد لحصة الفقة أو التفسير أو نحو ذلك . ولا شك أن طلب العلم الشرعي من العبادات لكن توقيته بيوم معين تابع لما تقتضيه المصلحة ، ومن المصلحة أن يعين يوم لذلك حتى لا يضطرب الناس . وطلب العلم ليس عبادة موقتة بل هو بحسب ما تقتضيه المصلحة والفراغ . لكن لو خص يوماً معيناً لطلب العلم باعتبار أنه مخصوص لطلب العلم وحده فهذا هو البدعة .

وأما اتفاق مجموعة على الالتقاء في ليلة معينة لقيام الليل فهذا بدعة ؛ لأن إقامة الجماعة في قيام الليل غير مشروعة إلا إذا فعلت أحياناً وبغير قصد كما جرى للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - .

كتبه محمد الصالح العثيمين
في ٢٨/ ٥/ ١٤١٥هـ

****

١٠٤ - **وسئل فضيلة الشيخ - أعلى الله درجته في المهديين -:** عما يحصل من البعض من الوقوع في أعراض العلماء الربانيين والقدح فيهم وغيبتهم وفقكم الله تعالى؟

فأجاب فضيلته بقوله: لا شك أن الوقوع في أعراض أهل العلم المعروفين بالنصح ، ونشر العلم والدعوة إلى الله تعالى ، من أعظم أنواع الغيبة التي هي من كبائر الذنوب .

والوقيعة في أهل العلم أمثال هؤلاء ليست كالوقيعة في غيرهم ؛ لأن الوقيعة فيهم تستلزم كراهتهم ، وكراهة ما يحملونه ، وينشدونه من شرع الله - عز وجل - فيكون في التنفير عنهم تنفير عن شرع الله - عز وجل - وفي هذا من الصد عن سبيل الله ما يتحمل به الإنسان إثماً عظيماً وجرماً كبيراً ، ثم إنه يلزم من إعراض الناس عن أمثال هؤلاء العلماء ، أن يلتفتوا إلى قوم جهلاء يضلون الناس بغير علم ؛ لأن الناس لابد لهم من أئمة يأتمون بهم ويهتدون بهديهم ، فإما أن يكونوا أئمة يهدون بأمر الله وإما أن يكونوا أئمة يدعون إلى النار ، فإذا انصرف الناس عن أحد الجنسين مالوا إلى الجنس الآخر .

وعلى المرء الواقع في أعراض أمثال هؤلاء العلماء أن ينظر في عيوب نفسه ، فإن أول عيب يخدش به نفسه ، وقوعه في أعراض هؤلاء العلماء ، مع ما عنده من العيوب الأخرى التي يبرأ منها أهل العلم ويبرؤن أنفسهم من الوقيعة فيه من أجلها .

****

١٠٥ - **وسئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى -:** عن المسجلات الصوتية التي يُسجل فيها العالم ، وهل هناك حرج من استعمالها؟

فأجاب فضيلته بقوله: لا شك أن المسجلات الصوتية من نعم الله تعالى ، إذا كان يسجل بها ما يفيد المسلم في دينه ودنياه ، وأنه يحصل بها علم كثير مفيد ، إذا كان من أهل العلم المعروفين بالتحقيق والأمانة ، وهي بمنزلة الكتب المؤلفة ، ومن المعلوم

أنه لا أحد ينهى عن تأليف الكتب إذا كانت من أهل التحقيق والأمانة ، وهي لا تصد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، بل هي بيان وتفسير لكلام الله ورسوله ونشر لما تضمنه الكتاب والسنة من الأحكام لكن الذى يخشى منه أنه كثيراً مما يسمع منها يكون مواعظ تشتمل على أحاديث وآثار ضعيفة أو مكذوبة لقصد الترغيب أو الترهيب أو كليهما ، والذين يسمعونها ممن لا معرفة لهم بالصحيح والضعيف يغترون بها ويأخذون بها مسلمة من غير بحث فيها ولا سؤال عنها ، فالله المستعان .

****

١٠٦ - **وسئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - :** متى ينكر على المخالف في المسائل الخلافية التي بين أهل العلم؟

فأجاب فضيلته بقوله: مسائل الخلاف نوعان :

النوع الأول: نوع يكون الدليل فيها واضحاً لا يمكن فيه الاجتهاد ، فهذه ينكر على المخالف فيها لمخالفة النص وذلك كحلق اللحية وإسبال الثوب أسفل من الكعبين ، والتفرق في دين الله ، وغير ذلك .

لكن لا يجعل ذلك وسيلة للتشاتم والتباغض ، لا سيما مع العلم بحسن نية المخالف ، بل تُعالج الأمور بحكمة حتى يحصل الوفاق .

والنوع الثاني: يكون فيها الدليل غير واضح ، إما لخفاء ثبوت الدليل ، أو الدلالة أو وجود شبهة مانعة ، وغير ذلك ، فهذا لا ينكر فيه على المخالف ؛ لأن قول أحد المختلفين ليس حجة على الآخر ، وأمثلة هذا كثيرة .

****

١٠٧ - **وسئل فضيلة الشيخ: إذا أراد الإنسان حفظ القرآن فبماذا تنصحونه؟**

فأجاب فضيلته بقوله : الذي ننصحه به أن يبدأ من البقرة ، إلا إذا كان

حفظه من المفصل [١] أسهل له فليكن من المفصل ؛ لأن بعض الناس يسهل عليه الحفظ من المفصل من أجل قصر سوره وآياته وكونه يسمعه من الأئمة في المساجد كثيراً ، فإذا كان هذا سهل عليه فليبدأ بما هو أسهل ، وننصحه أيضاً بتعاهد حفظه كما أمر بذلك النبي ﷺ ، وننصحه أيضاً أن يهتم بما كان حفظه أكثر من اهتمامه بكثرة الحفظ ؛ لأن العناية بالموجود أولى من العناية بالمفقود .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) المفصل يبدأ من سورة (ق) إلى آخر القرآن الكريم .

رسالــــة

حول الاجتماع والائتلاف وترك التفرق والاختلاف

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العظيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ . (آل عمران ، الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣) .

فأمرنا الله - سبحانه وتعالى - أن نذكر نعمة الله علينا ، إذ كنا أعداء فألف بين قلوبنا ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، فعلينا جميعاً أن نشكر الله على هذه النعمة وأن نحرص كل الحرص على أن تكون كلمتنا واحدة .

لأننا بذلك نكون أمة قوية مرموقة ، وأما إذا تنازعنا وتفرقنا فإنه بلا شك سوف نفشل وتذهب ريحنا ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦) .

وإن الواجب على طلبة العلم خاصة ، وعلى المسلمين عامة أن يدعوا الأحقاد والأضغان وأن يكون هدفهم واحد ودعواهم واحدة ، وأن لا يظهروا الشماتة بأنفسهم بالتفرق والتنازع والتنابز بالألقاب والكراهية والبغضاء ، فإن ذلك أعظم سلاح فتاك يبطل هيبة المسلمين ، ويوجب أن يتسلط عليهم أعداؤهم فيقفون متفرجين عليهم ينظرون إليهم وهم يتنازعون ويتخاصمون ويقولون كفينا أن نفسد بين المسلمين ، وأنه يجب على كل واحد منا أن يعذر أخاه فيما طريقه الاجتهاد ، فإن اجتهاد كل واحد ليس حجة على الآخر ، والحجة ما قاله الله ورسوله ﷺ ، فإذا كان الخلاف سائغاً لم يظهر فيه العصيان والتعصب للنفس ، فإن الواجب أن تتسع صدورنا له ، ولا مانع حينئذ من المناقشة الهادئة التي يُراد بها التوصل إلى الحق ، فإن هذا هو طريق الصحابة ، وأما أن

نتخذ من الخلاف السائغ مثاراً للكراهية والبغضاء والتحزب ، فإن ذلك خلاف طريق السلف الصالح ، ولينظر الإنسان وليتفكر في هذه الشريعة الإسلامية فإنها جاءت بما يوجب الألفة والمحبة ، ونهت عن كل ما يوجب التفرق والبغضاء ، فكثير من العبادات يشرع فيها الاجتماع كالصلوات ، وكثير من الأشياء نهى الله عنها لأنها توجب العداوة والبغضاء كالبيع على بيع المسلم ، والخطبة على خطبته وغير ذلك .

فنصيحتي لإخواني أن يتقوا الله تعالى في أنفسهم وفي أمتهم ، وأن لا يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم .

وأسأل الله لنا جميعاً التوفيق لما يحب ويرضى .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حرر في ١٤١٦/٣/٢٩هـ .

****

١٠٨ - **وسئل فضيلة الشيخ: هل يجوز استفتاء أكثر من عالم؟ وفي حالة اختلاف الفتيا هل يأخذ المستفتي بالأيسر أم بالأحوط؟**

فأجاب فضيلته بقوله: لا يجوز للإنسان إذا استفتى عالماً واثقاً بقوله أن يستفتي غيره ؛ لأن هذا يؤدي إلى التلاعب بدين الله وتتبع الرخص ، بحيث يسأل فلاناً ، فإن لم يناسبه سأل الثاني ، وإن لم يناسبه سأل الثالث وهكذا .

وقد قال العلماء: (من تتبع الرخص فسق) ، لكن أحياناً يكون الإنسان ليس عنده من العلماء إلا فلاناً مثلاً ، فيسأله من باب الضرورة ، وفي نيته أنه إذا التقى بعالم أوثق منه في علمه ودينه سأله ، فهذا لا بأس به ، أن يسأل الأول للضرورة ، ثم إذا وجد من هو أفضل سأله .

وإذا اختلف العلماء عليه في الفتيا أو فيما يسمع من مواعظهم ونصائحهم مثلاً ، فإنه يتبع من يراه إلى الحق أقرب في علمه ودينه ، فإن تساوى عنده الرجلان في العلم والدين ، فقال بعض العلماء: يتبع الأحوط وهو الأشد ، وقيل يتبع الأيسر ، وهذا هو الصحيح ؛ أنه إذا تعادلت الفتيا عندك ، فإنك تتبع الأيسر ؛ لأن دين الله - عز وجل-

مبني على اليسر والسهولة ، لا على الشدة والحرج .

وكما قالت عائشة - رضي الله عنها - : «**ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً**» [١] . ولأن الأصل البراءة وعدم التأثيم والقول بالأشد يستلزم شغل الذمة والتأثيم .

* * * * * * * * * * * *

١٠٩ - **وسئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - : قلتم إن مذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب الإمام أحمد ، فكيف حكمنا على المذاهب الثلاثة الباقية؟**

فأجاب فضيلته بقوله: لا . . . ما أظن إننا قلنا هذا باعتبار أن المذاهب الثلاثة ليست على مذهب أهل السنة ، لكن الإمام أحمد - رحمه الله - معروف بين أهل العلم أنه إمام أهل السنة وأنه قام بالدفاع عن السنة قياماً لم يقمه أحد فيما نعلم . ومحنته مع المأمون ومن بعده مشهورة ، وإلا فلا شك أن أئمة الإسلام ولله الحمد كلهم على خير وعلى حق ، ولكن ذلك لا يعني أن نبرئ كل واحد منهم من الخطأ . بل كل واحد منهم قد يقع منه الخطأ بل الإمام أحمد نفسه قد يصرح بالرجوع عن القول وإن كان قد قاله من قبل كما في قوله في طلاق السكران حتى تبيّنته ، يعني فتبين له أنه لا يقع ؛ لأنه إذا أوقعه أتى خصلتين: تحريم هذه الزوجة على زوجها الذي طلقها وحلها لغيره ، وإذا قال بعدم الوقوع أتى خصلة واحدة وهي حلها لهذا الزوج الذي لم يتحقق بينونتها منه .

* * * * * * * * * * * *

١١٠ - **وسئل فضيلته - أعلى الله درجته في المهديين - : ما رأي فضيلتكم فيمن ينفّر من قراءة كتب الدعاة المعاصرين ويرى الاقتصار على كتب السلف الأخيار وأخذ المنهج منها؟ ثم ما هي النظرة الصحيحة أو الجامعة لكتب السلف - رحمهم الله - وكتب الدعاة المعاصرين والمفكرين؟**

---

(١) رواه البخاري في "المناقب" (٣٥٦٠) باب صفة النبي ﷺ . ومسلم في "الفضائل" (٥٩٣١) باب مباعدته للآثام ، واختياره من المباح أسهله ، وانتقام لله عند انتهاك حرماته ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

فأجاب فضيلته بقوله : أرى أن أخذ الدعوة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فوق كل شيء ، وهذا رأينا جميعاً بلا شك ، ثم يلي ذلك ما ورد عن الخلفاء الراشدين وعن الصحابة وعن أئمة الإسلام فيمن سلف .

أما ما يتكلم به المتأخرون والمعاصرون ، فإنه يتناول أشياء حدثت هم بها أدرى ، فإذا اتخذ الإنسان من كتبهم ما ينتفع به في هذه الناحية فقد أخذ بحظ وافر ونحن نعلم أن المعاصرين إنما أخذوا ما أخذوا من العلم ممن سبق فلنأخذ نحن مما أخذوا منه ، ولكن أموراً قد استجدت هم بها أبصر منا ، ثم إنها لم تكن معلومة لدى السلف بأعيانها ، ولهذا أرى أن يجمع الإنسان بين الحسنيين ، فيعتمد أولاً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وثانياً على كلام السلف الصالح من الخلفاء الراشدين والصحابة وأئمة المسلمين ، ثم على ما كتبه المعاصرون الذين يكتبون عن أشياء حدثت في زمانهم لم تكن معلومة بأعيانها عند السلف .

****

١١١ - **وسئل فضيلته - غفر الله له -: هناك بعض طلبة العلم يبدأ طلب العلم بكتب الحديث ويعرض عن المتون الفقهية وحجتهم بأن المتون الفقهية خالية من أدلة الكتاب والسنة فهل هذا صحيح؟**

فأجاب فضيلته بقوله : الذي أرى أن يبدأ الطالب قبل كل شيء بفهم القرآن الكريم ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ٢٩) ولأن القرآن لا يحتاج إلى أي عناء في ثبوته ؛ لأنه ثابت بالتواتر ، لكن السنة فيها الصحيح وفيها الحسن وفيها الضعيف وفيها الموضوع فهي تحتاج إلى عناء ، ثم هي أيضاً تحتاج إلى جمع أطرافها ، فقد يبلغ الإنسان حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام يكون له مخصص لعمومه ، أو مقيد لإطلاقه ، أو يكون هذا الحديث منسوخاً وهو لا يعلم ، ولهذا نجد كثيراً ممن زعموا أنهم مستندون على الحديث يخطئون في فهمه أو في طريقة الاستدلال به . ولا شك أن السنة عن النبي عليه الصلاة والسلام أصل من الأصول ، فهي كالقرآن في وجوب العمل بها إذا صحت عن النبي ﷺ .

وأما جوابه بأن المتون خالية مما قال الله وقال رسوله فنعم ، أكثر المتون الفقهية ليس فيها الدليل ، ولكن توجد الأدلة في شروحها ، فليست خالية من الأدلة باعتبار شروحها التي تحلل أغراضها وتبين معانيها .

والذي أرى أن يكون الإنسان بادئاً :

أولاً : بكتاب الله - عز وجل - .

وثانياً : بالسنة الثابتة عن رسوله الله ﷺ .

وثالثاً : بكتب الفقه المبنية على الكتاب والسنة .

لأن هذه تضبط تصرفه وتصحح فهمه .

لكن هل الأولى أن يحفظ متناً من متون الفقه أو متناً مختصراً من الحديث؟

الجواب : الأولى أن يحفظ متناً مختصراً من الحديث كعمدة الأحكام ، وبلوغ المرام ، ولكن لا يدع الاستئناس بكلام أهل العلم وأهل الفقه .

****

١١٢ - **وسئل الشيخ - غفر الله له - : بعض طلبة العلم يكتفون بسماع أشرطة العلماء من خلال دروسهم فهل تكفي في تلقي العلم؟ وهل يعتبرون طلاب علم؟ وهل يؤثر في معتقدهم؟**

فأجاب فضيلته بقوله: لا شك أن هذه الأشرطة تكفيهم عن الحضور إلى أهل العلم إذا كان لا يمكنهم الحضور ، وإلا فإن الحضور إلى العلماء أفضل وأحسن وأقرب للفهم والمناقشة ، لكن إذا لم يمكنهم الحضور فهذا يكفيهم .

ثم هل يمكن أن يكونوا طلبة علم وهم يقتصرون على هذا ؟

نقول : نعم يمكن إذا اجتهد الإنسان اجتهاداً كثيراً كما يمكن أن يكون الإنسان عالماً إذا أخذ العلم من الكتب ، لكن الفرق بين أخذ العلم من الكتب والأشرطة وبين التلقي من العلماء مباشرة ، أن التلقي من العلماء مباشرة أقرب إلى حصول العلم ؛ لأنه طريق سهل تمكن فيه المناقشة بخلاف المستمع أو القارئ فإنه يحتاج إلى عناء كبير في

جمع أطراف العلم والحصول عليه .

وأما قول السائل: هل يؤثر الاكتفاء بالأشرطة في معتقدهم؟ **فالجواب:** نعم يؤثر في معتقدهم إذا كانوا يستمعون إلى أشرطة بدعية ويتبعونها ، أما إذا كانوا يستمعون إلى أشرطة من علماء موثوق بهم ، فلا يؤثر على معتقداتهم ، بل يزيدهم إيماناً ورسوخاً واتباعاً للمعتقد الصحيح .

* * * * * * * * * * * *

١١٣- وسئل فضيلة الشيخ: ما رأي فضيلتكم فيمن صار ديدنهم تجريح العلماء وتنفير الناس عنهم والتحذير منهم ، هل هذا عمل شرعي يثاب عليه أو يعاقب عليه؟

فأجاب فضيلته بقوله: الذي أرى أن هذا عمل محرَّم ، فإذا كان لا يجوز للإنسان أن يغتاب أخاه المؤمن وإن لم يكن عالماً فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين؟ والواجب على الإنسان المؤمن أن يكف لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين . قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢) وليعلم هذا الذي ابتلي بهذه البلوى أنه إذا جرَّح العالِم فسيكون سبباً في رد ما يقوله هذا العالِم من الحق ، فيكون وبال رد الحق وإثمه على هذا الذي جرح العالم ؛ لأن جرح العالم في الواقع ليس جرحاً شخصيّاً بل هو جرح لإرث محمد ﷺ .

فإن العلماء ورثة الأنبياء فإذا جرح العلماء وقدح فيهم لم يثق الناس بالعلم الذي عندهم وهو موروث عن رسوله الله ﷺ ، وحينئذٍ لا يثقون بشيء من الشريعة التي يأتي بها هذا العالم الذي جُرح . ولست أقول إن كل عالم معصوم ، بل كل إنسان معرض للخطأ ، وأنت إذا رأيت من عالم خطأ فيما تعتقده ، فاتصل به وتفاهم معه ، فإن تبين لك أن الحق معه وجب عليك اتباعه ، وإن لم يتبين لك ولكن وجدت لقوله مساغاً وجب عليك الكف عنه ، وإن لم تجد لقوله مساغاً فحذر من قوله ؛ لأن الإقرار على

الخطأ لا يجوز ، لكن لا تجرحه وهو عالم معروف مثلاً بحسن النية ، ولو أردنا أن نجرح العلماء المعروفين بحسن النية لخطأ وقعوا فيه من مسائل الفقه ، لجرحنا علماء كباراً ، ولكن الواجب هو ما ذكرت وإذا رأيت من عالم خطأ فناقشه وتكلم معه ، فإما أن يتبين لك أن الصواب معه فتتبعه أو يكون الصواب معك فيتبعك ، أو لا يتبين الأمر ويكون الخلاف بينكما من الخلاف السائغ ، وحينئذ يجب عليك الكف عنه وليقل هو ما يقول ولتقل أنت ما تقول .

والحمد لله ، الخلاف ليس في هذا العصر فقط ، الخلاف من عهد الصحابة إلى يومنا ، وأما إذا تبين الخطأ ولكنه أصر انتصاراً لقوله وجب عليك أن تبين الخطأ وتنفر منه ، لكن لا على أساس القدح في هذا الرجل وإرادة الانتقام منه ؛ لأن هذا الرجل قد يقول قولاً حقاً في غير ما جادلته فيه .

فالمهم أنني أحذر إخواني من هذا البلاء وهو تجريح العلماء والتنفير منهم ، وأسأل الله لي ولهم الشفاء من كل ما يعيبنا أو يضرنا في ديننا ودنيانا .

****

١١٤ - **وسئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى -:** ما هي نصيحتكم لمن ابتدأ في طلب العلم؟ بأي شيء يبدأ؟

فأجاب فضيلته بقوله: عندي أن أهم شيء في طلب العلم أن يتعلم الإنسان تفسير كلام الله - عز وجل - ؛ لأن كلام الله هو العلم كله ، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً ﴾ (النحل: من الآية٨٩) وكان الصحابة لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، هذا أهم شيء عندي ، وعلى هذا فيبدأ الشاب ولا سيما الصغار من الشباب بحفظ القرآن ، والآن حفظ القرآن - ولله الحمد - متيسر ، ففي المسجد حلقات يحفظون القرآن ، وعليهم أمناء من القراء يحفظونهم القرآن ، ثم إنه في هذه المناسبة أود من إخواني الأغنياء أن يولوا أهمية لهذه الحلقات بتشجيعهم ماديًّا ومعنويًّا ، وليعلموا أنهم إذا أعانوا في تعليم القرآن فإن لهم مثل أجر المعلم ، لقول

النبي ﷺ: «**من جهز غازياً فقد غزى**» [١] . ولأن الله تعالى قال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (المائدة: من الآية٢) . ولم يأمرنا بالتعاون إلا أن لنا أجراً ، لذا أحث إخواني الأغنياء على دعم هذه الحلقات بالمال سواء كان المال نقداً أو كان عقارات توقف لهذه الحلقات تنفعه بعد موته . وأحث أيضاً القائمين على الحلقات على أن يهتموا بإنشاء ما يدر على هذه الحلقات في المستقبل ؛ لأن التبرع المقطوع ينتهي ، لكن إذا حرصوا على أن يؤسسوا منشآت تؤجر كان هذا حماية لهذه الحلقات من التوقف في المستقبل .

بعد ذلك على الطالب أن يهتم بالسنة ؛ لأنها هي مصدر التشريع الثاني ، ولا أقول الثاني بالترتيب المعنوي ، لكن بالترتيب الذكري ؛ لأن ما ثبت في السنة كما ثبت في القرآن سواء بسواء ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (النساء: من الآية١١٣) . فليحفظ السنة ، ومن الكتب المختصرة في السنة "عمدة الأحكام" وهي أيضاً موثوقة ؛ لأن جامعها - رحمه الله - جمع فيها ما اتفق البخاري ومسلم على إخراجه ، ولم يشذ عن هذا القيد إلا في أحاديث يسيرة ، وإذا ترقى الإنسان شيئاً ما فليحفظ "بلوغ المرام" وهو من أحسن ما ألف في الحديث ؛ لأنه ذكر الحديث ويذكر مرتبته فيعطي الإنسان قوة وقدرة على معرفة مرتبة الحديث ؛ لأن الحديث ليس كالقرآن ، فالقرآن لا يحتاج إلى البحث في سنده ؛ لأنه ثابت متواتر ، أما السنة فلا يتم الاستدلال بها إلا بأمرين: الأول: صحة الحديث ، الثاني: دلالة الحديث على الحكم المطلوب . ولهذا إذا قال لك إنسان هذا حرام والدليل قوله ﷺ كذا وكذا ، فعليك أن تطالبه بصحة النقل ؛ لأن هناك أحاديث ضعيفة ، وأحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ مثل: "حب الوطن من الإيمان" [٢] .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) رواه البخارى فى "الجهاد" (٢٧٤٣) باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير . ومسلم فى "الجهاد" (٤٨١٩) باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله بمركوب وغيره . عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه .

(٢) موضوع . ذكره الصغانى فى "الموضوعات" (٨١) وقال الزركشى: لم أقف عليه . وقال الألبانى: ومعناه غير مستقيم إذ أن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه ، كل ذلك غريزى فى الإنسان لا يمدح بحبه ولا هو من لوازم الإيمان ، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون فى هذا الحب لا فرق فى ذلك بين مؤمنهم وكافرهم ؟ "الضعيفة" (١/٥٥) .

١١٥ - **وسئل فضيلته - رحمه الله تعالى -:** هل يجوز لإنسان أن يجتهد في إفتاء بعض الناس إذا كان لا يوجد من يفتي أو لم يتيسر سؤال العلماء؟

فأجاب فضيلته بقوله: إذا كان جاهلاً فكيف يجتهد؟ وعلى أي أساس ينبني اجتهاده؟! والواجب على من لا يعلم الحكم أن يتوقف ، وإذا سئل يقول: لا علم عندي ، فالملائكة لما قال الله - عز وجل - لهم: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: من الآية٣١) ، ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣٢) أما كونه يقول إذا لم يجد عالماً يفتي أنا أفتي صواب أم خطأ فهذا خطأ ولا يجوز ، فالجواب أن يقول للمستفتي: اسأل العلماء ، والآن ولله الحمد الاتصالات سهلة يتصل عن طريق الهاتف أو البريد السريع أو البطيء .

* * * * * * * * * * * *

١١٦ - **وسئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى -: يقع من بعض الناس - هداهم الله تعالى - التقليل من شأن العلماء بدعوى عدم فقه الواقع فما توجيه سماحتكم جزاكم الله خيراً ووفقكم لما يحبه ويرضاه؟**

فأجاب فضيلته بقوله: لا شك أن فقه الواقع أمر مطلوب ، وأن الإنسان لا ينبغي أن يكون في عزلة عما يقع حوله وفي بلده ، بل لابد أن يفقه لكن لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يكون الاشتغال بفقه الواقع مشغلاً عن فقه الشريعة والدين الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» [1] ، لم يقل يفقهه في الواقع ، فإذا كان عند الإنسان علم بما يقع حوله لكنه قد صرف جهده وجل أمره إلى الفقه في دين الله ، فهذا طيب ، أما أن ينشغل بالواقع والتفقه فيه - كما زعم - والاستنتاجات التي يخالفها ما يَقع فيما بعد ؛ لأن كثيراً من المشتغلين بفقه الواقع يقدمون حسب ما تمليه عليهم مخيلتهم ، ويقدرون أشياء يتبين أن الواقع بخلافها ، فإذا كان فقه الواقع لا يشغله عن فقه الدين ، فلا بأس به ، لكن لا يعني ذلك أن نقلل من شأن علماء يشهد لهم بالخير وبالعلم وبالصلاح لكنهم يخفى عليهم بعض الواقع ، فإن

---

(١) سبق تخريجه .

هذا غلط عظيم ، فعلماء الشريعة أنفع للمجتمع من علماء فقه الواقع ، ولهذا تجد بعض العلماء الذين عندهم اشتغال كثير في فقه الواقع وانشغال عن فقه الدين لو سألتهم عن أدنى مسألة في دين الله - عز وجل - لوقفوا حيارى أو تكلموا بلا علم ، يتخبطون تخبطاً عشوائياً ، والتقليل من شأن العلماء الراسخين في العلم المعروفين بالإيمان والعلم الراسخ جناية ، ليس على هؤلاء العلماء بأشخاصهم ، بل على ما يحملونه من شريعة الله تعالى ، ومن المعلوم أنه إذا قلَّت هيبة العلماء وقلَّت قيمتهم في المجتمع فسوف يقل بالتبع الأخذ عنهم ، وحينئذ تضيع الشريعة التي يحملونها أو بعضها ، ويكون في هذا جناية عظيمة على الإسلام وعلى المسلمين أيضاً .

والذي أرى أنه ينبغي أن يكون عند الإنسان اجتهاد بالغ ، ويصرف أكبر همه في الفقه في دين الله - عز وجل - حتى يكون ممن أراد الله بهم خيراً ، وألا ينسى نفسه من فقه الواقع ، وأن يعرف ما حوله من الأمور التي يعملها أعداء الإسلام للإسلام .

ومع ذلك أكرر أنه لا ينبغي للإنسان أن يصرف جل همه ووقته للبحث عن الواقع بل أهم شيء أن يفقه في دين الله - عز وجل - وأن يفقه من الواقع ما يحتاج إلى معرفته فقط وكما أشرت سابقاً في أول الجواب - أن من فقهاء الواقع من أخطأوا في ظنهم وتقديراتهم وصار المستقبل على خلاف ما ظنوا تماماً .

لكن هم يقدرون ثم يبنون الأحكام على ما يقدرونه فيحصل بذلك الخطأ ، وأنا أكرر أنه لابد أن يكون الفقيه بدين الله عنده شيء من فقه أحوال الناس وواقعهم حتى يمكن أن يطبق الأحكام الشرعية على مقتضى ما فهم من أحوال الناس ، ولهذا ذكر العلماء في باب القضاء: أن من صفات القاضي أن يكون عارفاً بأحوال الناس ومصطلحاتهم في كلامهم وأفعالهم .

****

١١٧ - **وسئل فضيلة الشيخ - أعلى الله درجته في المهديين -: نحن طلبة نتلقى العلم ، وندرس العقيدة على معلمين يدرسونا العقيدة الأشعرية ، ويفسرون يد الله تعالى بقدرته أو نعمته واستواءه على عرشه بالاستيلاء عليه ونحو**

ذلك ، فما حكم الدراسة على هؤلاء المعلمين .

فأجاب فضيلته بقوله: هؤلاء الذين يفسرون القرآن بهذا التفسير سواء سميناهم أشعرية أو غير هذا الاسم ، لا شك أنهم أخطئوا طريقة السلف الصالح . فإن السلف الصالح لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه هؤلاء المتأولون ، فليأتوا بحرف واحد عن رسول الله ﷺ أو عن أبي بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو علي ، أنهم أولوا اليد بالقدرة أو بالقوة أو أولوا الاستواء بالاستيلاء ، أو أولوا الوجه بالثواب ، أو أولوا المحبة بالثواب أو بغير الثواب ، ليأتوا بحرف واحد عن هؤلاء أنهم فسروا هذه الآيات وأمثالها بما فسرَّ به هؤلاء ، فإذا لم يأتوا فيقال: إما أن يكون السلف الصالح وعلى رأسهم رسول الله ﷺ وهو إمام المتقين عليه الصلاة والسلام إما أن يكونوا على جهل بمعاني هذه العقيدة العظيمة ، وإما أن يكونوا على علم ، ولكن كتموا الحق وكلا الأمرين لا يمكن أن يوصف به رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه الراشدين ولا من صحابته المرضيين ، فإذا كان ذلك لا يمكن في هؤلاء وجب أن نسير على هديهم .

وأن نصيحتي لهؤلاء أن يتقوا الله عز وجل ، وأن يدعوا قول فلان وفلان وأن يرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وأن يعلموا أن لهم مرجعاً يرجعون إلى الله تعالى فيه ، ولا يمكن أن يكون لهم حجة فيما قال فلان وفلان ، والله إنهم لن يغنوا عنهم من الله شيئاً ، إن الله تعالى يقول: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص: ٦٥) ولم يقل: ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم فلان وفلان وإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العظيم: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٨) . فأمر بالإيمان به واتباعه وإذا كان كذلك فهل يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً بالله ورسوله تمام الإيمان ثم يعدل عن سنة رسوله ﷺ في عقيدته بربه ويحرف ما وصف الله به نفسه في كتاب أو وصفه به رسول الله ﷺ لمجرد وهميات يدعونها عقليات .

إنني أنصحهم أن يرجعوا إلى الله - عز وجل - وأن يدعوا كل قول ، لقول الله ورسوله فإنهم إن ماتوا على ذلك ماتوا على خير وحق وإن خالفوا ذلك فهم على خطر عظيم ، ولن يغنوا عنهم من الله شيئاً ، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ

عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (النحل: ١١١) .

أكرر النصيحة لكل مؤمن أن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فيما يعتقده بربه ومعبوده - جل وعلا - وفيما يعتقده في الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، وفيما كان عليه أئمة المسلمين الذين قادوا الناس بسنة رسول الله ﷺ ، دون التحكم إلى العقول التي هي وهميات في الحقيقة فيما يتعلق بالله تعالى وأسمائه وصفاته . ولقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية حق الإجادة في قوله عن أهل الكلام: (إنهم أوتوا فهوماً ولم يؤتوا علوماً ، وأتوا ذكاء ولم يؤتوا زكاء) ، فعلى الإنسان أن يوسع مداركه في العلوم المبنية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن يزكي نفسه باتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . أسأل الله تعالى أن يتوفانا جميعاً على الإيمان ، وأن نلقاه وهو راضٍ عنا إنه على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وإني أدعوكم يا طلبة العلم أن تدعوا إخوانكم إلى ما سمعتم ، فإن والله هو الحق ، ومن اطلع على حق سواه فإننا له قابلون وبه مستمسكون . أملاه محمد الصالح العثيمين .

* * * * * * * * * * * *

١١٨ - **وسئل فضيلة الشيخ - جزاه الله خيراً - : كثيراً ما يشاع بأن الفتوى تتغير بتغير الزمان أو المكان ، مثل: المذياع في أول ظهوره حرمه البعض ، فنرجو من سماحتكم بيان الحق في هذه المسألة؟ والله يحفظكم ويرعاكم .**

فأجاب فضيلته بقوله: الفتوى في الحقيقة لا تتغير بتغير الزمان ، ولا بتغير المكان ، ولا بتغير الأشخاص .

ولكن الحكم الشرعي إذا عُلِّق بعلة فإنه إذا وجدت فيه العلة ثبت الحكم الشرعي ، وإذا لم توجد لم يثبت الحكم الشرعي ، وقد يرى المفتي أن يمنع الناس من شيء أحله الله لهم لما يترتب على فعل الناس له من المحرم كما فعل عمر - رضي الله عنه - في الطلاق الثلاث حين رأى الناس تتايعوا فيها فألزمهم بها ، وكان الطلاق الثلاث في عهد النبي ﷺ

وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فلما رأى عمر الناس تتايعوا في هذا ألزمهم بالثلاث ومنعهم من الرجوع إلى زوجاتهم .

وكذلك ما حصل في عقوبة شارب الخمر كانت العقوبة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر لا تزيد على أربعين جلدة ، ثم إن الناس كثر شربهم الخمر فاستشار عمر الصحابة - رضي الله عنهم - فأشاروا بأن يجعل العقوبة ثمانين جلدة .

فالأحكام الشرعية لا يمكن أن يتلاعب بها الناس كلما شاءوا حرَّموا وكلما شاءوا أوجبوا ، وإنما يرجع إلى العلل الشرعية التي تقتضي الوجوب أو عدمه وأما بالنسبة للمذياع : فلم يقل أحد بتحريمه من علماء التحقيق ، وإنما قال بتحريمه أناس جهلوا حقيقة الأمر ، وإلا فإن العلماء المحققين ، وأخص منهم شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - لم يروا أن هذا من المحرمات بل رأوا أن هذا من الأشياء التي علّمها الله - عز وجل - الخلق ، وقد تكون نافعة ، وقد تكون ضارة بحسب ما فيها ، وكذلك مكبر الصوت - المكرفون - أيضاً أنكره بعض الناس أول ما ظهر لكن بدون تحقيق ، وأما المحققون فلم ينكروه ، بل رأوا أنه من نعمة الله عز وجل - أن يسر لهم ما يوصلوا خطبهم ومواعظهم إلى البعيدين .

****

١١٩ - **وسئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - : ما نصيحتكم لطلبة العلم حول دعوة الناس وتعليمهم العلم الشرعي ؛ لأنه قد يوجد من بعضهم - هداهم الله تعالى - شيء من الغلظة والشدة في التعامل ، نرجو التوجيه والإرشاد ، سدد الله خطاكم ووفقكم لما يحبه ويرضاه؟**

فأجاب فضيلته بقوله: الذي تدل عليه السنة المطهرة ، سنة النبي ﷺ أن الواجب على الإنسان أن يدعوا إلى الله تعالى بالحكمة وباللين وبالتيسير فقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل الآية: ١٢٥) وقال الله تعالى له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وقال الله تعالى حين أرسل موسى وهارون إلى فرعون: ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ (طه: ٤٤).

وأخبر النبي ﷺ: «**أن الله يعطي بالرفق ما لا يُعطى بالعنف**» [١]. وكان يقول إذا بعث بعثاً: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» [٢].

وهكذا ينبغي على الداعية أن يكون ليناً طليق الوجه منشرح الصدر حتى يكون ذلك أدعى لقبول صاحبه الذي يدعوه إلى الله.

ويجب أن تكون دعوته إلى الله - عز وجل - لا إلى نفسه، ليحب الانتصار أو الانتقام ممن خالف السبيل؛ لأنه إذا دعا إلى الله وحده صار بذلك مخلصاً ويسر الله له الأمر وهدى على يديه من شاء من عباده، لكن إذا كان يدعو لنفسه كأنه يريد أن ينتصر لها، وكأنه يشعر بأن هذا عدو له يريد أن ينتقم منه، فإن الدعوة ستكون ناقصة وربما تنزع بركتها.

فنصيحتي لإخواني طلبة العلم أن يشعروا هذا الشعور، أي أنهم يدعون الخلق رحمة بالخلق وتعظيماً لدين الله - عز وجل - ونصرة له.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وهدانا إلى صراطه المستقيم.

* * * * * * * * * * * *

---

(١) رواه مسلم في "البر والصلة" (٦٤٧٨) باب فضل الرفق. عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) هذا الحديث مركب من حديثين. فقوله ﷺ ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)) رواه البخاري في "العلم" (٦٩) باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة. ومسلم في "الجهاد" (٤٤٤٧) باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير. وأما قوله ﷺ ((إنما بعثتم ميسرين ..... إلخ)) فقد رواه أحمد (٢ / ٢٣٩) والترمذي في "الطهارة" (١٤٧) باب ما جاء في البول يصيب الأرض. وسنده صحيح.

رسالـــة

من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

جواباً لكتابكم ذي الرقم . . . والتاريخ ٢٤ - ١٤٠٩/٩/٢٥هـ .

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وأسأل الله تعالى أن يحبك كما أحببتني فيه وأن يجعلنا جميعاً من دعاة الحق وأنصاره ، ويوفقنا للصواب في الاعتقاد والقول والعمل .

ثم إن كتابكم المذكور تضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إذا تبين لكم رجحان قول كنتم تفتون أو تحكمون بخلافه فهل يجوز لكم الرجوع فيما أفتيتم به أو حكمتم؟ .

المسألة الثانية: إذا تبين لكم رجحان قول كنتم تفتون أو تحكمون بخلافه فهل يجوز لكم مستقبلاً أن تفتوا أو تحكموا بما تبين لكم رجحانه؟ .

المسألة الثالثة: هل يجوز للإنسان في مسائل الخلاف أن يفتي لشخص بأحد القولين ولشخص آخر بالقول الثاني؟ .

والجواب على هذه المسائل العظيمة بعون الله وتوفيقه أن نقول مستمدين من الله تعالى الهداية والصواب .

أما المسألة الأولى:

فمتى تبين للإنسان ضعف ما كان عليه من الرأي وأن الصواب في غيره وجب عليه الرجوع عن رأيه الأول إلى ما يراه صواباً بمقتضى الدليل الصحيح ، وقد دل على وجوب الرجوع كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وقول الخلفاء الراشدين وإجماع المسلمين وعمل الأئمة .

أما كتاب الله تعالى: فمن أدلته قوله تعالى: ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ (الشورى: ١٠) فمتى كان الحكم في

مسائل الخلاف إلى الله وجب الرجوع فيها إلى ما دل عليه كتاب الله . وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: من الآية٥٩) وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء: ١١٥) .

ومن سبيل المؤمنين الرجوع إلى ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وأما السنة: فمن أدلتها قوله ﷺ: «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي**»[1] . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وأما أقوال الخلفاء الراشدين: فمن أشهرها قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في المشتركة وهي زوج وأم وإخوة لأم وإخوة أشقاء حيث منع الإخوة الأشقاء من الميراث لكونهم عصبة ، وقد استغرقت الفروض التركة ثم قضى بعد ذلك بتشريكهم مع الإخوة لأم ، فقال له رجل: قد قضيت في هذا عام الأول بغير هذا ، فقال: وكيف قضيت؟ قال: جعلته للإخوة للأم ولم تجعل للإخوة من الأب والأم شيئاً ، قال عمر: ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضي . أخرجه ابن أبي شيبة١١/ ٢٥٣ ، وقال - رضي الله عنه - في كتابه لأبي موسى في القضاء: لا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل .

وأما الإجماع: فقال الشافعي - رحمه الله -: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس .

وأما عمل الأئمة: فها هو الإمام أحمد يقول القول ويقول بخلافه ، فتارة يصرح بالرجوع كما صرح بالرجوع عن القول بوقوع طلاق السكران ، وتارة يصرح أصحابه برجوعه عنه كما صرح الخلال برجوع الإمام عن قوله فيمن ابتدأ مسح خفيه مقيماً ثم

---

(١) سبق تخريجه .

سافر أنه يتم مسح مقيم إلى القول بأن يتم مسح مسافر ، وتارة لا يصرح ولا يصرح عنه برجوع فيكون له في المسألة قولان .

والمهم أنه متى تبين للإنسان ضعف رأيه الأول وجب عليه الرجوع عنه ولكن يسوغ له نقض حكمه الأول ولا يلزمه إخبار المستفتي بالرجوع ؛ لأن كلا من الرأيين الأول والثاني صادر عن اجتهاد ، والاجتهاد لا ينقض بمثله وظهور خطأ اجتهاده الأول لا يمنع احتمال خطئه في الثاني ، فقد يكون الاجتهاد الأول هو الصواب في الواقع ، وإن ظهر له خلافه ؛ لأن الإنسان غير معصوم في اجتهاده لا الثاني ولا الأول .

وأما المسألة الثانية :

فجوابها يعلم من جواب المسألة الأولى وهو أنه يجب على الإنسان الرجوع إلى ما تبين له أنه الصواب ، وإن كان يفتي أو يحكم بخلافه سابقاً .

وأما المسألة الثالثة :

فإن كان في المسألة نص ، كان الناس فيها سواء ، ولا يفرق فيها بين شخص وآخر ، وأما المسائل الاجتهادية فإنها مبنية على الاجتهاد ، وإن كان الاجتهاد فيها في الحكم كذلك في محله ، ولهذا لما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن الناس كثر شربهم الخمر زادهم في عقوبتها ولما رآهم تتابعوا في الطلاق الثلاث أمضاه عليهم ، ولهذا ما يؤيده من كلام الله تعالى وما جاءت به السنة ففي كتاب الله تعالى يقول جل ذكره : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (الأنعام : ١٤٦) فعاملهم الله بما تقتضيه حالهم وحرم عليهم هذه الطيبات ببغيهم وظلمهم : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ (النساء : ١٦٠) . وفي السنة جاء قتل شارب الخمر في الرابعة إذا تكررت عقوبته ثلاثاً ولم يقلع ، مع أن عقوبة شارب الخمر في الأصل لا تبلغ القتل .

فإذا كانت حال المستفتي أو المحكوم عليه تقتضي أن يعامل معاملة خاصة عومل

بمقتضاه ما لم يخالف النص .

وكذلك إذا كان الأمر قد وقع وكان في إفتائه بأحد القولين مشقة وأفتى بالقول الثاني فلا حرج مثل أن يطوف في الحج أو العمرة بغير وضوء ويشق عليه إعادة الطواف لكونه نزح عن مكة أو لغير ذلك فيفتي بصحة الطواف بناء على القول بعدم اشتراط الوضوء فيه . وكان شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - يفعل ذلك أحياناً ويقول لي : هناك فرق بين من فعل ومن سيفعل وبين ما وقع وما لم يقع .

وفي مقدمات (المجموع) للنووي - رحمه الله - ١/٨٨ ط المكتبة العالمية : قال الصيمري : إذا رأى المفتي المصلحة أن يفتي العامل بما فيه تغليظ وهو مما لا يعتقد ظاهره وله فيه تأويل جاز ذلك زجراً له كما روى عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه سئل عن توبة القاتل فقال : لا توبة له ، وسأله آخر فقال : له توبة ، ثم قال : أما الأول فرأيت في عينه إرادة القتل فمنعته ، وأما الثاني فجاء مستكيناً قد قتل فلم أقنطه .

وهذا الذي ذكرناه لا يكون مطرداً في كل صورة فلو أراد قاض أو مفت أن يأخذ في ميراث الإخوة مع الجد بقول من يرى توريثهم إذا رأى أنهم فقراء وأن التركة كثيرة وبقول من لا يرى توريثهم إذا كان المال قليلاً وهم أغنياء لم يكن ذلك سائغاً ؛ لأن في هذا إسقاط لحق الغير لمصلحة الآخرين بلا موجب شرعي .

هذا والله أسال أن يلهمنا جميعاً الصواب في القول والعمل والاعتقاد .

* * * * * * * * * * * *

الفصل الثالث

فوائد متنوعة في العلم

الفائدة الأولى

لابد لطالب العلم من مراعاة عدة أمور عند طلبه لأي علم من العلوم:

أولاً: حفظ متن مختصر فيه .

فإذا كنت تطلب النحو ، فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن الآجرومية ؛ لأنه واضح وجامع وحاصر وفيه بركة ، ثم متن ألفية ابن مالك ؛ لأنها خلاصة علم النحو كما قال هو نفسه:

أحصى من الكفاية الخلاصة ::: كما اقتضى غنى بلا خصاصة

وأما في الفقه: فمتن زاد المستنقع ، لأنه كتاب مخدوم بالشروح والحواشي والتدريس ، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه ، لكن هو أحسن من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه ، ومن حيث إنه مخدوم .

وأما في الحديث: فمتن عمدة الأحكام ، وإن ترقيت فبلوغ المرام ، وإن كنت تقول إما هذا أو هذا ، فبلوغ المرام أحسن ؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث ، ولأن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بين درجة الحديث .

وأما في التوحيد: فمن أحسن ما قرأنا متن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، وأما في توحيد الأسماء والصفات فمن أحسن ما قرأت العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فهو كتاب جامع مبارك مفيد ، وهلمَّ جرًّا ، خذ من كل فن تطلبه متناً مختصراً فيه واحفظه .

ثانياً: ضبطه وشرحه على شيخ متقن وتحقيق ألفاظه وما كان زائداً أو ناقصاً .

ثالثاً: عدم الاشتغال بالمطولات ، وهذه الفقرة مهمة لطالب العلم ، فلابد لطالب العلم أن يتقن المختصرات أولاً حتى ترسخ العلوم في ذهنه ثم يُفيض إلى المطولات ، لكن بعض الطلبة قد يغرب فيطالع المطولات ثم إذا جلس مجلساً قال: قال صاحب المغني ، قال صاحب المجموع ، قال صاحب الإنصاف ، قال صاحب

الحاوي ، ليظهر أنه واسع الاطلاع ، وهذا خطأ نحن نقول: ابدأ بالمختصرات حتى ترسخ العلوم في ذهنك ، ثم إذا منَّ الله عليك ، فاشتغل بالمطولات ، وقياس ذلك بالأمر المحسوس أن ينزل مَنْ لم يتعلم السباحة إلى بحر عميق فإنه لا يستطيع أن يتخلص فضلاً عن أن يتقن .

رابعاً: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب فهذا من باب الضجر ، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه وتضيع عليه أوقاته ، فإذا كان كل يوم له كتاب يقرأ فيه ، فهذا خطأ في منهج طالب العلم ، فإذا قررت كتاباً من كتب العلم فاستمر فيه ، ولا تقول أقرأ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب ثم أنتقل للآخر ، فإن هذا مضيعة للوقت .

خامساً: اقتناص الفوائد والضوابط العلمية ، فهناك فوائد التي لا تكاد تطرأ على الذهن ، أو يندر ذكرها والتعرض لها ، أو تكون مستجدة تحتاج إلى بيان الحكم فيها ، فهذه اقتنصها ، وقيدها بالكتابة ، ولا تقول هذه معلومة عندي ، ولا حاجة أن أقيدها ، لأنها سرعان ما تُنسى ، وكم من فائدة تمر بالإنسان فيقول هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد ، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها .

لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها أو يتجدد وقوعها ، ومن أحسن ما ألف في هذا الموضوع كتاب العلامة ابن القيم - رحمه الله - "بدائع الفوائد" فقد جمع فيه من بدائع العلوم ، ما لا تكاد تجده في كتاب آخر ، فهو جامع في كل فن ، كلما طرأ على باله مسألة أو سمع فائدة قيدها ، ولهذا تجد فيه من علم العقائد ، والفقه ، والحديث ، والتفسير ، والنحو ، والبلاغة وغيرها .

وأيضاً احرص على الاهتمام بالضوابط .

ومن الضوابط: ما يذكره العلماء تعليلاً للأحكام ، فإن كل التعليلات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط ؛ لأنها تبنى عليها الأحكام ، فهذه احتفظ بها ، وسمعت أن بعض الإخوان يتتبع هذا الضوابط في الروض المربع ويحررها ، وقلت من الأحسن أن يقوم بهذه طائفة ، تتبع الروض المربع من أوله إلى آخره كلما ذكر علة تُقيد ، لأن كل علة يبنى عليها مسائل كثيرة ، إذ أن العلم له ضابط ، فكل ضابط يدخل تحته جزئيات كثيرة .

فمثلاً إذا شك في طهارة ماء أو بنجاسته فإنه يبني على اليقين ، فهذه العلة تعتبر حكماً وتعتبر ضابطاً .

أيضاً يعلل بأن الأصل بقاء ما كان على ما كان ، فإذا شك في نجاسة طاهر فهو طاهر ، أو في طهارة نجس فهو نجس ؛ لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان .

فإذا حرص طالب العلم ودوّن كلما مر عليه من هذه التعليلات وحررها وضبطها ثم حاول في المستقبل أن يبني عليها مسائل جزئية لكان في هذا فائدة كبيرة له ولغيره .

سادساً: جمع النفس للطلب ، فلا يشتتها يميناً ويساراً ، اجمع النفس على الطلب مادمت مقتنعاً بأن هذا منهجك وسبيلك ، وأيضاً اجمع نفسك على الترقي فيه لا تبقى ساكناً . فكّر فيما وصل إليه علمك من المسائل والدلائل حتى تترقى شيئاً فشيئاً ، واستعن بمن تثق به من زملائك وإخوانك فيما إذا احتاجت المسألة إلى استعانة ، ولا تستحي أن تقول يا فلان ساعدني على تحقيق هذه المسألة بمراجعة الكتب ، الحياء لا ينال العلم به أحد ، فلا ينال العلم مستحيي ولا مستكبر .

* * * * * * * * * * * *

الفائدة الثانية

مما ينبغي لطالب العلم مراعاته تلقي العلم عن الأشياخ ؛ لأنه يستفيد بذلك فوائد عدة :

١ - اختصار الطريق ، فبدلاً من أن يذهب يقلب في بطون الكتب وينظر ما هو القول الراجح وما سبب رجحانه ، وما هو القول الضعيف وما سبب ضعفه ، بدلاً من ذلك كله ، يمد إليه المعلم ذلك بطريق سهل ويعرض له خلاف أهل العلم في المسائل على قولين أو ثلاثة مع بيان الراجح ، والدليل كذا ، وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم .

٢ - السرعة في الإدراك ، فطالب العلم إذا كان يقرأ على عالم فإنه يدرك بسرعة أكثر مما لو ذهب يقرأ في الكتب ؛ لأنه إذا قرأ في الكتب تمر عليه العبارات المشكلة

والغامضة فيحتاج إلى التدبر وتكرار العبارة مما يأخذ منه الوقت والجهد ، وربما فهمها على وجه خطأ وعمل بها .

٣ - الربط بين طلاب العلم والعلماء الربانيين ، لذلك القراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه .

* * * * * * * * * * * *

الفائدة الثالثة

إذا دعت الحاجة للسؤال فليحسن طالب العلم السؤال ، أما إذا لم تدع الحاجة فلا يسأل ، لأنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو أو ظن أن غيره يحتاج إلى السؤال ، فقد يكون مثلاً في درس ، وهو فاهم الدرس ولكن فيه مسائل صعبة تحتاج إلى بيانها لبقية الطلبة فليسأل من أجل حاجة غيره ، والسائل لحاجة غيره كالمعلم ، لأن النبي ﷺ لما جاءه جبريل وسأله عن الإيمان ، والإحسان ، والإسلام ، والساعة وأشراطها ، قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» [1] ، فإذا كان الباعث على السؤال حاجة السائل فسؤاله وجيه ، أو حاجة غيره وسأل ليعلم غيره فهذا أيضاً وجيه وطيب ، أما إذا سأل ليقول الناس: ما شاء الله فلان عنده حرص على العلم ، كثير السؤال ، فهذا غلط ، وعلى العكس من ذلك من يقول: لا أسأل حياءً ، فالثاني مُفْرِط ، وخير الأمور الوسط .

كذلك ينبغي أن يكون عند طالب العلم حسن الاستماع لجواب العالم ، وصحة الفهم للجواب ، فبعض الطلبة إذا سأل وأجيب تجده يستحي أن يقول ما فهمت .

والذي ينبغي لطالب العلم إذا لم يفهم أن يقول ما فهمت لكن بأدب وتوقير للعالم .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) رواه مسلم في "الإيمان" (٩٣) باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الفائدة الرابعة

الحفظ ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: غريزي: يهبه الله تعالى لمن يشاء ، فتجد الإنسان تمر عليه المسألة والبحث فيحفظه ولا ينساه .

والقسم الثاني: كسبي: بمعنى أن يمرن الإنسان نفسه على الحفظ ، ويتذكر ما حفظ فإذا عود نفسه تذكر ما حفظ سهل عليه حفظه .

* * * * * * * * * * * *

الفائدة الخامسة

المجادلة والمناظرة نوعان:

النوع الأول: مجادلة مماراة: يماري بذلك السفهاء ويجاري العلماء ويريد أن ينتصر قوله فهذه مذمومة .

النوع الثاني: مجادلة لإثبات الحق وإن كان عليه فهذه محمودة مأمور بها ، وعلامة ذلك - أي المجادلة الحقة - أن الإنسان إذا بان له الحق اقتنع وأعلن الرجوع ، أما المجادل الذي يريد الانتصار لنفسه فتجده لو بان أن الحق مع خصمه ، يورد إيرادات يقول: لو قال قائل ، ثم إذا أجيب قال: لو قال قائل ، ثم إذا أجيب قال: لو قال قائل ، ثم تكون سلسلة لا منتهى له ، ومثل هذا عليه خطر ألا يقبل قلبه الحق ، لا بالنسبة للمجادلة مع الآخر ولكن في خلوته ، وربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات فيبقى في شك وحيرة ، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٠) وقال الله تعالى ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة من الآية: ٤٩) . فعليك يا أخي بقبول الحق سواء مع مجادلة غيرك أو مع نفسك ، فمتى تبين لك الحق فقل: سمعنا وأطعنا ، وآمنا وصدقنا .

ولهذا تجد الصحابة يقبلون ما حكم به الرسول عليه الصلاة والسلام أو ما أخبر به دون أن يوردوا عليه الاعتراضات .

فالحاصل أن المجادلة إذا كان المقصود بها إثبات الحق وإبطال الباطل فهي خير ، وتعودها وتعلمها خير لا سيما في وقتنا هذا ، فإنه كثُرَفيه الجدال والمراء ، حتى أن الشيء يكون ثابتاً وظاهراً في القرآن والسنة ثم يورد عليه إشكالات .

وهنا مسألة : وهي أن بعض الناس يتحرج من المجادلة حتى وإن كانت حقاً استدلالاً بحديث : «**وأنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً**»[1] فيترك هذا الفعل .

فالجواب : من ترك المراء في دين الله فليس بمحق إطلاقاً ؛ لأن هذا هزيمة للحق ، لكن قد يكون محقًّا إذا كان تخاصمه هو وصاحبه في شيء ليس له علاقة بالدين أصلاً ، قال : رأيت فلاناً في السوق ، ويقول الآخر : بل رأيته في المسجد ، ويحصل بينهما جدال وخصام فهذه هي المجادلة المذكورة في الحديث ، أما من ترك المجادلة في نصرة الحق فليس بمحق إطلاقاً فلا يدخل في الحديث .

* * * * * * * * * * *

الفائدة السادسة

من الأمور التي ينبغي لطالب العلم أن يهتم بها المذاكرة ، والمذاكرة نوعان :

النوع الأول : مذاكرة مع النفس ، بأن تجلس مثلاً جلسة وحدك ثم تعرض مسألة من المسائل أو مسألة قد مرت عليك ، ثم تأخذ في محاولة عرض الأقوال وترجيح ما قيل في هذه المسألة بعضها على بعض ، وهذه سهلة على طالب العلم ، وتساعد على مسألة المناظرة السابقة .

النوع الثاني : مذاكرة مع الغير ، بأن يختار من إخوانه الطلبة من يكون عوناً له على طلب العلم ، مفيداً له ، فيجلس معه ويتذاكران ، يقرأ مثلاً ما حفظاه ، كل واحد يقرأ على الآخر قليلاً ، أو يتذاكران في مسألة من المسائل بالمراجعة أو بالمفاهمة إن قدرا على ذلك فإن هذا مما ينمي العلم ويزيده ، لكن إياك والشغب والصلف ؛ لأن هذا لا يفيد .

* * * * * * * * * * *

---

(١) حسن . رواه أبو داود في "الأدب" (٤٨٠٠) باب في حسن الخلق ، عن أبي أمامة رضي الله عنه .

الفائدة السابعة

كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق:

وهذه يبتلي بها بعض الناس فيزكي نفسه ، ويرى أن ما قاله هو الصواب وأن غيره إذا خالفه فهو مخطئ وما أشبه ذلك ، كذلك حب المدح تجده يسأل عما يقال عنه فإذا وجد أنهم مدحوه انتفخ وزاد انتفاخه حتى يعجز جلده عن تحمل بدنه ، كذلك التكبر على الخلق ، بعض الناس - والعياذ بالله - إذا آتاه الله علماً تكبر ، الغني بالمال ربما يتكبر ولهذا جعل النبي ﷺ: «**العائل المستكبر من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم**» [1] ، لأنه ليس عنده مال يوجب الكبرياء ، لكن العالم لا ينبغي أن يكون كالغني كلما ازداد علماً ازداد تكبراً ، بل ينبغي العكس كلما ازداد علماً ازداد تواضعاً ؛ لأن من العلوم التي يقرأها أخلاق النبي ﷺ ، وأخلاقه كلها تواضع للحق وتواضع للخلق ، لكن على كل حال إذا تعارض التواضع للحق مع التواضع للخلق أيهما يقدم؟

يقدم التواضع للحق ، فمثلاً لو كان هناك إنسان يسب الحق ويفرح بمعاداة من يعمل به ، فهنا لا تتواضع له ، تواضع للحق ، وجادل هذا الرجل حتى وإن أهانك أو تكلم فيك فلا تهتم به ، فلابد من نصرة الحق .

* * * * * * * * * * * *

الفائدة الثامنة

زكاة العلم تكون بأمور:

الأمر الأول: نشر العلم: نشر العلم من زكاته ، فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله ، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه ، وصدقة العلم أبقى دوماً وأقل كلفة ومؤنة ، أبقى دوماً ؛ لأنه ربما كلمة من عالم تُسمع ينتفع بها أجيال من الناس ومازلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء

---

(١) رواه مسلم في "الإيمان" (١٠٧) .

الذين كانوا في عهده ، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم ومعهم زكاة وأي زكاة ، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده كما قيل:

يزيده بكثـــرة الإنفـــاق منـــه ::: وينقـــص إن بـــه كفـًا شـــددت

الأمر الثاني: العمل به: لأنه العمل به دعوة إليه بلا شك ، وكثير من الناس يتأسون بالعالم ، بأخلاقه وأعماله أكثر مما يتأسون بأقواله ، وهذا لا شك زكاة .

الأمر الثالث: الصدع بالحق: وهذا من جملة نشر العلم ولكن النشر قد يكون في حال السلامة وحال الأمن على النفس وقد يكون في حال الخوف على النفس ، فيكون صدَّعاً بالحق .

الأمر الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لا شك أن هذا من زكاة العلم ، لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عارف للمعروف وعارف للمنكر ثم قائم بما يجب عليه من هذه المعرفة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

****

الفائدة التاسعة

موقف طالب العلم من وَهْمِ وخطأ العلماء:

هذا الموقف له جهتان:

الأولى: تصحيح الخطأ: وهذا أمر واجب ، يجب على من عثر على وهم إنسان ولو كان من أكبر العلماء أن ينبه على هذا الوهم وعلى هذا الخطأ لأن بيان الحق أمر واجب وبالسكوت يمكن أن يضيع الحق لاحترام من قال بالباطل ؛ لأن احترام الحق أولى بالمراعاة .

لكن هل يصرح بقائل الوهم أو الخطأ؟ أو يقول توهم بعض الناس فقال كذا وكذا؟

الجواب: ينظر لما تقتضيه المصلحة ، قد يكون من المصلحة ألا يصرح ، كما لو كان يتكلم عن عالم مشهور في عصره موثوق عند الناس ، محبوب إليهم ، يقول: قال

فلان: كذا ، وكذا وهذا خطأ فإن العامة لا يقبلون كلامه بل يسخرون منه ولا يقبلون الحق ، ففي هذه الحالة ينبغي أن يقول: من الخطأ أن يقول القائل كذا وكذا ، ولا يذكر اسمه ، وقد يكون هذا الرجل الذي توهم متبوعاً ، يتبعه شرذمة من الناس وليس له قدر في المجتمع فحينئذ يصرح لئلا يغتر الناس به ، فيقول: قال فلان كذا وكذا وهو خطأ .

الثانية: أن يقصد بذلك بيان معايبه لا بيان الحق من الباطل ، وهذه تقع من إنسان حاسد - والعياذ بالله - يتمنى أن يجد قولاً ضعيفاً أو خطأ لشخصٍ ما فينشره بين الناس ، ولهذا نجد أهل البدع يتكلمون في شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وينظرون إلى أقرب شيء يمكن أن يقدح به فينشرونه ويعيبونه ، مثلاً يقولون خالف الإجماع في أن الطلاق الثلاث واحدة فيقولون هذا شاذ ، ومن شذ في النار ، وأمثال هذا كثير .

المهم أن يكون قصدك من البيان إظهار الحق ومن كان قصده الحق وُفق لقبوله ، أما من كان قصده أن يظهر عيوب الناس فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته ، فإذا عثرت على وهم عالم ، حاول أن تدفع اللوم عنه وأن تذب عنه ، لا سيما إذا كان من العلماء المشهود لهم بالعدالة والخير ونصح الأمة .

* * * * * * * * * * * *

الفائدة العاشرة

في المقصود ببركة العلم:

قبل بيان المقصود بالبركة في العلم لابد أن نعرف البركة فهي كما يقول العلماء: "الخير الكثير الثابت" ويعيدون ذلك إلى اشتقاق هذه الكلمة فإنها من البركة وهي مجمع الماء ، والبركة التي هي مجمع الماء مكان واسع ، ماؤه كثير ثابت ، فالبركة هي الخيرات الكثيرة الثابتة ، من كل شيء من المال والولد ومن العلم؟ وكل شيء أعطاه الله - عز وجل - لك تسأل الله سبحانه البركة فيه ؛ لأن الله - عز وجل - إذا لم يبارك لك فيما أعطاك حرمت خيراً كثيراً .

ما أكثر الناس الذين عندهم المال الكثير وهم في عداد الفقراء لماذا؟ لأنهم لا ينتفعون بما لهم ، تجد عندهم من الأموال ما لا يحصى ، لكن يقصر على أهله في النفقة ، وعلى نفسه ولا ينتفع بماله ، والغالب أن من كانت هذه حاله وبخل بما يجب عليه ، أن يسلط الله على أمواله آفات تذهبها ، كثير من الناس عنده أولاد لكن أولاده لم ينفعوه ، عندهم عقوق واستكبار على الأب ، حتى أنه - أي الولد - يجلس إلى صديقه الساعات الطويلة يتحدث إليه ويأنس به ويفضي إليه أسراره - لكنه إذا جلس عند أبيه ، فإذا هو كالطير المحبوس في القفص - والعياذ بالله - لا يأنس بأبيه ، ولا يتحدث إليه ، ولا يفضي إليه بشيء من أسراره ، ويستثقل حتى رؤية والده: فهؤلاء لم يبارك لهم في أولادهم .

أما البركة في العلم فتجد بعض الناس قد أعطاه الله علماً كثيراً لكنه بمنزلة الأمي فلا يظهر أثر العلم عليه في عباداته ، ولا في أخلاقه ولا في سلوكه ، ولا في معاملاته مع الناس ، بل قد يكسبه العلم استكباراً على عباد الله وعلوًّا عليهم واحتقاراً لهم ، وما علم هذا أن الذي منَّ عليه بالعلم هو الله ، وإن الله لو شاء لكان مثل هؤلاء الجهال .

تجده قد أعطاه الله علماً ، ولكن لم ينتفع الناس بعلمه . لا بتدريس ولا بتوجيه ، ولا بتأليف ، بل هو منحصر على نفسه ، لم يبارك الله له في العلم ، وهذا بلا شك حرمان عظيم ، مع أن العلم من أبرك ما يعطيه الله العبد ؛ لأن العلم إذا علمته غيرك ، ونشرته بين الأمة ، أجرت على ذلك من عدة وجوه:

أولاً: أن في نشرك العلم نشراً لدين الله - عز وجل - فتكون من المجاهدين ، فالمجاهد في سبيل الله يفتح البلاد بلداً بلداً حتى ينشر فيها الدين ، وأنت تفتح القلوب بالعلم حتى تنشر فيها شريعة الله - عز وجل - .

ثانياً: من بركة نشر العلم وتعليمه ، أن فيه حفظاً لشريعة الله وحماية لها ؛ لأنه لولا العلم لم تحفظ الشريعة ، فالشريعة لا تحفظ إلا برجالها رجال العلم ، ولا يمكن حماية الشريعة إلا برجال العلم ، فإذا نشرت العلم ، وانتفع الناس بعلمك ، حصل في هذا حماية لشريعة الله ، وحفظ لها .

ثالثاً: فيه أنك تُحسن إلى هذا الذي علمته ؛ لأنك تبصره بدين الله - عز وجل - فإذا عبد الله على بصيرة ؛ كان لك من الأجر مثل أجره ؛ لأنك أنت الذي دللته على الخير ، والدال على الخير كفاعل الخير ، فالعلم في نشره خير وبركة لناشره ولمن نُشر إليه .

رابعاً: أن في نشر العلم وتعليمه زيادة له ، علم العالم يزيد إذا علم الناس ؛ لأنه استذكار لما حفظ ، وانفتاح لما لم يحفظ ، وما أكثر ما يستفيد العالم من طلبة العلم ، فطلابه الذين عنده أحياناً يأتون له بمعان ليست له على بال ، ويستفيد منهم وهو يعلمهم ، وهذا شيء مشاهد .

ولهذا ينبغي للمعلم إذا استفاد من الطالب ، وفتح له الطالب شيئاً من أبواب العلم - ينبغي له أن يشجع الطالب ، وأن يشكره على ذلك ، خلافاً لما يظنه بعض الناس أن الطالب إذا فتح عليه ، وبين له شيئاً كان خفيًّا عليه ، تضايق المعلم ، يقول هذا صبي يعلم شيخاً فيتضايق ، ويتحاشى بعد ذلك أن يتناقش معه ، خوفاً من أن يطلعه على أمر قد خفي عليه ، وهذا من قصور علمه بل من قصور عقله .

لأنه إذا منَّ الله عليك بطلبة يذكرونك ما نسيت ويفتحون عليك ما جهلت ، فهذا من نعمة الله عليك ، فهذا من فوائد نشر العلم أنه يزيد إذا علمت العلم كما قال القائل مقارناً بين المال والعلم يقول في العلم:

يزيـــد بكثـــرة الإنفـــاق منــــه ::: وينقــــص إن بـــه كفــــاً شددت

إذا شددت به كفًّا ، وأمسكته نقص ، أي تنساه ، ولكن إذا نشرته يزداد .

وينبغي للإنسان عند نشر العلم أن يكون حكيماً في التعليم ، بحيث يلقي على الطلبة المسائل التي تحتملها عقولهم فلا يأتي إليهم بالمعضلات ، بل يربيهم بالعلم شيئاً فشيئاً .

ولهذا قال بضعهم في تعريف العالم الرباني: العالم الرباني هو: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره .

ونحن نعْلَمُ جميعاً أن البناء ليس يؤتي به جميعاً حتى يوضع على الأرض ،

فيصبح قصراً مشيداً بل يبنى لبنة لبنة ، حتى يكتمل البناء ، فينبغي للمعلم أن يراعي أذهان الطلبة بحيث يلقي إليهم ما يمكن لعقولهم أن تدركه ، ولهذا يؤمر العلماء أن يحدثوا الناس بما يعرفون .

قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: إنك لن تحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

كذلك أيضاً ينبغي للمعلم أن يعتني بالأصول والقواعد ؛ لأن الأصول والقواعد هي التي يبنى عليها العلم .

وقد قال العلماء: من حُرم الأصول حُرم الوصول ، أي لا يصل إلى الغاية إذا حرم الأصول ، فينبغي أن يلقي على الطلبة القواعد والأصول التي تتفرع عليها المسائل الجزئية ؛ لأن الذي يتعلم على المسائل الجزئية لا يستطيع أن يهتدي إذا أتته معضلة فيعرف حكمها ؛ لأنه ليس عنده أصل .

****

رسائل مختارة

الرسالة الأولى

حسن الخلق وأهميته لطالب العلم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه الله تعالى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، بعثه الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيرا ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، ووفق الله من شاء من عباده فاستجاب لدعوته ، واهتدى بهديه ، وخذل الله بحكمته من شاء من عباده فاستكبر عن طاعته ، وكذب خبره ، وعاند أمره ، فباء بالخسران والضلال البعيد .

أيها الأخوة ، يطيب لي أن أتحدث إليكم عن الخلق الحسن ، والخلق كما يقول أهل العلم هو : صورة الإنسان الباطنة ؛ لأن للإنسان صورتين :

صورة ظاهرة ، وهي خلقته التي جعل الله البدن عليه . وكما نعلم جميعاً أن هذه الصورة الظاهرة منها ما هو جميل حسن ، ومنها ما هو قبيح سيئ ، ومنها ما بين ذلك .

وصورة باطنة ، منها صورة حسنة ومنها صورة سيئة ، ومنها ما بين ذلك . وهذا ما يعبر عنه بالخلق .

فالخُلُق إذن هو: "الصورة الباطنة التي طُبعَ الإنسان عليها" ، وكما يكون الخُلُق طبيعة فإنه يكون كسباً . بمعنى أن الإنسان كما يكون مطبوعاً على الخُلُق الحسن الجميل قد يحصل على الخُلُق الحسن الجميل عن طريق الكسب والمرونة ، ولذلك قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس : «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة**» . قال يا رسول الله أهما خُلُقان تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال : «**بل جبلك الله عليهما**» [1] .

---

(١) **صحيح** . رواه أحمد (٤ / ٢٠٥ ، ٢٠٦) وابن أبي عاصم في "السنة" (١٩٠) .

فهذا دليل على أن الأخلاق الفاضلة تكون طبعاً وتكون تطبعاً ، ولكن الطبع بلا شك أحسن من التطبع ؛ لأن الخلق إذا كان طبيعيًّا صار سجية للإنسان وطبيعة له لا يحتاج في ممارسته إلى تكلف ، ولا يحتاج في ممارسته إلى تصنع ، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء . ومن حُرم هذا أي من حرم الخلق على سبيل الطبع فإنه يمكنه أن يناله على سبيل التطبع ، وذلك بالمرونة والممارسة كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وكثير من الناس يذهب فهمه إلى أن حسن الخلق لا يكون إلا في معاملة الخلق ، دون معاملة الخالق . ولكن هذا الفهم قاصر فإن حسن الخلق كما يكون في معاملة الخلق يكون في معاملة الخالق .

فموضوع حسن الخلق إذن معاملة الخالق - جل وعلا - ، ومعاملة الخلق أيضاً .

فما هو حسن الخلق في معاملة الخالق؟

حسن الخلق في معاملة الخالق يجمع ثلاث أمور:

١ - تلقي أخبار الله تعالى بالتصديق .

٢ - وتلقي أحكامه بالتنفيذ والتطبيق .

٣ - وتلقي أقداره بالصبر والرضا .

فهذه ثلاث أشياء عليها مدار حسن الخلق مع الله - عز وجل - .

أولاً : تلقي أخباره بالتصديق :

بحيث لا يقع عند الإنسان شك أو تردد في تصديق خبر الله تعالى ، لأن خبر الله - سبحانه وتعالى - صادر عن علم وهو أصدق القائلين كما قال تعالى عن نفسه : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء ، الآية : ٨٧) .

ولازم تصديق أخبار الله أن يكون الإنسان واثقاً بها مدافعاً عنها مجاهداً بها ، بحيث لا يدخله شك ، أو تشكيك في أخبار الله - سبحانه وتعالى - وأخبار رسوله ﷺ ، وإذا تخلق بهذا الخلق أمكنه أن يدفع كل شبهة يوردها المغرضون على أخبار رسوله ﷺ ، سواء أكانوا من المسلمين الذين ابتدعوا في دين الله ما ليس منه أم كانوا من غير المسلمين

الذين يلقون الشبهة في قلوب المسلمين ، ولنضرب لذلك مثلاً : ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «**إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه ، فإن فى إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء**» [١] .

هذا خبر رسوله الله ﷺ ، وهو ﷺ في أمور الغيب لا ينطق بما أوحى الله إليه ؛ لأنه بشر والبشر لا يعلم الغيب بل قد قال الله له : ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى** ﴾ (الأنعام ، الآية : ٥٠) ، هذا الخبر يجب علينا أن نقابله بحسن الخلق وحسن الخلق نحو هذا الخبر أن نتلقى هذا الخبر بالقبول ، وأن نجزم بأن ما قال النبي ﷺ في هذا الحديث فهو حق وصدق وإن اعترض عليه من يعترض . ونعلم علم اليقين أن ما خالف ما صح عن رسول الله ﷺ فإنه باطل ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ (يونس : ٣٢) .

ومثال آخر :

من أخبار يوم القيامة ، أخبر النبي ﷺ أن الشمس تدنو من الخلائق يوم القيامة بقدر ميل [٢] ، سواء كان ميل المكحلة أو ميل المسافة ، هذه المسافة بين الشمس ورؤوس الخلائق قليلة ، ومع ذلك فإن الناس لا يحترقون بحرّها مع أن الشمس لو تدنو الآن في الدنيا مقدار أنملة لاحترقت الدنيا ، فقد يقول قائل كيف تدنو من رؤوس الخلائق يوم القيامة بهذه المسافة ثم يبقى الناس؟ فما هو حسن الخلق نحو هذا الحديث؟ حسن الخلق نحو هذا الحديث أن نقبله ونصدق به ، وأن لا يكون في صدورنا حرج منه ، ولا ضيق ، ولا تردد ، وأن نعلم أن ما أخبر به الرسول ﷺ في هذا فهو حق ، ولا يمكن أن نقيس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا لوجود الفارق العظيم . فإذا كان كذلك فإن المؤمن يقبل مثل هذا الخبر بانشراح وطمأنينة ويتسع فهمه له .

---

(١) رواه البخارى فى "بدء الخلق " (٣٣٢٠)باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم فى "صفة الجنة والنار " (٧٠٦٦) باب فى صفة يوم القيامة .عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه .

ثانياً: تلقي أحكامه بالتنفيذ والتطبيق:

إن حسن الخلق في معاملة الله بالنسبة للأحكام أن يتلقاها الإنسان بالقبول والتنفيذ والتطبيق فلا يرد شيئاً من أحكام الله ، فإذا ردّ شيئاً من أحكام الله ، فهذا سوء خلق مع الله سواء ردها منكراً حكمها ، أو ردها مستكبراً عن العمل بها ، أو ردها متهاوناً بالعمل بها ، فإن ذلك مناف لحسن الخلق مع الله - عز وجل - .

ولنضرب لذلك مثلاً ، الصوم لا شك أنه شاق على الإنسان ؛ لأن الإنسان يترك فيه المألوف من طعام وشراب ونكاح ، وهذا أمر شاق ، ولكن المؤمن حسن الخلق مع ربه - عز وجل - يقبل هذا التكليف بانشراح صدر وطمأنينة ، وتتسع له نفسه فتجده يصوم الأيام الحارة الطويلة وهو بذلك راضٍ منشرح الصدر ؛ لأنه يحسن الخلق مع ربه . أما سيئ الخُلُق مع الله فيقابل مثل هذه العبادة بالضجر والكراهية ولولا أنه يخشى من أمر لا تحمد عقباه لكان لا يلتزم بالصيام .

ومثال آخر:

الصلاة لا شك أنها ثقيلة على بعض الناس ، وهي ثقيلة على المنافقين ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر**»[1] ، لكن الصلاة بالنسبة للمؤمن قرة عينه وراحة نفسه ، قال الله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: ٤٥ ، ٤٦) فهي وعلى هؤلاء غير كبيرة بل إنها سهلة يسيرة ، ولهذا قال النبي ﷺ: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[2] .

فحسن الخلق مع الله - عز وجل - بالنسبة للصلاة ، أن تؤديها وقلبك منشرح مطمئن وعيناك قريرتان ، تفرح إذا كنت متلبساً بها وتنتظرها إذا أقبل وقتها ، فإذا صليت الفجر كنت في شوق إلى صلاة الظهر ، وإذا صليت الظهر كنت في شوق إلى

(١) رواه البخارى فى "الأذان" (٦٥٧) باب فضل العشاء فى جماعة . عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٢) حسن . رواه أحمد (٣ / ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥) والنسائى فى "عشرة النساء" (٧ / ٦١) باب حب النساء . والبيهقى فى "السنن الكبرى" (٧ / ٧٨) .

صلاة العصر ، وإذا صليت العصر كنت في شوق إلى صلاة المغرب ، وإذا صليت المغرب كنت في شوق إلى صلاة العشاء ، وإذا صليت العشاء كنت في شوق إلى صلاة الفجر ، وهكذا دائماً قلبك معلق بهذه الصلوات .

ونضرب مثالاً ثالثاً في المعاملات:

في المعاملات حرم الله علينا الربا ، حرمه تحريماً صريحاً في القرآن كما قال الله تعالى: ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (البقرة ، الآية: ٢٧٥) . وقال فيه: ﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة: الآية ٢٧٥) فتوعد من عاد إلى الربا بعد أن جاءته الموعظة وعلم الحكم توعده بالخلود في النار والعياذ بالله . المؤمن يقبل هذا الحكم بانشراح ورضا وتسليم . وأما غير المؤمن ؛ فإنه لا يقبله ويضيق صدره به ، يتحايل عليه بأنواع الحيل لأننا نعلم أن في الربا كسباً متيقناً وليس فيه مخاطرة ، لكنه في الحقيقة كسب لشخص وظلم لآخر . ولهذا قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ (البقرة: الآية ٢٧٩) .

أما الأمر الثالث: من موضوع حسن الخلق مع الله فهو تلقي أقداره بالصبر والرضا ، وكلنا يعلم أن أقدار الله - عز وجل - التي ينفذها في خلقه بعضها ملائم وبعضها غير ملائم .

هل المرض يلائم الإنسان؟ أبداً الإنسان يحب أن يكون صحيحاً . وهل الفقر يلائم الإنسان ؟ لا . فالإنسان يحب أن يكون غنيًّا . وهل الجهل يلائم الإنسان؟ لا . فالإنسان يحب أن يكون عالماً . لكن أقدار الله - عز وجل - بحكمته تتنوع منها ما يلائم الإنسان ويستريح له بمقتضى طبيعته ، ومنها ما لا يكون كذلك . فما هو حسن الخلق مع الله - عز وجل - نحو أقدار الله؟

حسن الخلق مع الله نحو أقداره أن ترضى بما قدر الله لك ، وأن تطمئن إليه ، وأن تعلم أن الله - سبحانه وتعالى - ما قدره لك إلا لحكمة وغاية محمودة يستحق عليها الشكر ، وعلى هذا فإن حسن الخلق مع الله نحو أقداره هو أن الإنسان يرضى ويستسلم

ويطمئن . ولهذا امتدح الله تعالى الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون . وقال: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة ، الآية: ١٥٥) .

ونوجز ما سبق:

نقول إن حسن الخلق كما يكون في معاملة الخلق يكون في معاملة الخالق ، وأن حسن الخلق في معاملة الخالق هو تلقي أخباره بالتصديق وتلقي أحكامه بالقبول والتطبيق . وتلقي أقداره بالصبر والرضا . هذا حسن الخلق مع الله .

أما حسن الخلق مع المخلوق فعرفه بعضهم . ويذكر عن الحسن البصري أنه "كف الأذى ، وبذل الندى ، وطلاقة الوجه" .

ثلاثة أمور:

١ - كف الأذى .

٢ - بذل الندى .

٣ - طلاقة الوجه .

ومعنى كف الأذى ، أن الإنسان يكف أذاه عن غيره سواء كان هذا الأذى يتعلق بالمال ، أو يتعلق بالنفس ، أو يتعلق بالعرض . فمن لم يكف أذاه عن الخلق فليس من حسن الخُلق ، بل هو سيئ الخُلق . وقد أعلن الرسول ﷺ في أعظم مجمع اجتمع به في أمته . قال: «**إن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا**» [١] .

إذا كان رجل يعتدي على الناس بالخيانة ، أو يعتدي على الناس بالضرب والجناية ، أو يعتدي على الناس في العرض ، أو بالسب والغيبة . فهذا ليس بحسن الخلق مع الناس ؛ لأنه لم يكف أذاه عنهم ، ويعظم إثم ذلك كلما كان موجهاً إلى من له حق عليك أكبر . فالإساءة إلى الوالدين مثلاً أعظم من الإساءة إلى غيرهما ، والإساءة إلى الأقارب أعظم من الإساءة إلى الأباعد ، والإساءة إلى الجيران أعظم من

(١) رواه البخاري في "الحج" (١٧٣٩) باب الخطبة أيام منى . عن ابن عباس رضي الله عنه .

الإساءة إلى من ليسوا من جيران لك . ولهذا قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن**» ، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» (١) . وفي رواية لمسلم: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(٢) والبوائق هي: الشرور .

وأما بذل الندى ، الندى هو الكرم والجود . يعني أن تبذل الكرم والجود ، والكرم ليس كما يظنه بعض الناس هو أن تبذل المال ، بل الكرم يكون في بذل النفس ، وفي بذل الجاه ، وفي بذل المال ، إذا رأينا شخصاً يقضي حوائج الناس يساعدهم يتوجه في شئونهم إلى من لا يستطيعون الوصول إليه ، ينشر علمه بين الناس ، يبذل ماله بين الناس ، فإنا نصفه بحسن الخلق لأنه بذل الندى ، ولهذا قال النبي ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن**» (٣) .

ومعنى ذلك أنك إذا ظُلمت أو أسيء إليك فإنك تعفو وتصفح ، وقد امتدح الله العافين عن الناس فقال في أهل الجنة: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٣٤) وقال الله تعالى: ﴿ **وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾ (البقرة ، الآية: ٢٣٧) . وقال تعالى: ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** ﴾ (النور ، الآية: ٢٢) .

وكل إنسان يتصل بالناس فلابد أن يجد من الناس شيئاً من الإساءة ، فموقفه من هذه الإساءة أن يعفوا ويصفح ، وليعلم علم اليقين أنه بعفوه وصفحه ومجازاته بالحسنى سوف تنقلب العداوة بينه وبين أخيه إلى ولاية وصداقة . قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ (فصلت: ٣٤) فما هو الأحسن ، السيئة أم الحسنة؟ الحسنة . وتأملوا أيها العارفون باللغة العربية كيف جاءت النتيجة بـ (إذا) الفجائية تدل على الحدث الفوري في نتيجتها . ﴿ **فَإِذَا**

---

(١) رواه البخارى فى "الأدب" (٦٠١٦) باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه . عن أبى شريح رضى الله عنه .

(٢) رواه مسلم فى "الإيمان" (١٧٠) باب بيان تحريم إيذاء الجار . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) حسن . رواه أحمد (١٥٣/٥) والترمذى فى " البر والصلة " (١٩٨٧) باب ما جاء فى معاشرة الناس . عن أبى ذر رضى الله عنه .

الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ولكن هل كل أحد يوفق إلى ذلك؟ لا : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت : ٣٥) .

وهاهنا مسألة :

هل نفهم من هذا أن العفو عن الجاني مطلقاً محمود ومأمور به؟

قد نفهم من هذا الكلام أن العفو مطلقاً محمود ومأمور به . ولكن ليكن معلوماً لديكم أن العفو إنما يُحمد إذا كان العفو أحمدُ ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى : ٤٠) فجعل العفو مقروناً بالإصلاح ، وهل يمكن أن يكون العفو غير إصلاح؟

الجواب: نعم . قد يكون هذا الذي اجترأ عليك وجنى عليك رجلٌ شريرُ ، معروف بالشر والفساد ، فلو عفوت عنه لتمادى في شره ، وفساده ، فما هو الأفضل حينئذ ، أن نعفو أو نأخذ بالجريمة؟ الأفضل أن نأخذ بالجريمة ؛ لأن في ذلك إصلاحاً .

قال شيخ الإسلام : الإصلاح واجب ، والعفو مندوب . فإذا كان في العفو فوات الإصلاح فمعنى ذلك أننا قدمنا مندوباً على واجب . وهذا لا تأتي به الشريعة . وصدق رحمه الله .

وإنني بهذه المناسبة أود أن أنبه على مسألة يفعلها كثير من الناس بقصد الإحسان ، وهي أن تقع حادثة من شخص فيهلك بسببها شخص آخر ، فيأتي أولياء المقتول فيسقطون الدية عن هذا الجاني الذي فعل الحادث ، فهل إسقاطهم محمود ويعتبر من حسن الخلق أو في ذلك تفصيل؟ في ذلك تفصيل .

لابد أن نتأمل ونفكر في حال هذا الجاني الذي وقع منه الحادث هل هو من الناس المعروفين بالتهور وعدم المبالاة؟ هل هو من الطراز الذي يقول أنا لا أبالي أن أصدم شخصاً لأن ديته في الدرج . والعياذ بالله؟

أم أنه رجل حصلت منه الجناية مع كمال التحفظ وكمال الاتزان ولكن الله تعالى قد جعل كل شيء بمقدار؟ فالجواب : إن كان من الطراز الثاني فالعفو بحقه أولى ، ولكن قبل العفو حتى في الطراز الثاني يجب أن نلاحظ هل على الميت دين؟ إذا كان

عليه دين فإنه لا يمكن أن نعفو .

ولو عفونا لا يعتبر ، وهذه مسألة ربما يغفل عنها كثير من الناس . لماذا نقول إنه قبل العفو يجب أن نلاحظ هل على الميت دين أم لا ؟ لماذا نقول ذلك؟

لأن الورثة يتلقون الاستحقاق لهذه الدية من الميت الذي أصيب بالحادث ولا يرد استحقاقهم إلا بعد الدين ولهذا لما ذكر الله الميراث قال : ﴿ **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ** ﴾ (النساء : من الآية١١) هذه مسألة تخفى على كثير من الناس وعلى هذا فنقول : إذا حصلت حادث على شخص ما فمات فإنه قبل أن يقدم ورثته على العفو ننظر في حال المجني عليه فإن كان عليه دين لا وفاء له إلا من الدية فلا عفو ؛ لأن الدين مقدم على الميراث ، وإن لم يكن عليه دين نظرنا في حال الجاني فإن كان من المتهورين فترك العفو عنه أولى ، وإن لم يكن منهم نظرنا في ورثة المجني عليه فإن كانوا غير مرشدين فلا يملك أحد إسقاط حقهم عن المجني عليه ، وإن كانو مرشدين فالعفو في هذه الحال أفضل .

والحاصل : أن من حسن الخلق العفو عن الناس ، وهو بذل الندى ؛ لأن بذل الندى : إما إعطاء ، وإما إسقاط ، والعفو من الإسقاط .

وأما طلاقة الوجه فهي أن يكون الإنسان طليق الوجه ، وضد طليق الوجه عبوس الوجه ، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : «**لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**» [1] .

طلاقة الوجه تدخل السرور على من قابلك . وعلى من اتجه لك ، وتجلب المودة والمحبة ، وتوجب انشراح القلب ، بل توجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك - وجرب تجد - لكن إذا كنت عبوساً فإن الناس ينفرون منك ، ولا ينشرحون بالجلوس إليك ، ولا بالتحدث معك ، وربما تصاب بمرض خطير يسمى بالضغط ، فإن انشراح الصدر وطلاقة الوجه من أكبر العقاقير المانعة من هذا الداء داء الضغط . ولهذا فإن الأطباء ينصحون من ابتلي بهذا الداء بأن يبتعد عما يثيره ويغضبه ؛ لأن ذلك يزيد في

---

(١) رواه مسلم في" البر والصلة " (٦٥٦٧) باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء . عن أبي ذر رضي الله عنه .

مرضه ، فطلاقة الوجه تقضي على هذا المرض ؛ لأن الإنسان يكون منشرح الصدر محبوباً إلى الخلق .

هذه الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسن الخلق في معاملة الخلق .

ومما ينبغي أن يعرف من حسن الخلق حسن المعاشرة بأن يكون الإنسان مع من يعاشره من أصدقاء ، وأقارب ، وأهل ، يكون حسن العشرة معهم لا يضيق بهم ولا يُضَيِّق عليهم ، بل يدخل السرور عليهم بقدر ما يمكنه في حدود شريعة الله . وهذا القيد لابد منه أعني أن يكون في حدود شريعة الله ؛ لأن من الناس من لا يسير إلا بمعصية الله والعياذ بالله وهذا لا يوافق عليه .

لكن إدخال السرور على من يتصل بك من أهل وأصدقاء وأقارب من حسن الخلق . ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» [(١)] .

وكثير من الناس مع الأسف الشديد يحسن الخلق مع الناس ، ولكنه لا يحسن الخلق مع أهله وهذا خطأ وقلب للحقائق . كيف تحسن الخلق مع الأباعد وتسيء الخلق مع الأقارب؟ فالأقارب أحق الناس بأن تحسن إليهم الصحبة والعشرة . ولهذا قال رجل: يا رسول الله: «**من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك ، قال: ثم من؟ قال: أمك ، قال: ثم من؟ قال: أمك ، قال: ثم من؟ قال: أبوك ، في الثالثة أو الرابعة**» [(٢)] .

والحاصل أن إحسان العشرة مع الأهل والأصحاب والأقارب كل ذلك من حسن الخلق ، وينبغي لنا في هذه المراكز الصيفية أن نستغل وجود الشباب بحيث نمرنهم على إحسان الخلق لتكون هذه المراكز مراكز تعليم وتربية ؛ لأن العلم بدون تربية يكون ضرره أكثر من نفعه . لكن مع التربية يكون العلم مؤدياً لنتيجته المقصودة . ولهذا قال الله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً**

---

(١) صحيح . رواه الترمذى (٣٨٩٥) والدارمى (٢/ ١٥٩) وابن حبان (٤١٧٧) عن عائشة رضى الله عنها . وقال الترمذى: حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٢) رواه البخارى فى "الأدب " (٥٩٧١) باب من أحق الناس بحسن الصحبة . ومسلم فى "البر والصلة " (٦٣٨٠) باب بر الوالدين عن أبى هريرة رضى الله عنه .

لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٩) هذه فائدة العلم أن يكون الإنسان ربانيًّا بمعنى مربياً لعباد الله على شريعة الله .

فهذه المراكز التي نأمل من القائمين عليها أن يجعلوها ميداناً للتسابق في الأخلاق الفاضلة ومنها حسن الخلق . فحسن الخلق يكون بالطبع ويكون بالتطبع - كما تقدم - وحسن الخلق بالطبع أكمل من حسن الخلق بالتطبع . وأتينا على ذلك بدليل وهو قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**بل جبلك الله عليهما**» [١] . وحسن الخلق بالتطبع قد يفوت الإنسان في مواطن كثيرة ؛ لأن حسن الخلق بالتطبع يحتاج إلى ممارسة وإلى معاناة وإلى تذكر عند وجود كل ما يثير الإنسان ، ولهذا جاء رجل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام قال: يا رسول الله أوصني ، قال: «**لا تغضب**» فردد مراراً قال: «**لا تغضب**»[٢] ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» [٣] .

والصرعة: هو الذي يغلب الرجال عند المصارعة .

إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ، الذي يصرع نفسه ويملكها عند الغضب هو الشديد . وملك الإنسان نفسه عند الغضب يعتبر من أحاسن الأخلاق ، فإذا غضبت فلا تنفذ الغضب ، استعذ بالله من الشيطان الرجيم ، وإذا كنت قائماً فاجلس وإذا كنت جالساً فاضجع ، وإذا زاد بك الغضب فتوضأ حتى يزول عنك .

والمقصود أننا نقول: إن حسن الخلق طبع وتطبع وأن حسن الخلق بالطبع هو الأفضل ؛ لأنه يكون سجية الإنسان ويسهل عليه في كل موطن ، ولكن التطبع قد يفوته في بعض المواقف .

كذلك نقول إن حسن الخلق يكون بالاكتساب بمعنى أن الإنسان يمرن نفسه ،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخارى فى "الأدب" (٦١١٦) باب الحذر من الغضب . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) رواه البخارى فى "الأدب" (٦١١٤) باب الحذر من الغضب . ومسلم فى "البر والصلة " (٦٥٢٠) باب فضل من يملك نفسه عند الغضب . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

فكيف يكون الإنسان حسن الخلق؟ يكون الإنسان حسن الخلق بالآتي :

أولاً: بأن ينظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ينظر النصوص الدالة على مدح ذلك الخلق العظيم ، والمؤمن إذا رأى النصوص تمدح شيئاً من الأخلاق أو من الأعمال فإنه سوف يقوم به .

ثانياً: مجالسة الأخيار والصالحين الموثوق بعلمهم وأمانتهم يقول النبي عليه الصلاة والسلام : «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يَعدمُك من صاحب المسك: إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد: يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة**» [(١)] .

فعليكم أيها الشباب أن تصاحبوا من عُرفوا بحسن الأخلاق ، والبعد عن مساوئ الأخلاق وسفاسف الأعمال ، حتى تأخذوا من هذه الصحبة مدرسة تستعينون بها على حسن الخلق .

ثالثاً: أن يتأمل الإنسان ماذا يترتب على سوء خلقه ، فسيئ الخلق ممقوت ، وسيئ الخلق مهجور ، وسيئ الخلق مذكور بالوصف القبيح . فإذا علم الإنسان أن سوء الخلق يفضي به إلى هذا فإنه يبتعد عنه .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً وأن يتوفانا على ذلك ، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

* * * * * * * * * * * *

---

(١) رواه البخاري في" البيوع" (٢١٠١) باب في العطار وبيع المسك . عن أبي موسى رضي الله عنه .

الرسالة الثانية

الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠- ٧١) .

أما بعد: فإنه قد يثير هذا الموضوع التساؤل لدى الكثيرين ، وقد يسأل البعض لماذا هذا الموضوع وهذا العنوان الذي قد يكون غيره من مسائل الدين أهم منه؟

ولكن هذا العنوان وخاصة في وقتنا الحاضر يشغل بال كثير من الناس ، لا أقول من العامة بل حتى من طلبة العلم ، وذلك أنها كثرت في وسائل الإعلام نشر الأحكام وبثها بين الأنام ، وأصبح الخلاف بين قول فلان وفلان مصدر تشويش ، بل تشكيك عند كثير من الناس ، لا سيما من العامة الذين لا يعرفون مصادر الخلاف ، لهذا رأيت وبالله أستعين أن أتحدث في هذا الأمر الذي له في نظري شأن كبير عند المسلمين .

إن من نعمة الله - تبارك وتعالى - على هذه الأمة أن الخلاف بين الأمة لم يكن في أصول دينها ومصادره الأصلية ، وإنما كان الخلاف في أشياء لا تمس وحدة المسلمين الحقيقية وهو أمر لابد أن يكون ، وقد أجملت العناصر التي أريد أن أتحدث عنها بما يأتي :

أولاً : من المعلوم عند جميع المسلمين مما فهموه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الله تعالى بعث محمداً بالهدى ودين الحق وهذا يتضمن أن يكون رسول الله ﷺ قد بين

هذا الدين بياناً شافياً كافياً ، لا يحتاج بعده إلى بيان ، لأن الهدى بمعناه ينافي الضلالة بكل معانيها ، ودين الحق بمعناه ينافي كل دين باطل لا يرتضيه الله - عز وجل - ورسول الله بعث بالهدى ودين الحق ، وكان الناس في عهده - صلوات الله وسلامه عليه - يرجعون عند التنازع إليه فيحكم بينهم ويبين لهم الحق سواء فيما يختلفون فيه من كلام الله ، أو فيما يختلفون فيه من أحكام الله التي لم ينزل حكمها ، ثم بعد ذلك ينزل القرآن مبيناً لها ، وما أكثر ما نقرأ في القرآن قوله : (يسألونك عن) كذا فيجيب الله تعالى نبيه بالجواب الشافي ويأمره أن يبلغه إلى الناس ، قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (المائدة : ٤) .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ٢١٩) ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال : ١) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة ، الآية : ١٨٩) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

إلى غير ذلك من الآيات .

ولكن بعد وفاة الرسول ﷺ اختلفت الأمة في أحكام الشريعة التي لا تقضي على

أصول الشريعة ، وأصول مصادرها . ولكنه اختلاف سنبين إن شاء الله بعض أسبابه .

ونحن جميعاً نعلم علم اليقين أنه لا يوجد أحد من ذوي العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم يخالف ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن عمد وقصد ؛ لأن من اتصفوا بالعلم والديانة ، فلابد أن يكون رائدهم الحق ، ومن كان رائده الحق فإن الله سييسره له . واستمعوا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ١٧) ، ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ❁ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ❁ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ (الليل: ٥- ٧) ولكن مثل هؤلاء الأئمة يمكن أن يحدث منهم الخطأ في أحكام الله - تبارك وتعالى - لا في الأصول التي أشرنا إليها من قبل ، وهذا الخطأ أمر لابد أن يكون ، لأن الإنسان كما وصفه الله - تعالى - بقوله: ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ، الآية: ٢٨) . الإنسان ضعيف في علمه وإدراكه ، وهو ضعيف في إحاطته وشموله ، ولذلك لابد أن يقع الخطأ منه في بعض الأمور . ونحن نجمل ما أردنا أن نتكلم عليه من أسباب الخطأ من أهل العلم في الأسباب الآتية السبعة: مع أنها في الحقيقة أسباب كثيرة ، وبحر لا ساحل له ، والإنسان البصير بأقوال أهل العلم يعرف أسباب الخلاف المنتشرة ، نجملها بما يأتي:

السبب الأول:

أن يكون الدليل لم يبلغ هذا المخالف الذي أخطأ في حكمه .

وهذا السبب ليس خاصًّا فيمن بعد الصحابة ، بل يكون في الصحابة ومن بعدهم . ونضرب مثالين وقعا للصحابة من هذا النوع:

الأول: إننا علمنا بما ثبت في صحيح البخارى وغيره حينما سافر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الشام ، وفي أثناء الطريق ، ذكر له أن فيها وباء وهو الطاعون ، فوقف وجعل يستشير الصحابة - رضي الله عنهم - فاستشار المهاجرين والأنصار واختلفوا في ذلك على رأيين . . . وكان الأرجح القول بالرجوع ، وفي أثناء هذه المداولة والمشاورة جاء عبد الرحمن بن عوف ، وكان غائباً في حاجة له ، فقال: إن عندي من ذلك علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به في أرض فلا**

تقدموا عليه ، **وإن وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه»** [1] فكان هذا الحكم خافياً على كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ، حتى جاء عبد الرحمن فأخبرهم بهذا الحديث .

مثال آخر: كان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يريان أن الحامل إذا مات عنها زوجها تعتد بأطول الأجلين ، من أربعة أشهر وعشر . . أو وضع الحمل ، فإذا وضعت الحمل قبل أربعة أشهر وعشر لم تنقض العدة عنده وبقيت حتى تنقضي أربعة أشهر وعشر ، وإذا انقضت أربعة أشهر وعشر من قبل أن تضع الحمل بقيت في عدتها حتى تضع الحمل ، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق الآية: ٤) . ويقول: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾ (البقرة الآية: ٢٣٤) وبين الآيتين عموم وخصوص وجهي ، وطريق الجمع بين ما بينهما عموم وخصوص وجهي ، أن يؤخذ بالصورة التي تجمعهما ، ولا طريق إلى ذلك إلا ما سلكه علي وابن عباس - رضي الله عنهما - ولكن السنة فوق ذلك . فقد ثبت عن رسول الله ﷺ في حديث سبيعة الأسلمية أنها نفست بعد موت زوجها بليال فأذن لها رسول الله أن تتزوج ، ومعنى ذلك أننا نأخذ بآية سورة الطلاق التي تسمى سورة النساء الصغرى ، وهي عموم قوله تعالى: ﴿ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق ، الآية: ٤) . وأنا أعلم علم اليقين أن هذا الحديث لو بلغ عليًّا وابن عباس لأخذا به قطعاً ، ولم يذهبا إلى رأيهما .

السبب الثاني:

أن يكون الحديث قد بلغ الرجل ولكنه لم يثق بناقله ، ورأى أنه مخالف لما هو أقوى منه ، فأخذ بما يراه أقوى منه ، ونحن نضرب مثلاً أيضاً ، ليس فيمن بعد الصحابة ، ولكن في الصحابة أنفسهم .

فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - طلقها زوجها آخر ثلاث تطليقات ، فأرسل

---

(١) رواه البخارى فى "الطب" (٥٧٢٩) باب ما يذكر فى الطاعون . ومسلم فى "الطب" (٥٦٧٧) باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها .

إليها وكيله بشعير نفقة لها مدة العدة ، ولكنها سخطت الشعير وأبت أن تأخذه ، فارتفعا إلى النبي ﷺ فأخبرها النبي ﷺ أنه لا نفقة لها ولا سكنى ،

وذلك لأنه أبانها ، والمبانة ليس لها نفقة ولا سكنى على زوجها إلا أن تكون حاملاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق: من الآية٦) عمر رضي الله عنه - ناهيك عنه فضلاً وعلماً - خفيت عليه هذه السنة ، فرأى أن لها النفقة والسكنى ، ورد حديث فاطمة باحتمال أنها قد نسيت فقال: أنترك قول ربنا لقول امرأة لا ندري أذكرت أم نسيت؟ وهذا معناه أن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - لم يطمئن إلى هذا الدليل ، وهذا كما يقع لعمر ومن دونه من الصحابة ومن دونهم من التابعين ، يقع أيضاً لمن بعدهم من أتباع التابعين ، وهكذا إلى يومنا هذا بل إلى يوم القيامة ، أن يكون الإنسان غير واثق من صحة الدليل ، وكم رأينا من أقوال لأهل العلم فيها أحاديث يرى بعض أهل العلم أنها صحيحة فيأخذون بها ويراها الآخرون ضعيفة ، فلا يأخذون بها نظراً لعدم الوثوق بنقلها عن رسول الله ﷺ .

السبب الثالث:

أن يكون الحديث قد بلغه ولكنه نسيه ، وجل من لا ينسى ، كم من إنسان ينسى حديثاً ، بل قد ينسى آية .

رسول الله ﷺ صلى ذات يوم في أصحابه فأسقط آية نسياناً ، وكان معه أبي بن كعب - رضي الله عنه - فلما انصرف من صلاته قال: **«هلا كنت ذكرتنيها»** [1] ، وهو الذي ينزل عليه الوحي ، وقد قال له ربه: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى * إلاَّ مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ (الأعلى ، الآيتان: ٦ ، ٧) . ومن هذا - أي مما يكون قد بلغ الإنسان ولكنه نسيه - قصة عمر بن الخطاب مع عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - حينما أرسلهما رسول الله في حاجة ، فأجنبا جميعاً عمار وعمر . أما عمار فاجتهد ورأى أن طهارة التراب كطهارة الماء ، فتمرغ في الصعيد كما تمرغ الدابة ، لأجل أن

---

(١) سبق تخريجه .

يشمل بدنه التراب ، كما كان يجب أن يشمله الماء وصلى ، أما عمر - رضي الله عنه - فلم يصل . . . ثم أتيا رسول الله ﷺ فأرشدهما إلى الصواب ، وقال لعمار: إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا - وضرب بيديه الأرض مرة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه وكان عمار - رضي الله عنه - يحدث بهذا الحديث في خلافة عمر ، وفيما قبل ذلك ، ولكن عمر دعاه ذات يوم وقال له: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ فأخبره وقال: أما تذكر حينما بعثنا رسول الله في حاجة ، فأجنبنا فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمرغت في الصعيد ، فقال النبي ﷺ : «**إنما كان يكفيك أن تقول كذا وكذا**» [1] . ولكن عمر لم يذكر ذلك وقال: اتق الله يا عمار ، فقال له عمار: إن شئت بما جعل الله عليّ من طاعتك أن لا أحدث به فعلت ، فقال له عمر: نوليك ما توليت - يعني فحدث به الناس - فعمر نسي أن يكون النبي ﷺ جعل التيمم في حال الجنابة كما هو في حال الحدث الأصغر ، وقد تابع عمر على ذلك عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وحصل بينه وبين أبي موسى - رضي الله عنهما - مناظرة في هذا الأمر فأورد عليه قول عمار لعمر ، فقال ابن مسعود: ألم تر أن عمر لم يقنع بقول عمار فقال أبو موسى: دعنا من قول عمار ، ما تقول في هذه الآية يعني آية المائدة ، فلم يقل ابن مسعود شيئاً ، ولكن لا شك في أن الصواب مع الجماعة الذين يقولون أن الجنب يتيمم ، كما أن المحدث حدثاً أصغر يتيمم ، والمقصود أن الإنسان قد ينسى فيخفى عليه الحكم الشرعي فيقول قولاً يكون به معذوراً ، لكن من علم الدليل فليس بمعذور ، هذان سببان .

السبب الرابع:

أن يكون بلغه وفهم منه خلاف المراد . فنضرب لذلك مثالين ، الأول من الكتاب ، والثاني من السنة :

١ - من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّن

---

(١) رواه البخاري في "التيمم" (٣٤٥ - ٣٤٦) باب إذا خاف الجنب على نفسه بالمرض أو الموت . ومسلم في "الطهارة" (٧٩٦) باب التيمم .

الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ (النساء ، الآية : ٤٣) .

اختلف العلماء - رحمهم الله - في معنى ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ﴾ . ففهم بعض منهم أن المراد مطلق اللمس ، وفهم آخرون : أن المراد به اللمس المثير للشهوة . وفهم آخرون أن المراد به الجماع وهذا الرأي رأي ابن عباس - رضي الله عنهما - .

وإذا تأملت الآية وجدت أن الصواب مع من يرى أنه الجماع ؛ لأن الله - تبارك وتعالى ذكر نوعين في طهارة الماء ، طهارة الحدث الأصغر والأكبر. ففي الأصغر قوله : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ (المائدة: من الآية ٦) أما الأكبر فقوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ﴾ (المائدة: من الآية ٦) . وكان مقتضى البلاغة والبيان أن يذكر أيضاً موجبا الطهارتين في طهارة التيمم فقوله تعالى: ﴿ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ إشارة إلى موجب طهارة الحدث الأصغر . . . وقوله: ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ﴾ إشارة إلى موجب طهارة الحدث الأكبر. . ولو جعلنا الملامسة هنا بمعنى اللمس ، لكان في الآية ذكر موجبين من موجبات طهارة الحدث الأصغر ، وليس فيها ذكر لشيء من موجبات طهارة الحدث الأكبر ، وهذا خلاف ما تقتضيه بلاغة القرآن ، فالـذين فهموا من الآية أن المراد به مطلق اللمس قالوا: إذا مس إنسان ذكر بشرة الأنثى انتقض وضوؤه ، أو إذا مسها لشهوة انتقض ، ولغير شهوة لا ينتقض ، والصواب عدم الانتقاض في الحالين ، وقد روي أن رسول الله ﷺ قبَّل إحدى نسائه ، ثم ذهب إلى الصلاة ولم يتوضأ ، وقد جاء من طرق يقوي بعضها بعضاً .

٢ - من السنة : لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الأحزاب ، ووضع عدة الحرب جاءه جبريل فقال له: إنا لم نضع السلاح فاخرج إلى بني قريظة ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج وقال: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**» [(١)] . الحديث ، فقد اختلف الصحابة في فهمه . فمنهم من فهم أن مراد الرسول المبادرة إلى الخروج حتى لا يأتي وقت العصر إلا وهم في بني قريظة ، فلما حان وقت العصر وهم في الطريق

---

(١) رواه البخارى فى "صلاة الخوف" (٩٤٦) باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماء . ومسلم فى "الجهاد" (٤٥٢١) باب المبادرة بالغزو . عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه .

صلوها ولم يؤخروها إلى أن يخرج وقتها . ومنهم من فهم: أن مراد رسول الله أن لا يصلوا إلا إذا وصلوا بني قريظة فأخروها حتى وصلوا بني قريظة فأخرجوها عن وقتها . ولا ريب أن الصواب مع الذين صلوا الصلاة في وقتها ؛ لأن النصوص في وجوب الصلاة في وقتها محكمة ، وهذا نص مشتبه . وطريق العلم أن يحمل المتشابه على المحكم . إذن من أسباب الخلاف أن يفهم من الدليل خلاف مراد الله ورسوله ، وذلك هو السبب الرابع .

السبب الخامس:

أن يكون قد بلغه الحديث لكنه منسوخ ولم يعلم بالناسخ فيكون الحديث صحيحاً والمراد منه مفهوماً ولكنه منسوخ ، والعالم لا يعلم بنسخه فحينئذ له العذر ؛ لأن الأصل عدم النسخ حتى يعلم الناسخ .

ومن هذا رأي ابن مسعود - رضي الله عنه - ماذا يصنع الإنسان بيديه إذا ركع؟ كان في أول الإسلام يشرع للمصلي التطبيق بين يديه ويضعهما بين ركبتيه . هذا هو المشروع في أول الإسلام ثم نسخ ذلك وصار المشروع أن يضع يديه على ركبته . وثبت في صحيح البخاري وغيره النسخ ، وكان ابن مسعود - رضي الله عنه - لم يعلم بالنسخ ، فكان يطبق يديه ، فصلى إلى جانبه علقمة والأسود ، فوضعا يديهما على ركبهما ، ولكنه - رضي الله عنه - نهاهما عن ذلك وأمرهما بالتطبيق . . . لماذا؟ لأنه لم يعلم بالنسخ ، والإنسان لا يكلف إلا وسع نفسه ، قال تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٨٦) .

السبب السادس:

أن يعتقد أنه معارض بما هو أقوى منه من نص أو إجماع ، بمعنى أنه يصل الدليل إلى المستدل ، ولكنه يرى أنه معارض بما هو أقوى منه من نص أو إجماع ، وهذا كثير في خلاف الأئمة . وما أكثر ما نسمع من ينقل الإجماع ، ولكنه عند التأمل لا يكون إجماعاً .

ومن أغرب ما نقل في الإجماع أن بعضهم قال: أجمعوا على قبول شهادة العبد. وآخرون قالوا: أجمعوا على أنها لا تقبل شهادة العبد. هذا من غرائب النقل؛ لأن بعض الناس إذا كان من حوله اتفقوا على رأي، ظن أن لا مخالف لهم، لاعتقاده أن ذلك مقتضى النصوص، فيجتمع في ذهنه دليلان، النص والإجماع، وربما يراه مقتضى القياس الصحيح، والنظر الصحيح فيحكم أنه لا خلاف، وأنه لا مخالف لهذا النص القائم عنده مع القياس الصحيح عنده، والأمر قد كان بالعكس.

ويمكن أن نتمثل ذلك برأي ابن عباس - رضي الله عنهما - في ربا الفضل. ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إنما الربا في النسيئة»** [1]. وثبت عنه في حديث عبادة بن الصامت وغيره: **«أن الربا يكون في النسيئة وفي الزيادة»**.

وأجمع العلماء بعد ابن عباس على أن الربا قسمان: ربا فضل، وربا نسيئة. أما ابن عباس فإنه أبى إلا أن يكون الربا في النسيئة فقط. مثاله لو بعت صاعاً من القمح بصاعين يداً بيد فإنه عند ابن عباس لا بأس به؛ لأنه يرى أن الربا في النسيئة فقط. وإذا بعت مثلاً مثقالاً من الذهب بمثقالين من الذهب يداً بيد فعنده أنه ليس ربا. لكن إذا أخرت القبض، فأعطيتني المثقال ولم أعطك البدل إلا بعد التفرق فهو ربا.. لأن ابن عباس - رضي الله عنهما - يرى أن هذا الحصر مانع من وقوع الربا في غيره، ومعلوم أن: إنما تفيد الحصر فيدل على أن ما سواه ليس بربا، لكن الحقيقة أن ما دل عليه حديث عبادة يدل على أن الفضل من الربا لقول الرسول ﷺ: **«من زاد أو استزاد فقد أربى»** [2].

إذن ما موقفنا نحن من الحديث الذي استدل به ابن عباس؟ موقفنا أن نحمله على وجه يمكن أن يتفق مع الحديث الآخر الدال على أن الربا يكون أيضاً في الفضل، بأن نقول: إنما الربا الشديد الذي يعمد إليه أهل الجاهلية والذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل

---

(١) رواه البخارى فى " البيوع" (٢١٧٨ ، ٢١٧٩) باب بيع الدينار بالدينار نساء. ومسلم فى "المساقاة" (٤٠١١ ، ٤٠١٢) باب بيع الطعام مثلاً بمثل عن أسامة بن زيد رضى الله عنه.

(٢) هذا جزء من الحديث السابق.

عمران: ١٣٠) إنما هو ربا النسيئة ، أما ربا الفضل فإنه ليس الربا الشديد العظيم ، ولهذا ذهب ابن القيم في كتابه "إعلام الموقعين": إلى تحريم ربا الفضل من باب تحريم الوسائل ، وليس من باب تحريم المقاصد .

السبب السابع:

أن يأخذ العالم بحديث ضعيف أو يستدل استدلالاً ضعيفاً . وهذا كثير جدًّا ، فمن أمثلته: أي أمثلة الاستدلال بالحديث الضعيف: ما ذهب إليه بعض العلماء من استحباب صلاة التسبيح [1] وهو أن يصلي الإنسان ، يقرأ فيهما بالفاتحة ، ويسبح خمس عشر تسبيحة ، وكذلك في الركوع والسجود إلى آخر صفتها التي لم أضبطها ، لأنني لا أعتقدها من حيث الشرع ، ويرى آخرون: أن صلاة التسبيح بدعة مكروهة ، وأن حديثها لم يصح ، وممن يرى ذلك الإمام أحمد - رحمه الله - وقال: إنها لا تصح عن النبي ﷺ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إن حديثها كذب على رسول الله ، وفي الحقيقة من تأملها وجد أن فيها شذوذاً حتى بالنسبة للشرع إذ أن العبادة ، إما أن تكون نافعة للقلب ، ولابد لصلاح القلب منها فتكون مشروعة في كل وقت وفي كل مكان ، وإما أن لا تكون نافعة فلا تكون مشروعة وهذه في الحديث الذي جاء عنها يصليها الإنسان كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر أو في العمر مرة ، وهذا لا نظير له في الشرع ، فدل على شذوذها سنداً ومتناً [2] ، وأن من قال إنها كذب ، كشيخ الإسلام فإنه مصيب ، ولذا قال شيخ الإسلام: أنه لم يستحبها أحد من الأئمة .

وإنما مثلت بها لأن السؤال عنها كثير من الرجال والنساء ، فأخشى أن تكون هذه البدعة أمراً مشروعاً ، وإنما أقول بدعة ، أقولها ولو كانت ثقيلة على بعض الناس ؛ لأننا نعتقد أن كل من دان لله - سبحانه - مما ليس في كتاب الله أو سنة رسوله فإنه بدعة .

كذلك أيضاً من يأخذ بدليل ضعيف من حيث الاستدلال . الدليل قوي لكنه من

---

(١) سبق الكلام عن صلاة التسابيح .

(٢) انظر رسالتى "صلاة التسابيح" ففيها ردود على الاعتراضات التى وجهت إلى هذه الصلاة المباركة .

حيث الاستدلال به ضعيف ، مثل ما أخذ بعض العلماء من حديث أسود: «**ذكاة الجنين ذكاة أمه**» [1] .

فالمعروف عند أهل العلم من معنى الحديث أن أم الجنين إذا ذكيت فإن ذكاتها ذكاة له - أي لا يحتاج إلى ذكاة إذا أ. ج منها بعد الذبح ؛ لأنه قد مات ولا فائدة من تذكيته بعد موته .

ومن العلماء من فهم أن المراد .ه أي بالحديث . . . إن ذكاة الجنين كذكاة أمه ، تكون بقطع الودجين وإنهار الدم - ولكن هذا بعيد والذي يبعده أنه لا يحصل إنهار الدم بعد الموت .

ورسول الله ﷺ يقول: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل**» [2] . ومن المعلوم أنه لا يمكن إنهار الدم بعد الموت ، هذه الأسباب التي أحببت أن أنبه عليها مع أنها كثير ، وبحر لا ساحل له . . ولكن بعد هذا كله ما موقفنا؟

وما قلته في أول الموضوع أن الناس بسبب وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية واختلاف العلماء أو اختلاف المتكلمين في هذه الوسائل صاروا يتشككون ويقولون من نتبع؟

تكاثرت الظباء على خراش ::: فما يدري خراش ما يصيد

وحينئذ نقول: موقفنا من هذا الخلاف وأعني به خلاف العلماء الذين نعلم أنهم موثوقون علماً وديانة ، لا من هم محسوبون على العلم وليسوا من أهله ؛ لأننا لا نعتبر هؤلاء علماء ، ولا نعتبر أقوالهم مما يحفظ من أقوال أهل العلم .

ولكننا نعني به العلماء المعروفين بالنصح للأمة والإسلام والعلم ، موقفنا من هؤلاء يكون على وجهين:

---

(١) **صحيح** . رواه أحمد (٣ / ٣١ ، ٣٩ ، ٥٣) وأبو داود (٢٧٢٧) والترمذى (١٤٧٦) وابن ماجة (٣١٩٩) وأبو يعلى (٩٩٢) والدار قطنى (٤/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤) والبيهقى (٩ /٣٣٥) والبغوى (٢٧٨٩) وابن حبان (٥٨٨٩) .

(٢) رواه البخارى فى "الشركة" (٢٤٨٨) باب قسمة الغنم . ومسلم فى "الأضاحى" (٥٠٠٢) باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم . . عن رافع بن خديج رضى الله عنه .

١ - كيف خالف هؤلاء الأئمة لما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله؟ وهذا يمكن أن يعرف الجواب عنه بما ذكرنا من أسباب الخلاف ، وبما لم نذكره ، وهو كثير يظهر لطالب العلم حتى وإن لم يكن متبحراً في العلم .

٢ - ما موقفنا من اتباعهم؟ ومن نتبع من هؤلاء العلماء؟ أيتبع الإنسان إماماً لا يخرج عن قوله ، ولو كان الصواب مع غيره كعادة المتعصبين للمذاهب . أم يتبع ما ترجح عنده من دليل ولو كان مخالفاً لما ينتسب إليه من هؤلاء الأئمة؟ الجواب هو الثاني ، فالواجب على من علم بالدليل أن يتبع الدليل ولو خالف من خالف من الأئمة . إذا لم يخالف إجماع الأمة ، ومن اعتقد أن أحداً غير رسول الله ﷺ يجب أن يؤخذ بقوله فعلاً وتركاً بكل حال وزمان ، فقد شهد لغير الرسول بخصائص الرسالة ؛ لأنه لا يمكن أحد أن يكون هذا حكم قوله إلا رسول الله ﷺ ولا أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك سوى رسول الله ﷺ.

ولكن يبقى الأمر فيه نظر ؛ لأننا لانزال في دوامة من الذي يستطيع أن يستنبط الأحكام من الأدلة؟ هذه مشكلة ؛ لأن كل واحد صار يقول: أنا صحابها ، وهذا في الحقيقة ليس بجيد ، نعم من حيث الهدف والأصل ، هو جيد أن يكون رائد الإنسان كتاب الله وسنة رسوله ، لكن كوننا نفتح الباب لكل من عرف أن ينطق بالدليل ، وإن لم يعرف معناه وفحواه ، فنقول: أنت مجتهد تقول ما شئت ، هذا يحصل فيه فساد الشريعة وفساد الخلق والمجتمع ، والناس ينقسمون في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام:

١ - عالم رزقه الله علماً وفهماً .

٢ - طالب علم عنده من العلم ، لكن لم يبلغ درجة ذلك المتبحر .

٣ - عامي لا يدري شيئاً .

أما الأول:

فإنه له الحق أن يجتهد وأن يقول ، بل يجب عليه أن يقول ما كان مقتضى الدليل عنده مهما خالفه من خالفه من الناس لأنه مأمور بذلك ، قال تعالى: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء ، الآية: ٨٣) . وهذا من أهل الاستنباط الذين يعرفون ما

يدل عليه كلام الله وكلام رسوله .

أما الثاني:

الذي رزقه الله علماً ولكنه لم يبلغ درجة الأول فلا حرج عليه إذا أخذ بالعموميات والإطلاقات وبما بلغه ، ولكن يجب عليه أن يكون محترزاً في ذلك وألا يقصر عن سؤال من هو أعلى منه من أهل العلم لأنه قد يخطئ وقد لا يصل علمه إلى شيء خصص ما كان عاماً ، أو قيد ما كان مطلقاً ، أو نسخ ما يراه محكماً . وهو لا يدري بذلك .

أما الثالث:

وهو من ليس عنده علم ، فهذا يجب عليه أن يسأل أهل العلم لقوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء: من الآية٧) وفي آية أخرى: ﴿ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ (النحل ، الآيتان: ٤٣ ، ٤٤). فوظيفة هذا أن يسأل ، ولكن من يسأل؟ في البلد علماء كثيرون ، وكل يقول: إنه عالم ، أو كل يقال عنه: إنه عالم فمن الذي يسأل؟ هل نقول: يجب عليك أن تتحرى من هو أقرب إلى الصواب فتسأله ثم تأخذ بقوله ، أو نقول: اسأل من شئت ممن تراه من أهل العلم.

والمفضول قد يوفق للعمل في مسألة معينة ، ولا يوفق من هو أفضل منه وأعلم ، اختلف في هذا أهل العلم؟

فمنهم من يرى: أنه يجب على العامي أن يسأل من يراه أوثق في علمه من علماء بلده ؛ لأنه كما أن الإنسان الذي أصيب بمرض في جسمه فإنه يطلب لمرضه من يراه أقوى في أمور الطب فكذلك هنا ، لأن العلم دواء القلوب ، فكما أنك تختار لمرضك من تراه أقوى فكذلك هنا يجب أن تختار من تراه أقوى علماً إذ لا فرق .

ومنهم من يرى: أن ذلك ليس بواجب لأن من هو أقوى علماً قد لا يكون أعلم في كل مسألة بعينها ويرشح هذا القول أن الناس في عهد الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يسألون المفضول مع وجود الفاضل .

والذي أرى في هذه المسألة أنه يسأل من يراه أفضل في دينه وعلمه لا على سبيل الوجوب ؛ لأن من هو أفضل قد يخطئ في هذه المسألة المعينة ، ومن هو مفضول قد يصيب فيها الصواب ، فهو على سبيل الأولوية ، والأرجح : أن يسأل من هو أقرب إلى الصواب لعلمه وورعه ودينه .

وأخيراً أنصح نفسي أولاً وإخواني المسلمين ، ولا سيما طلبة العلم إذا نزلت بإنسان نازلة من مسائل العلم ألا يتعجل ويتسرع حتى يتثبت ويعلم فيقول لئلا يقول على الله بلا علم .

فإن الإنسان المفتي واسطة بين الناس وبين الله ، يبلغ شريعة الله كما ثبت عن رسول الله ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**» [1] .

وأخبر النبي ﷺ: «**أن القضاة ثلاثة: قاضٍ واحد في الجنة وهو من علم الحق فحكم به**» [2] . وكذلك أيضاً من المهم إذا نزلت فيك نازلة أن تشد قلبك إلى الله وتفتقر إليه أن يفهمك ويعلمك لا سيما في الأمور العظام الكبيرة التي تخفى على كثير من الناس .

وقد ذكر لي بعض مشائخنا أنه ينبغي لمن سئل عن مسألة أن يكثر من الاستغفار ، مستنبطاً من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: ١٠٥) ، ﴿ واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيما﴾ (النساء ، ١٠٦). لأن الإكثار من الاستغفار يوجب زوال أثر الذنوب التي هي سبب في نسيان العلم والجهل كما قال تعالى: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ (المائدة ، الآية: ١٣) .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح . رواه أبو داود (٣٥٧٣) والترمذي (١٣٢٢) وابن ماجه (٢٣١٥) والحاكم (٤ / ٩٠) وصححه ووافقه الذهبي عن بريدة رضي الله عنه .

وقد ذكر الشافعي أنه قال:

شـكوت إلى وكـيع سـوء حفظي ::: فأرشـدني إلى تـرك المعاصـي
وقال اعلـم بـأن العلـم نـور ::: ونـور الله لا يؤتـاه عـاصـي

فلا جرم حينئذ أن يكون الاستغفار سبباً لفتح الله على المرء .

وأسأل الله التوفيق والسداد وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيراً . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * * * * * * * * * * *

الرسالة الثالثة

حث طلبة العلم على الالتحاق بجماعات تحفيظ القرآن الكريم

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

نعم إن خير الحديث كتاب الله تعالى ؛ لأنه كلام الله - عز وجل - تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين (جبريل) على قلب النبي ﷺ ، ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين .

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في فضل تلاوة القرآن والعمل به ، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٩ ، ٣٠) وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» متفق عليه ، وعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» متفق عليه ، وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان يقول: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب ، وريحها طيب ، ومثل الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة ، طعمها طيب ، ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ، ولا طعم لها ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل**

الحنظلة ، طعمها مر ، ولا ريح لها» [١] .

وعن أبي أمامة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي شافعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غياتيان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صحابهما»** [٢] .

ولما كانت تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه بهذه المثابة هبَّ كثير من الشباب في بلادنا وغيرها إلى تلاوة الكتاب العزيز تعليماً فأنشئت في بلادنا جماعات تحفيظ القرآن الكريم في مدن وقرى كثيرة تحت إشراف ورعاية وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد والتحق بها - ولله الحمد - جم غفير من الشباب ولم يقتصر نشاطها على الذكور ، بل شمل النساء أيضاً وحصل بذلك خير كثير ، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب كثير من هؤلاء الشباب ، فالحمد لله رب العالمين .

وإنني لأحث إخواني الذين منَّ الله تعالى عليهم بالأولاد ، أن يشجعوا أولادهم على الالتحاق بهذه الجماعات ، وأن يتعاهدوهم حال التحاقهم ، ويستعينوا على ذلك بالاتصال بالمسؤولين في هذه الجماعات للمتابعة . فإن تلاوة كتاب الله من أسباب الصلاح وصلاح الولد خير للوالد في دنياه وبعد مماته كما قال النبي ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»** [٣] .

ولا شك أن الالتحاق بهذه الجماعات - أعني جماعات تحفيظ القرآن - يحصل به مصالح وتندرئ به مفاسد .

يحصل به حفظ القرآن الكريم ومحبته والميل إليه .

---

(١) رواه البخارى فى "فضائل القرآن" (٥٠) باب فضل القرآن على سائر الكلام . ومسلم فى "صلاة المسافرين" (١٨٢٩) باب فضيلة حافظ القرآن .

(٢) رواه مسلم فى "صلاة المسافرين" (١٨٤٣) باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .

(٣) رواه مسلم فى "الوصية" (٤١٤٥) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته . عن أبى هريرة رضى الله عنه .

ويحصل به ربط الدارس ببيوت الله - عز وجل - (المساجد) .

ويحصل به استغلال الوقت بهذا الهدف النبيل .

ويحصل به من حسن رعاية الطالب ما يثاب عليه أبوه أو غيره من ولاة أمره .

ويحصل به ثواب المجتمعين على تلاوة كتاب الله تعالى في بيت من بيوته فما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، وكما تحصل به هذه المصالح فإنه تندرئ به مفاسد .

يندرئ به ضياع الوقت الذي هو أشد ضرراً من ضياع المال ، فإن المال له ما يخلفه والوقت لا يخلفه شيء فإن كل وقت مضى لا يرجع كما قيل: أمس الدابر لا يعود .

تندرى به مفسدة الفراغ فإن للفراغ مفسدة بل مفاسد كما قيل :

إن الشباب والفراغ والجدة[1] ::: مفسدة للمرء أي مفسدة

فمن مفاسد الفراغ أن الشباب ينشأ على حياة ضياع لا جدية فيها .

ومن مفاسد الفراغ أنه قد يكون سبباً للتخريب .

ومن مفاسد الفراغ أنه يفضي إلى التسكع في الأسواق والتجول ، الذي ربما يفضي إلى فاسد الأخلاق .

ومن مفاسد الفراغ البدني أنه يفضي إلى الفراغ الذهني فيتبلد الذهن ويكون الشاب سطحياً ليس عنده تفكير عميق ولا ذهن حاد .

وإني لأحث إخواني الذين منَّ الله عليهم بالمال أن يجودوا بشيء مما منَّ الله به عليهم ، فإن بذل المال في هذه الجماعات من أفضل الأعمال لمشاركة الباذل العامل فيها

---

(١) الجدة: الغنى .

في الأجر كما جاء نحو ذلك فيمن جهز غازياً ، قال النبي ﷺ: «**من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا**» (١) .

كما أحث سائر إخواني المسلمين على تشجيع هذه الجماعات بكافة أنواع التشجيع المعنوي والمادي ، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ . (المائدة ، الآية: ٢) .

وأسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً ممن حقق ذلك بمقاله وفعاله ، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والذين اتبعوهم بإحسان مدى الأوقات .

* * * * * * * * * * *

(١) سبق تخريجه .

الرسالة الرابعة

في التحذير من الحسد وبيان خطره

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الحسد خُلق ذميم وهو: تمني زوال نعمة الله على الغير .

وقيل: الحسد كراهة ما أنعم الله به على غيره .

فالأول هو المشهور عند أهل العلم ، والثاني هو الذي قرّره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فمجرد كراهة ما أنعم الله به على الناس يعتبر حسداً ، والحسد محرم لأن النبي ﷺ نهى عنه وحذر منه ، وهو من خصال اليهود الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

والحسد مضارهُ كثيرة: منها: أنه اعتراض على قضاء الله وقدره وعدم رضا بما قدره الله عز وجل ؛ لأن الحاسد يكره هذه النعمة التي أنعم الله بها على المحسود .

ومنها: أن الحاسد يبقى دائماً في قلق وحرقة ونكد ، لأن نعم الله على العباد لا تحصى ، فإذا كان كلما رأى نعمة على غيره حسده وكره أن تكون هذه النعمة حالة عليه ، فلابد أن يكون في قلق دائم وهذا هو شأن الحاسد والعياذ بالله .

ومنها: أن الغالب أن الحاسد يبغي على المحسود فيحاول أن يكتم نعمة الله على المحسود أو يزيل نعمة الله على هذا المحسود فيجمع بين الحسد وبين العدوان .

ومنها: أن الحاسد فيه شبه من اليهود الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

ومنها: أن الحاسد يحتقر نعمة الله عليه ؛ لأنه يرى أن المحسود أكمل منه وأفضل فيزدري نعمة الله عليه ، ولا يشكره سبحانه تعالى عليها .

ومنها: أن الحسد يدل على دناءة الحاسد ، وأنه شخص لا يحب الخير للغير ؛ بل هو سافل ينظر إلى الدنيا ، ولو نظر إلى الآخرة لأعرض عن هذا .

ولكن إذا قال قائل : إذا وقع الحسد في قلبي بغير اختياري فما هو الدواء؟

فالجواب: أن الدواء يكون بأمرين :

الأول: الإعراض عن هذا بالكلية ، وأن يتناسى هذا الشيء ، وأن يشتغل بما يهمه في نفسه .

الثاني: أن يتأمل ويتفكر في مضار الحسد ، فإن التفكر في مضار العمل يوجب النفور منه ، ثم يجرب إذا أحب الخير لغيره واطمأن بما أعطاه الله ، هل يكون هذا خيرًا ، أم الخير أن يتتبع نعمة الله على الغير ثم تبقى حرقة في نفسه وتسخطاً لقضاء الله وقدره ، وليختر أي الطريقين شاء ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

* * * * * * * * * * *

الرسالة الخامسة

في بيان خطر التقول على العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

ليس بغريب أن ينسب إلى أحد العلماء المعتبرين ما لم يقله بل ما يصرح بخلافه ، وهذا معلوم من عهد السلف الصالح ، ففي صحيح مسلم - في كتاب اللباس في باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة (١٦٤١/٣) - أن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - أرسلت مولاها إلى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - فقالت : " بلغني عنك أنك تُحرم أشياء ثلاث : العلم في الثوب ، ومَيثرةَ الأُرجُوانِ وصوْمَ رجَبٍ كُلّه" . فقال عبد الله : أمّا ما ذُكرت من رجبٍ ، فكيف بمن يصومُ الأبد .

وأما ما ذكرتَ من العَلَمُ في الثّوبِ فإني سمعتُ عمر بن الخطّاب يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ : «**إنما يلبسُ الحرير من لا خَلاقَ له**» ، فخفتُ أن يكون العَلَمُ منه .

وأما ميثرةُ الأرجُوان ، فهذه ميثرةُ عبد الله ، فإذا هي أُرجُوانٌ .

فرجع مولى أسماء إليها فأخبرها بما قال عبد الله فقالت : هذه جُبّة رسول الله ﷺ فأخرجتْ جُبّة طيالسةٍ كَسْروانّية لها لِبنةُ ديباجٍ وفرجيها مكفُوفين بالدّيباج ، فقالت : هذه كانت عند عائشة حتّى قُبضتْ . فلمّا قُبضت قبضتها . وكان النبي ﷺ يَلبُسها فنحنُ نغسلُها للمرضى ليُستشفى بها .

الميثرةُ : وطاء يجعل على الرحل ليلين للراكب من الوثارة .

والأُرجُوان : بضم الهمزة والجيم هو الأحمر الشديد الحمرة .

ومعنى قول ابن عمر : " فكيف بمن يصوم الأبد" لإنكار على من نسب إليه تحريم صوم رجب كله ، لأنه - رضي الله عنه - كان يصوم الأبد .

وقد أنكر - رضي الله عنه - كل ما نسب إليه من تحريم الثلاثة ، فأنكر صوم رجب بأنه كان يصوم الأبد ، وتحريم علم الثوب بأنه كان تركه خوفاً من أن يكون من

لبس الحرير فهو حكم احتياطي ، وأنكر تحريم ميثرة الأرجوان بأنه كان له ميثرة أرجوان .

والمهم أن التقول على العلماء كان من قديم الزمان وله أسباب :

١ - منها أن يسأل الشخص عالماً سؤالاً يقصد به معنى ، فيفهمُ العالمُ المجيبُ خلاف ما قصد السائل ، فيجيبُ بحسب ما فهم من السؤال ويفهم السائل الجواب على ما قصد من السؤال .

٢ - ومنها أن يفهم العالم السؤال على ما قصده به السائل فيجيبه بحسبه لكن يفهم السائل منه خلاف ما قصده المجيب .

٣ - ومنها أن يكون له هوى في حكم مسألة ما ، فيُشّيع نسبته إلى عالمٍ معروفٍ ليكون أدعى لقبوله .

٤ - ومنها أن يكون الحكم غريباً منكرًا ، فيُنسبه إلى عالم ليشوه به سُمعتهُ ويتخذ من ذلك وسيلةً إلى غيبته ، والإيقاع به ، مع أن العالم لم يكن منه فتوى في ذلك .

إلى غير ذلك من الأسباب وشر الأسباب التي ذكرناها هذا الأخير والذي قبله .

ولكن الواجب على من سمع من ذلك أن يتثبت أولاً من صحة نسبة القول إلى العالم ، ثم يتأمل في القول المنقول هل له حظ من النظر ، فإن كان له حظ من النظر قبله ودافع عنه ؛ لأنه حقٌ والحقُ يجبُ قبوله والدفاع عن القائل به .

وإن لم يكن له حظٌ من النظر ، اتصل بقائله وناقشه بأدبٍ فيقول: بلغني كذا وكذا فما وجه ذلك في شريف علمكم ، أو نحو هذه العبارة .

ثم يأخذ في النقاش معه بأدب واحترام لقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: من الآية١٢٥) إلا أن يكون معانداً ظالماً فيجادل بما يستحق ، كما قال تعالى في مجادلة أهل الكتاب: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (العنكبوت: من الآية٤٦) وإذا تبين الحق بعد النقاش وجب على من تبين له اتباعه والدفاع عمن قال به . فإن لم يتبين لكل واحد أن الحق مع صاحبه ، فالله تعالى حسيب الجميع وهو تعالى عند

قلب كل قائل وقوله ، وليس قول كل واحد حجة على الآخر ، فليذهب كل واحد إلى ما تبين له أنه الحق ولا يُشّنعُ على صاحبه أو يُبدّعهُ أو يُفسّقُه ما دامت المسألة تحت مجهر الاجتهاد .

نسأل الله التوفيق للصواب والعمل بما يرضيه ، وأن يهب لنا من لدنه رحمة وحكمة إنه هو الوهاب ، والحمد لله رب العالمين الذي بنعمه تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

كتبه محمد الصالح العثيمين في ١٤١٧/٦/٢٢هـ .

* * * * * * * * * * * *

الرسالة السادسة

في بيان الموقف الصحيح نحو العلماء

سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

نسأل الله لكم التوفيق والسداد والعناية وأن يجزيكم على ما قدمتموه لهذا الدين خير الجزاء .

سماحة الشيخ ، نحن إخوانكم في إندونيسيا نحبكم في الله ونتابع أخباركم وفتاواكم ونستفيد كثيراً من علومكم عن طريق كتبكم وأشرطتكم ، وفي هذه المناسبة نستفتيكم فيما كتبه أحد الدعاة في إحدى مجلات إندونيسية المسماة بـ"سلفي" قال: " أهل الراي هم أهل الفكر الذي يستدلون بالقياس أكثر من استدلالهم بالقرآن والحديث وإمامهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت" . وقال: " وأهم شيء في هذا المبحث هو في أي مسألة نهينا أخذ مفاهيم دينية منه (أبو حنيفة) ، حتى لا نغتر بعده . روايات منقولة عنه ضل فيها هو" وقال: " بل أهل السنة يحترمون أصحاب رسول الله ﷺ بكل احترام لكن لا يمنعهم ذلك من انتقادهم بأسلوب علمي مؤدب فيما أخطأوا فيه من أجل أن لا يتبعوا ما أخطأوا" ثم قال: " في المسائل العقدية والفقهية كثيراً ما اعتمد أبو حنيفة على قياس وينقصه الاهتمام بالأدلة من السنة النبوية" ثم قال: "هناك روايات تؤكد على أن أبا حنيفة مرجئي والإرجاء مذهب بدعي مبني على الإيمان قول واعتقاد في القلب دون جعل العمل من ضمنه" ثم نقل أقوال العلماء الذين تكلموا على أبى حنيفة بكلام شديد التي رواها الإمام اللالكائي مثل قول الثوري وابن أبي ليلى والحسن بن صالح وشريك ابن عبد الله وأقوال الأئمة الأخرى مثل ابن قتيبة وابن أبي شيبة ثم قال: "لكن موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مخالفة أبي حنيفة لأحاديث النبي ﷺ يختلف عن موقف الأوزاعي منها ، حيث قال: ومن ظن بأبي حنيفة أو غيره من أئمة المسلمين أنهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس أو غيره فقد أخطأ عليهم ، وتكلم إما بظن وإما بهوى . (مجموع الفتاوى ٣٠٤/٢٠) ثم علق عليه وقال: "موقف شيخ الإسلام

المذكور أعلاه لولا أنه خالف آراء الأئمة السابقين مثل الأوزاعي وابن قتيبة وابن أبي شيبة وغيرهم لقبلناه واعتمدنا عليه في موقفنا نحو أخطاء أبي حنيفة في المسائل الفقهية ، لكن عصر شيخ الإسلام بعيد عن أبي حنيفة ، والأئمة الذين خالفهم أبو حنيفة عاصروه أو جاءوا بعده بفترة قصيرة فيكون موقفهم نحو أبي حنيفة أرجح من موقف ابن تيمية نحوه .

السؤال: ما الموقف الصحيح نحو الإمام أبي حنيفة؟ نرجو توجيهاتكم .

الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الموقف الصحيح نحو الأئمة الذين لهم أتباع ، يشهدون بعدالتهم ، واستقامتهم ، أن لا نتهجم عليهم ، وأن نعتقد أن ما خالفوا فيه الصواب ، صادر عن اجتهاد ، والمجتهد من هذه الأمة لا يخلو من أجر ، إن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد ، وخطؤه مغفور .

وأبو حنيفة - رحمه الله - كغيره من الأئمة له أخطاء وله إصابات ، ولا أحد معصوم إلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كما قال الإمام مالك: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

والواجب الكف عن أئمة المسلمين ، لكن القول إذا كان خطأ ، فيذكر القول دون أن يتعرض أحد لقائله بسب ، يذكر القول إذا كان خطأ ويرد عليه ، هذا هو الطريق السليم . حرر في ١٤٢٠/٢/١٢هـ .

* * * * * * * * * * * *

الرسالة السابعة

في التحزّب خطره وضرره

سماحة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لا يخفى على فضيلتكم كثرة الأحزاب في الساحة ، فما توجيهكم حفظكم الله تعالى؟

فأجاب بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

لا شك أن تحزب المسلمين إلى أحزاب متفرقة متناحرة ، مخالف لما تقتضيه الشريعة الإسلامية من الائتلاف والاتفاق ، موافق لما يريده الشيطان من التحريش بين المسلمين ، وإيقاع العداوة والبغضاء ، وصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون ﴾ (الأنبياء ، الآية : ٩٢) .

وفي الآية الأخرى : ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ (المؤمنون ، الآية : ٥٢) . وقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (آل عمران ، الآية : ١٠٣) . وقال تعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران : ١٠٥) .

فاجتهدوا في جمع الكلمة ، وترك التنابذ ، والتفرق فإن التنازع والتفرق ، سبب للخذلان والفشل .

أسأل الله تعالى أن يصلح أمور المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق إنه على كل شيء قدير .

كتبه محمد الصالح العثيمين في ١٣ صفر سنة ١٤١٩هـ

* * * * * * * * * * *

الرسالة الثامنة

فضل تلاوة كتاب الله والحث على تعليمه

قال فضيلة الشيخ - أعلى الله درجته في المهديين -:

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد: فإن من المعلوم ما في فضل تلاوة كتاب الله العزيز ، من الأجر العظيم ، وحفظ شريعة الله - عز وجل - وصلة العبد بربه ، حيث يتلو كتابه الذي هو كلامه ، الموصوف بصفات العظمة ، والمجد ، والكرم ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (الحجر: ٨٧) . وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ (البروج: ٢١- ٢٢) ، **وقال تعالى:** ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين ﴾ (الواقعة ، الآيات: ٧٥ - ٨٠). ولهذا أقسم الله به كما في قوله تعالى: ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ (ق ، الآية: ١) . وأثنى على من يقوم بتلاوته ، وبين ما لهم من الثواب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ (فاطر: ٢٩) ، ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر الآيتان: ٢٩ ، ٣٠) . وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة الآية: ١٢١) .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[1] . وأنه قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده**»[2] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم فى "الذكر والدعاء " (٦٧٢٦) باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر .عن أبى هريرة رضى الله عنه .

ولقد ظهر في زماننا هذا جماعات كثيرة لتحفيظ القرآن في جميع أنحاء البلاد ، ومقر هذه الجماعات بيوت الله عز وجل ، وهي المساجد ، والتحق بها ولله الحمد شباب كثير من ذكور وإناث .

وإني أدعوا إخواني المسلمين أن يحرصوا على مساعدة هذه الجماعات ، لينالوا مثل أجر التالين لكتاب الله عز وجل فإن من أعان على خير أصابه ، قال النبي ﷺ : **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»** [1] . وصح عنه ﷺ أنه قال: **«من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا»** [2] .

وفق الله الجميع لما فيه الخير والهدى والصلاح والإصلاح إنه جواد كريم .

كتبه محمد الصالح العثيمين في ٨/٧/ ١٤٠٨هـ

* * * * * * * * * *

تم بحمد الله تعالى

كتاب العلم

---

(١) رواه مسلم في "العلم " (٦٦٧٨) باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه .

الفهــرس

الموضـــوع **الصفحة**

* * * * * * * * *